وقيل ايهما ابلغ فذكر ابن الاثير فيه كلاما طويلا اما الحسن واجمعه ثم اذكر
ما عندي فيه قال ان قضية العرف على ان احدهما ابلغ من الاخر لرسا المصير
اليهم لانهم اهل اللغة والاقلنا ان نبحث عن ذلك نحو ان يكون مقتبسا
اذ اللغة من باب نقش وغيره فان لم يكن مقتبسا لمقتاه بالقبول
والتقليد لغيره وكانوا لو صرحوا بما جرى الحكم وان كان مستا من ما عليه
تداخ القياس فالـ … على المرء من قبل لوجهين احدهما ان فاعلا
يختص باسم الفاعل لضارب وقاتل وفعيل مشترك ومن اسم
المفعول لطريف وكريم وقتيل وجريح والمختص اقوى كالحرف اذا
اختص عمل واذا اشترك اهمل ولان الفاعل اقوى والمختص بالاقوى اقوى
لا يقال قد جاء على معنى مفعول كماء دافق اي مدفوق فاعتبر اما
نقول بل معناه مندفق وتاويله على معنى نحو قوي ساد مغيف قلت
جمهور المفسرين على خلافه كلما لكنه انما ورد قليلا ساد ابد نحو
عيشة راضية وحجابا مستورا والشاذ القليل لا يقدح في الكثير
المطرد الوجه الثاني ان فاعلا احض لبنائه من اللازم والمتعدي
نحو سالم وغالب وفعيلا اعم لبنائه من اللازم فقط نحو شريف
وظريف والاحض اقوى وذلك يكون ابلغ فان قيل قد جاء فعيل بمعنى
فاعل نحو خطيب وحليم وقد يرد سميع وبصير فاستويا في العموم

والمخصوص قلنا قبل في فاعل ساد فليل قليل عليه بدليل حاكم
وعالم وقادر وسامع وناصر وهو الاصل فيه والدخيل انما عبرتم اولم يجئ
الالان فعيلا انما ترك في المفعول بل مشترك بين فاعل لكن في لطهور
قوته والمغيث ان حج الخصم بان فعيلا يدل على الصفات اللازمة كعليم
وقدير وفاعل على الصفات العرضية كضارب وشارب واللازم اقوى
فالدال عليه اقوى اجاب … بان فاعلا يدل على اللازمة ايضا
كعالم وقادر فاستويا ترجح فاعل بدلالته على اللازم والعرضي وفعيل
اخص باحدهما فالـ الخصم بل فعيل اذ ان اقوى لاختصاصه باللازم الاقوى
وفاعل مشترك مشترك غير المقابلين وقد قدمتم ان المختص اقوى من المشترك
اجاب … بان فعيلا ايضا مشترك اذ قد دل على العرضية
نحو صبير وفقير وقبيح ونبيه فاستويا ههنا وترجح فاعل بتعديه
ولزوم فعيل كما ذكر في الوجه الاول واعلم ان هذا بما انت
من ان الامر من وجهين احدهما انه رجح فاعلا بعمومه في اللازم والعرضي
ثم اجاب هنا بمساواة فعيل له في ذلك الثاني ان امره في هذا
الوجه الثاني الى الاستواء فاعل وفعيل وهو انما نصب البحث
على ابلغية فاعل فما حصل له مرادة من هذا الوجه وكان ينبغي ان
يقتصر على الوجه الاول وهذا الكن ان يمشي حاله فيه فانه قصد من

الوجه الثاني من النظر اراد السؤال والجواب او غير ذلك والثالث
ان قوله الملغز لان العرب اذا ارادت ان تبالغ بلفظ احدثت فيه تغييرا اما
بزيادة حروف نحو اعشوشب او في كلمة بنائه نحو طهور وسبوح وقدوس
والتعجب ها هنا انما حدث في بنائه اذ هو معدول عن مفعول الى فاعل
اذ هو في بنائه على القياس ويؤكد هذا انهم يستعملون ذلك في مفردات
اللغة ايضا فيقولون للغراب اعور مبالغة فيه ومنه يجري البحر بالقول في
وصفه بوصفه بصيد ومنه لا تقال هذا في معنى الذم طلبا لتشبيه اياه
لاما سوى حلاقة الكاسر منهم والمعول عليه في اللغز هذا ها هنا لما
ارادوا المبالغة في فاعل عدلوا الى بناء فعيلة الذي هو المعمول فتأمل هذا
ننصفا عنه محتملا حسنا والله اعلم ۞

النوع السابع عشر في الاشتقاق

وهو افتعال من شققت العصا اذا فرقتها اذا فرقت اجزاءها الا ان معنى الاصل
الواحد المشتق منه يتفرق على فروعه المشتقة وهو اقتطاع احد معنيين
من الاخر مع اشتراكهما في لفظهما في الحروف الاصول ثم الحروف الاصول
اركانه والمشتق لديها في المشتق منه نحو ضرب ومضارب واضطرب
واستضرب فانها مشتقة في جميع ذلك الضاد ثم الراء ثم الباء فهو
الاشتقاق الصغير والاخر هو الاكبر ۞ اما الاول

فكان اشتقاقا من اصل من كلم معنى السلامة في نحو سلم وسالم وسلمان
وسلمى وسليمى والاسلام والاستسلام ومنها الانقياد لطلب السلامة
والسليم بمعنى اللديغ تفاؤلا له بالسلامة ومن امثلة ذلك معنى
المنع في الجد لمنعه وقوله السلاح والحصن الحصين لمنعه من اتيان
العامي وحد الداء والمعنى لمنعه من خروج بعض الحدث ورفعه ودخول
غيره فيه والجداد وصوالبوات وايضا كل مانع وما حول فيه هنا
وسليعه الاما مشيدا ومن هذا قول الملك سالم وبارك عمارت
وتشبهت ما ثم ولولا الدني والملك كعبة وانا نكحت مبذرا
وملك غاب واهلاك على. وفي الشعر.

وما ان مغفولة عيال من الذي وما ال بحوسا من الجرجا بره

وقال آخر

لقد علم القبائل ان قومي لهم جداد اذا لبس الحديد

وفي التنزيل واسلمت مع سليمان فافهم وجهل الذين العيم ومما يشبه
هذا الاشتقاق وليس باشتقاق ما اسعا على يوسف وحا الحسن
دان وفي الشعر قول القائل

فصونه بلا مثيل وبين بلا بينا ولود بلا حمول وعرش بلا عرش

ولا يشترط الاطراد في الاشتقاق فلا تلزم تسمية الحجر جندلا الا وفيه

معنى المنع ولا الحل ضبعًا لان فيه معنى الضم وهو الضم الشديد لان من كلام
الاعارض في الحروف الاصول وليست مشتقة مما ذكره وشبهه وايضا
واستناده الى وجود المعنى من استعمال العرب له في محله فهو بمنزلة
ابدال المركب لكونه من جميع اجزائها بخلاف العلة فان استناده تأثيرها
الى جزء وجوده مما يبدو من الجملة منها وجودا وعدما واما الثاني وهو
الاخر فهو ذا التراكيب المختلفة من لفظ واحد الى معنى واحد ثم ذلك
الرد فقد يكون ظاهرا وقد يكون خفيا يحتاج الى تاويل ولطف واعلم
ان الفعل اما ثلاثي او رباعي فالثلاثي تراكيبه الممكنة تسعة لان كل واحد
من حروفه اما ان يجعل فاء او عينا او لاما وتلك في ثلاثة تسعة ثالثة
ضرب وضرب ضبر ربض ضرب رضب بضر بضر و
ضرب وضرب سقط منها بالتكرار ثلاثة وهي ب... وضرب
ضرب متوسية راجعة كلها الى معنى الضرب وهو حركة يتبعها استقرار
لان الضارب يحرك جارحته ليضرب ثم يتبعه بتلك الحركة استقرار الضرب
به على المضروب اما ضرب فذلك فيه ظاهر واما ربض فقد تغير معناه من
الوثاب وهو ما اليم فانه يحرك العز واللسان وسكن لسكونها
وبالجملة توجد فيه الحركة والاستقرار واما برض فالبرض الماء القليل
وفيه الحركة والسكون وتبرضت الماء تبرضا اي شربته امتصاصا والمعنى به

ظاهر واما ربض فلان الرابض سكون عقيب حركة كالغنم تأوي من المرعى
الى المربض وذلك اسد رابض واما ضبر فقال من القرن اذا جمع
يديه ووثب والحركة والسكون فيه ظاهر لان السكون فيه ظاهر
عقلا احسا لتوابع الحركة وملاحقها واما بضر من الماء ونحوها
والمعنى فيه ظاهر اذ لا يخلو من حركة وسكون قصدا او تبعا فاما
ضرب في الارض اذا سافر وضارب في المال وضرب في الغنيمة ونحوها
بسهم فهي مجازات من حقيقة الضرب ○ وتراكيب قدم دون
تكرار وهي ستة ايضا راجعة الى معنى القوة والشدة وهي قدم قمر
دقم رمق مدق قمد مقد فالقدم شدة ... اللحم
والقرم الشديد وفيه معنى القوة والقرم فحل الابل وذلك فيه
ظاهر والرقم الداهية وهي الشدة تلحق الانسان والرقيم قيل
الكتاب المرقوم اي المكتوب وقيل اسم الوادي الذي فيه الكهف والارقم
الحية والمعنى في كل موجود ويقال عيش مرمق اي ضيق وفيه نوع
شدة والرمق بقية الروح في البدن وهو نوع من القوة ورمق السهم
اذا اشتد من الرمية لشدة ... واستعمال المروق في الثاني مجاز
عامع الخروج لسعة التمرد وتمر الرجل اذا ملئ من ... ولعل
شيء ... عليه ... الكواكب ... العين عليه الآن الخامسة

عليها والمثال الثنائي نعنة وامثال الثلاثي اذا ما زمر او في ذلك المعنى الشديد
والساقط منها دمق قمد دقم واعلم انه ليس من شرط بحثه
الاشتقاق استعمال جميع تراكيب الكلمة بل قد يسقط بعضها كما في
ورق فان تراكيبها المستعمل خمسة ورق مرق وقر ور
ودق دقر وهي راجعة الى معنى الاجتماع والقوة والشدة
فاستوسق الامر اذا اجتمع وقوي واشتد والسوق حث
الدواب على السير وفيه قوة وشدة على السابق والمسوق والقسوة
قوة القلب وشدته وقوة الحجر وتجوده والقوس معروف والقوة
فيها ظاهرة والوسق اشتداد الحرب والشدة فيها ظاهرة والبيا وظاهرها
سقو والمحذوف منها قوس وسوق واما الرباعي
نحو دحرج فانه بالقسمة يتركب اربعة وعشرين لان كل حرف من حروفه
اما ان يقع اولا او ثانيا او ثالثا او رابعا ويكون المكرر منه اربعة
والباقي اثني عشر والظاهر ان المستعمل منه اقل من تراكيبه الممكنة خمسا
وعشرين بمكررها خمسة وباقيها عشرون وليس المدعى المراد هذا الحرف
في تراكيب جميع الفاظ اللغة بل في بعضها والله اعلم ۝

النوع الثامن عشر في الحروف

العاطفة والكلام وليس نظرنا فيها من حيث ينظر النحاة من اشتراك
المعطوف والمعطوف عليه في الاعراب واعلام الاسم بالحرف بل من حيث
ينظر اهل المعاني اما حروف الترتيب فكقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره
اذا شاء انشره عطف التقدير وهو جعله على ما يقتضيه الحكمة من الامداد
والعرض والكيف والكم على الخلق الذي هو الانشاء بالفاء التعقيبية لانه
عقيبه لا يتاخر منه وعطف تيسير السبيل على التقدير بثم اما للتراخي
بينهما وعطف الاماتة والاقبار على التيسير بالفاء لان عقيبها من غير تراخي
كثير وعطف الانشار على الاماتة بثم للتراخي بينهما وهو ما بين الموت
والبعث وهذا هو الاصل في العطف ان يكون في كل موضع بالاداة
اللائقة بها فان وضعت الفاء موضع ثم اوله حتى يوافق كما ان الاثير
وقد يشبه ما عطفت بالواو بما عطفت بالفاء فيوقع في الخطاء
وذلك ان فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء نحو كسرته فانكسر
وقد يشبه بعض الافعال بفعل المطاوعة ولا يعطف عليه الا بالفاء نحو
كسرته فانكسر وقد يلتبس بما يجب عطفه بالواو كقوله تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فمعنى اغفلنا قلبه صادفناه غافلا
نحو اغلبت الرجل واجبنته اذا صادفته بخيلا او جبانا فلو اخذنا
فيه الفعل اذ لو كان المعنى ذلك لقيل اغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه

وهذا مبنيّ اما اولاً فلأن هذا التأويل انما انشاه المعتزلة بلا دليل منهم
الايمانَ بالقدر وهذا كما ترى تحكم بحت وقالــ فقد طبع الله وهم المخبرون
قوله واتبع هواه قال بعض اهل السنة وعن قوله فقد طبع الله
وهم المعتزلة لرسوله اغفلنا قلبه واضله الله على علم وطبع الله على
قلوبهم واسبابــ ذلك واما ثانيا فلان هذا السر من اعمال المطابع
حتى ينتبه تكسرته فالكسر وانما معنى الكلام لا تطع من جعلنا له او سمع
له الاغفال واتباع هواه اي لا تطع الكافر من العبر هذه صفتهم وايضا
فان لم المقصود بان اتباع الهوى من مسببات الاغفال لما ان
الضلال يفعل من الله وهو الاغفال ومثل من العبد وهو اتباع الهوى
وهذا ما يقوله اهل السنة واما حرف الجر فنحو قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فعلى للاستعلاء وفي
للظرفية فشبه المهتدي بالمستعلي المستعلي جالسا وماشيا والضال
بالمغمور المغموس في ظلمه او المغروق في اللجة ولهذا قال ابو
له انك لو مكنك لذا القديم وذلك حيث اضيف الهدى الى
... افلح يقول اولئك على هدى من ربهم وهو قوله تعالى انما
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم اما
الصدقة الى هؤلاء الثلاثة والى الاربعة بعدهم بفي حيث قال وفي الرقاب

والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فنها على ازمنا ولا انت وارتج في
استحقاق الصدقة لئلا تكون على الصنوف الاربعة والاستقرار الطريق
في قوله وفي سبيل الله ثنية على ذلك وقوله فيضعي يجري مثل هذه
الكلب بحيث لا يحتمل بعض هذه الحروف ونحوها في غير موضعه
واما منه الحروف فهي اما بسيط وهو ما كان على حرف وليدها الحر
وكاف ولام ... وهو لما ثنائي نحو من وقد وما او ثلاثي نحو الى او رباعي
لحتى والا او خماسي كلكن مشددة وجميعها من حروف المعاني
اكثرها ظاهرة والمنطق منها في الحال الا انا قد منا بنها لكنه نبهه
وفي ان لم تمعنا ما الاعراب على الاول واما الثاني ثم قد يكون
الاعراب من السبب الخبر واما حيث تصير مطلقا نحو قام زيد لا عمرو
واتى لما لو طلقة بل مطلقتين فيكون المعرب عنه لا خفيا من حوكا عنه
حالا من السبب الخبر اصلا فمعنى ذلك الاخبار بقيام عمرو واتباع
طلقتين فقط وقد يكون الاعراب لا من اصل السبب بل من الاسناد
كلها الى ما هو البلغ منها كقوله تعالى كلما في كل منها لم يحم منها عمو
فانهم لم يرد ان علمهم ما ادرك في الآخرة ولانهم لم يسألوا الى ادراكهم
ما اقتصروا على الجهالة في الآخرة ولا على الشك فيها بل لم يتنفعوا الا
باعلام مرات الكفر بها وهو الاعراض والعمى عنها بالكلية فهم لا يتصورونها

ولا يعتقد وبها موجودة ولا تدركها افهامهم بنوع ادراك اصلا كما ان الاعمى
لا يدرك المبصرات بنوع من الوجوه اصلا ولهذا اخبر عن الموارد ملائهم
مترقيا من ادناها الى اعلاها وانما ذكرت هذه النكتة لان بعض الناس
يستشكل وجه هذا الاضراب فذكرت ما عندي في توجيهه والله اعلم

النوع التاسع عشر في التكرير

وهو ضد الذي مر من قبله وفائدة المفيد منه تأكيد الامر وتشييده
وتحسينه وتعظيمه او غير ذلك وهو ضربان تكرار اللفظ والمعنى جميعا
وتكرار المعنى دون اللفظ وكل منهما مفيدة وغير مفيدة القسم الاول
في المفيدة وهو ان احدهما ان يراد بالمكرر معنى واحد لو غير
مختلف فمنه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين كرر لفظ اياك
والمراد بالاولى اضافة العبادة اليه وبالثانية اضافة الاعانة فان قلت
لم عدل من تقديم اياك نعبد وعن الضمير المتصل مع الفعل عليه
الى المنفصل قلت لما فيه الاختصاص كما سيجيء بيانه فان قلت
لم كرر اياك واحد اللفظين يفيد المعنى نحو قام زيد وعمرو قلت لوجهين
احدهما ان المعنى بالتكرار اكد وادل على رغبتهم وصدقهم في السؤال
واخلاصهم لقول القائل ايها الملك بك استجير ومنك انتصر
فانه ابلغ مما ذكرناه من حذف الباء في الثاني فكذلك اياك نعبد

ونستعين مع الصيغة الثانية الوارد هو الثاني ان القران في غاية البلاغة
والكلام البليغ يراعى فيه احوال المعنى والعبارة جميعا وقد ذكر المعنى
فيهما كما ذكرنا واما العبارة فمن اجل المراعاة تعديلها ولا شك
ان اياك نعبد واياك نستعين اعدل مما لو حذفت اياك الثانية لان
هذا الكلام حينئذ كل واحد منهما مركب من فعل وفاعل ومفعول فهو اياك
فلو حذفت من الثانية لنقصت من الاولى جزأ وزال الاعتدال والثا
والله اعلم ومنه قوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ليحق الحق فالمراد بتحقيق الحق اولا تثبيت ما وعدهم باحدى
الطائفتين ولهذا قال بكلماته اي تصديقا لما سبق من كلماته التي وعد بها
وتحقيق الحق ثانيا اظهار الدين واستعلاؤه باستئصال الكفار وكسر
شوكتهم ومنه قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون ثم قال ان اجري الا على رب
العالمين فاتقوا الله واطيعون فكرر امرهم بالتقوى والطاعة اولا
وعلقه بشيئين احدهما كونه امينا اليهم فيجب امتثال ما امرهم والثاني
كونه لا يسألهم عليه اجرا فيتهم لاجله فيجب ايضا عليهم ذلك ومنه
قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله ان
كل الا كذب الرسل فحق عقاب فكرر الاخبار بتكذيبهم للاختلاف

اسلوب الكلام لانه ذكر تكذيبهم اولاً مجملاً جرى به وبالتفصيل استعفنا به وانما
فانه اجمل تكذيبهم اولاً فاجمل ان كل قرن منهم كذب رسله او رسولهم الجا
وجيه بانّما ان كلامهم كذب جميع الرسل لان ما جاءت به الرسل واحد
فمن كذب واحداً منهم كذب الرسل اجمعين . ومنه قوله تعالى قل انّي
امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصاً له ديني
فالاول اخبر له بالاخبار بانه مأمور باخلاص العبادة والثاني اخبر له
بالاخبار بتخليص العبادة وتخصيصه الله تعالى بها ولهذا قدم المفعول وهو
اعبد لانه المأمور به واخر ما ساقه وقدّم الله تعالى لانه المخصوص بالعبادة
ومنه قوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد معنى في المستقبل ما
تعبدون من الشيخ ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد ويكون هذا
اخباراً لهم دوامهم على الكفر مثل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فان قلت
فقد اخبر بهذا من اسلم بعد ذلك فاصح الاخبار فلا يكون هذا اخباراً ذكر
قلت هذه الدعوى تحتاج الى نقل ونحن نمنعه والاصل عدمه ولئن
ثبت كان ذلك تخصيصاً ويتبين ان المراد بالاخبار من لم يسلم كقوله لن
تفعلوا فان السؤال وارد فيها ايضاً ثم قال ولا انا عابد في الحال
ما عبدتم ولا انتم عابدون في الحال ما اعبد حالاً واستقبالاً ويكون
هذا اخباراً له باستمراره على عبادة الله تعالى في الحال هذا قلّ لهم ان لا

او افتتم ولا تنوا في اجالة ولا استعماله وهو قريب من معنى قوله
وليس الذين اوتوا الكتاب مثل ابن تابعوا قبلتك وما انت بتابع
قبلتهم وقال ان الاخير ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد
معناه لم تعهد منكم في الماضي عبادة ما انا عابد الآن ولا يثبت في الماضي عبادة
ما انتم عابدون الآن فلنفس اعبد في الاسلام ما لم اعبد في الجاهلية
او هذا قريب يحتمل الا انه لا لفظ فامر عنه لوجهين احدهما
انه قال ولا انا عابد ولا انتم عابدون ولم يقل ما كنت عابداً ولا كنتم عابدون
وانما يقال للمعنى صيغة او قرينة ولا واحد منهما الثاني ان اسم الفاعل
وهو عابد وعابدون اظهر في الدلالة على الحال منه على المعنى خصوصاً
وهو منون ومن هذا النوع تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في سورة الشعراء
مراراً اذا اللفظ ومعناه متحدة والمقصود متعدد لاجل كل
واحد من تلك القرون ذاته للكفار عقيب الاية الحاصلة باهلاك القرن الاخر
النوع الثاني وهو ان يراد بالمكرر معنى واحد لغرض في احد
منه قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون
وهذا الحسن عند طول الفصل من المكرر ونظيره ليسمع السامع مع التأكيد

وهو في السنة واقع سرًّا، ومنه وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم
من قبله لمبلسين، قال: إنما الأمر مكرر من قبله يدل على بعد عهدهم بالمطر وطول
فاقتهم لذلك بأنهم كان استبشارهم بالمطر على قدر اغتمامهم بانقطاعه. قلت
هذا الذي ذكره إنما يستفاد من الكلام لا من تكرير لفظ القبلية، فإنه لا
يفيد إلا كونهم قريبي الاستبشار والإبلاس؛ لأن الناس إنما يستبشرون
غالبًا بقدوم ما طالت غيبته، ولا يبلسون وييأسون إلا من مثل ذلك
فيقال استبشر زيد بقدوم أخيه من مكة ونحوها، ولا يقولون استبشر
بقدومه من المسجد أو السوق ونحوه، إنما طالت غيبته لا إذا قصرت
وهذا إذا مرت على المفقود لغيبته لسن طاصوما الحلال تسعون سنة
قسم ميراثه ونكحت امرأته للإياس منه، ولا يجوز قبل ذلك. والذي عندي
في تكرير لفظ القبلية أن فائدته تحقيق الإبلاس والإياس من المطر في ذلك
المقدور ولك الزمان الذي هو قبل نزول الغيث، والله أعلم. ومنه
قول مؤمن آل فرعون: يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه
الحياة الدنيا متاع، ويا قوم ما لي أدعوكم، كرر نداءهم وتنبيههم والجد لغرض
واحد وهو تنبيههم عن سنة الغفلة والحرص على نجاتهم وهدايتهم، وإنما
أضافهم إلى نفسه إشارة إلى أني منكم وأنا منكم فلست أتهم فيكم بل لا
أريد لكم إلا خيرًا والأمانة إذ يعني. ومنه تكرار قوله تعالى: فذوقوا

عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، في مواضع من سورة القمر
وفائدته الاعتذار إلى الكفار بتنبيههم وتحذيرهم عند قبائح قرون من
القرون الماضية، وأن القرآن نزل ميسرًا للذكر فلا عذر لمن بلغه فلم يذكر
إذ لا يهلك على الله إلا هالك. ومنه تكرير فبأي آلاء ربكما تكذبان
في سورة الرحمن، والخطاب به للثقلين، ولا يقدح في هذا القول الخطاب
المذكور سابقًا على ذكر الثقلين في قوله تعالى: والحب ذو العصف
والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان، لأنه لما ذكرهما بعده صار كالمتقدم عليه
وأيضًا فإن أحدهما قد تقدم ظاهرًا وهو الإنسان والأنام، فناب منابهما كما
يسمى الكل باسم الجزء. وفائدته إعلامهم بآلائه استمالة لعبادتهم، فذكرها
إياهم بعد عليهم عند كل فرد من أفرادها، كما يقول الرجل لعبده: ألم أكسك
ألم أؤوك، ألم أنجك من التعب، فبأي شيء تكذب، ألم أنقذك من الجائر
الفلاني، ألم أعطك الصنعة الفلانية، ونعدد نعمه عليه ثم يقول: فبأي
آلائي تكذب، ومعنى هذا الكلام وقوعه إليك لا تستطيع تكذيب شيء من
ذلك لوضوحه وظهوره، كما يترك أحد الشاكرين دليلاً من بعد مثبتين
تلقيتين ثم يقول لخصمه: أي المتقدمين تنكر، أي الأمرين منع وأجله
منها. ثم اعلم أن هذه السورة اشتملت على ذكر النعم الأخروية، خلق
الإنسان وتعليمه البيان، وخلق الشمس والقمر بحسبان، والنجم وهو ما النبات

لم من النبات والشجر وقوما له سياق والسعة فيهما طاهرة ورفع السما ووضع الميزان
للناصفين وامن الظالم ووضع الارض فيها الفاكهة والنخل والحب ذو العصف
يعني الورق والشجر منها على ان فيه متنعمه لكم ولمدواتكم والريحان يعني الورد
او كل نبت طيب الريح وخلق الانسان والجان ونحو التعديد فيه كلها اسماع
تعينهم بعض ما ذكر في الانعام وخلق المشرقين والمغربين عاليه للشمس والقمر
والنجوم ليتقوم بهن نظام العالم ومرج البحرين العذب والملح لمنع من كل
منهما ما جعل له من استخراج الجواهر وشرب الما واكل الحيتان ونحو ذلك
واجرا المراكب في البحور لقيام معايش الخلق الى ما تضمن ذكرهم بهذه النعم
من النعم على عظيم قدرته التي يستحق بها منهم العبادة والتوحيد وخلق الانسان
والجان العظيمين الشان من عنصرين شاهدين هما الطين والنار على وجه
الاياتي لعبيده تعالى ونحو ذلك ومن هاهنا الى اخر السورة اشتمل
على ذكر احكام الاخرة من الموت والبعث والنار والجنة كانه قال قد ذكرتم
الاي عليكم وتماري الى اشد بها الكريم ثم ان بعد ذلك نسوقكم ونعلمكم فرات
كامل الاي بالكفر ادخلته النار ومن كان اهل الزاد بقوله فاجمع لهالهاقات
الرحمة لم يطوقون منها ومن حيث ان فيها الا يركبا كمان مان قلت
ما وجه العقد عليهم في موتهم وبعثهم واجسادهم من اهوال الموقف وعدم
استطاعتهم النفوذ من اقطار السموات والارض وارسال شواظ من نار

ونحاس واخذ المجرمين بالنواصي والاقدام ونحو ذلك مما ذكر حتى يعترفوا بها
عند ذلك قلت اسباب النعم في نفسه ووقوع هذه الايات لرسله اخباره
تعالى اياهم بوقوعها ليأخذوا حذرهم منها بالطاعة ولا يخفى ان تحذير الانسان مما
يضره من اجل النعم عليه لان النعمة اما ايصال نفع او دفع ضرر والثاني
ابلغ من الاول لان الانسان يصبر على عدم النفع ولا يصبر على وجود الضرر
كما يصبر عن اكل العسل ولا يصبر على حر نار او مساس عذاب او جلد مائة
سوط والله اعلم ومن كان قائلها بالتوحيد والعبادة ادخله الجنة
الى وقد اجاب في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى اخر السورة وكل فرد من
افراد الجمل المذكورة متضمن تخويف وتوعدا او لوعد والترغيب فيه
فان قيل فان قلت الخطاب والذكر للثقلين ومن كان فيهم مؤمنا
وكافرا والكافر في الاخرة يصير الى العذاب الاليم ويعين ايمانه فيه
في الدنيا ما يقال لعله ما لزمه راجيا ومسيئا من اسباب الفقه وحسنه
لا نعمة عليه دنيا ولا اخرى اما النعمة عن النفع الدائم العاقبة من شواهد
الاقدار قلت الجواب من وجهين احدهما لا نسلم ان من شرط النعمة
سلامة العاقبة لان استعاقها يؤول الى النوم والى مذهب الحشوية وهذا
المعنى موجود بدون الشرط المذكور الثاني لو لم يكن انعامه عليهم الا اظهار
الايات والمعجزات على ايدي الانبيا وتحذيرهم من شرور الاخرة وترغيبهم

في شرورها لكان ذلك كما في استعاذة العباد منهم وبوبخهم على تركها
فان ذلك سمجه والنابغ شعر بحت شعره وان لم يسل المنسوخ له والله اعلم
وانما المطلب الكلام في هذه السورة لان ذات كثيرا من الناس يستشكل
تكرارها ومنه تكرير قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين في سورة المرسلات
وقد ذكرت من وجوه اولئهم والله بحذرنا من التكذيب ويزاحمه
زجرا ومن هذا القبيل تكرير النقل تحقيرا لشأن المفعول او تعظيما له مثال
الاول من اي شيء خلقه من نطفة خلقه ثم خلق علق من ماء دافق
اشارة الى حقارة ما خلق منه الانسان ومثال الثاني الانظر الى
فلان لم قبل قبل السلطان او ممن تزوج من زوج ابنة الملك وقد قال
لتعظيم العامل نحو اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق والله
اعلم واما غير المفيد من هذا القسم فنحو ما انشده [illegible]
عقيبها لقول ابي الطيب :

ولم ار مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام :.

فكرر لفظ مثل اربع مرات وحاصله ان مقام مثلي عند مثلهم عجيب وكقوله

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل :.

فانكر الصاحب ابن عباد هذا عليه لما فيه من التكرار الخالي عن الفائدة واعتذر
له الواحدي في شرحه لشعره بان عادة الشعراء مثله كقول الثعالبي

واذا البلابل افصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل :.

ولسن اعدل ارى احيدا والحق [illegible] ابن عباد والفرق بين البيتين ان البلابل
في شعر الثعالبي متغايرة المعنى فالبلابل الاول جمع البلبل اسم للطائر وهو
[illegible] والثانية جمع بلبلة وهي [illegible] الابريق
وكانه قال اذا ما صاحت البلابل فانف عنك وساوس الصدر
بشرب الخمر بخلاف القلاقل في شعر ابي الطيب فان معناها واحد
ثم فيه من العيب ما تقدم في قوله القلاقل والثاني الفصل التالي
وهو تكرير المعنى دون اللفظ وفي المفيد منه ايضا قسمان احدهما
ان يدل على معنيين مختلفين الجنس والعدد في نحو قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد وفائدته النهي عن اتخاذ
العدد والخصوص من الجنس المخصوص هذا من حيث عموم الفائدة اما تفسير
معنى الاية فمن وجهين احدهما انه تعالى في هذا المقام يتكلم في التوحيد
والنهي عن ضده فالمقصود الاهم نهيهم عن القول بتعدد الالهة فهما من
العدد هنا على ما فوقها بطريق الاولى كما في الضرب مع التافيف واللفظ
الموضوع للعدد المثنى انما هو اثنان لحاجة في النهي عن المعنى المطلوب
ترك اللفظ الموضوع له لكونه ابين وادل واكد فاما قوله الهين
فليس موضوعا لهذا العدد بل هو اسم الجنس بعلامة التثنية كرجلين

وقوسين فدل انه على العدد حرفية لا امثلة ولهذا الابدال ما بعده من
المعدودات على مقدار عدده الا ذكره كما يقال ثلاثة رجال واربعة اعبد ونحو ذلك
فلو قلت رجال واعبد لم يعلم هل هم ثلاثة ام اربعة ام اكثر الثاني
كانه تنبيه على انه نهاهم على اتخاذ مطلق الالهة فانه يلزم منه التثنية
وانما نهاهم عن مطلق التعدد وهذا القول في انما هو اله واحد ليس
مقصوده اخبارهم بالالهية لانهم يسلمون بها منه عرفها وانما امرهم
بالتوحيد الذي لم يكن مرفوعا لهم بالاصل عندهم والله اعلم الا العام والخاص
كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وفاكهة ونخل ورمان ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فالامر بالمعروف نوع
خاص من الخير وفايدة هذا التنبيه على ان المعطوف الخاص
وافضليته لاختصاصه بتفضيله او ترتيب مصلحته ونحو ذلك ٥

النوع الثاني ان يدل على غرض واحد نحو اطعني ولا تعصني
فالمعنى متكرر لان امره بالطاعة ونهاه عن المعصية والغرض بهما واحد
وهو عدم التمرد عليه والخلاف له ومن هذا قوله تعالى ومن يعص
الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا فالمراد بذكر تعدي الحدود
تاكيد الوعيد على المعصية لانه منها ومنه فانجيناه والذين معه
برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مومنين

فمعنى وما كانوا مومنين معنى كذبوا باياتنا وفايدته الاقرار بتاكيد الاخبار عن تكذيبهم
وكقوله اتاتوننا وسائر التنزيل على تحقيق انه كذبني وما صدقني
وعصاني وما اطاعني وامرني وما ائتمر وامثاله في مواضع ثم قوله وما
هدى وفايدته تاكيد هذا الجحد التزاما للنكر دلالة ان اثبات
الكفر والاضلال على في صدد وفي موضع سورة واحدة ولا يدل على ان مراد الوقوع
ودوامه لانه من باب المطلق وهذا اشانه واشاني ذلك فلا يعدف
الاتباع حمل افراد ما فيه فالله تعالى اثبت لهم الذي استحقوا به
الاهلاك ولم يدل اثبات لهم على دوامه واستمراره اذ ذكره بما يدل
عليه من نفي الايمان المستلزم له وذلك لما ثبت اضلال فرعون لقومه
اردفه بنفي هدايته اياهم في اثر ما يدل على كمال فرعون وانه كان
سيلا حي كل امر فيه حيلة لا حالة واما تقرير العقد من هذا القسم فكقول
ابن هاني المغربي ٥

بادرت به صنع القصايد شردا كانما كانت صبا وقبولا

والصابر الغفور ملك ولا يشك ان هذا غير مفيد ولا انما كقوله
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة والصلاة من الله الرحمة
ذكر الاخير ومنهم الغزي وذكر السخاوي ان المراد بها في حديث الابد
السابخيل وكقوله عليه السلام الملك يصلي على احدكم ما دام في

تعلة ما لم يحدث اللهم اصرف اللهم اجب وفي لفظ اللهم صل عليه .
اللهم ارحمه وكقول عنترة :

حُيِّيتَ من طللٍ تقادم عهده . أقوى وأقفر بعد أم الهيثم :

وأقوى وأقفر معنى واحد عند أهل اللغة وقول الآخر :

الا حبذا هند وأرض بها هند . وهند أتى من دونها النأي والبعد

والنأي والبعد معناهما واحد ومن هذا الباب قول الصابي في جواب كتاب
وصل كتابك بعد احتباس وابطاء واستطالة واستبطاء ولم يأت بمثل هذا الا ابو العباس المبرد فيما حكاه الخطيب التبريزي عنه في
شرح السبع الطوال والله أعلم ٥ :

النوع العشرون في تناسب المعاني

وهو ثلاثة اضرب

الاول المطابقة وهي عند الاكثرين مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض والليل والنهار وقال قدامة بن جعفر هي ايراد لفظتين متساويتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى قال ابن الاثير وهذا هو التجنيس جعل له اسما آخر وهو المطابقة قال والاليق من حيث المعنى ان يسمى هذا النوع مقابلة وقال الحريري المطابقة هي الجمع بين الشيء وضده في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يتباين الاسم بالفعل نحو فليضحكوا قليلا

وليبكوا كثيرا سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار تؤتي الملك من تشاء الآية والمقابلة الجمع بين شيئين متوافقين وضديهما ثم ان شرطتهما بشرط وجب ان تشرط ضديهما بضده كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الى قوله للعسرى ثم قال ابن الاثير مقابلة الشيء اما بضده او بغيره او بمثله وهذه التسمية مضطربة لانها تداخلت فان غير الشيء قد يكون ضده ومثله والصواب ان يقال الشيء اما ان يقابل بغيره فذلك الغير اما ضده او لا وغير الضد اما مثل او لا وهذه قسمة منحصرة دائرة بين النفي والاثبات . مثال الاول ما سبق آنفا وقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قابل الحزن بالفرح والفائت بالآتي وقوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة . قابل بين السهر والنوم . وقول زهير :

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن اقرانه صدقا

قابل الكذب بالصدق : وقول الآخر :

فلا الجود يفني المال والجد مقبل ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

قابل الجود بالبخل ويفني بيبقي ومقبل بمدبر . ومن احسن ما في هذا الباب قول البحتري :

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها :

الشرط

لفظ البحتري

قابل الحسن بالقبح والجور بالعدل والسخط بالرضى ولبعضهم في وصف السحاب
وله بلا حزن ولا بمسرة ضحك تراوح بينه وبكاء
قابل الحزن بالمسرة والضحك بالبكاء ولكنه اخل بالترتيب على ما سياتي بيانه
مثال الثاني وهو مقابلة الاثنين بمثليه وهو ضربان احدهما التقابل
في اللفظ نحو نسوا الله فنسيهم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا فمن اعتدى والعين
عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحو ذلك الثاني مقابلة الكلمة
مثلها في المضي والاستقبال فالماضي نحو فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا ثم بعثناهم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
والمستقبل نحو سلك اوبهم واساءهم فالم يوتيوا به ادلة من ونذرهم
ثم التقابل قد يكون لفظا كما ذكر وقد يكون معنى اما في الماضي فكقوله تعالى
قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ اي قد علمنا ذلك وحفظناه
بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج اي لم يهتدوا ما خلط امرهم عليهم
واللبس واما في المستقبل فكقوله تعالى قل ان ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا والتقدير هنا موجه لانه يحود ان ادري
اقرب بمعنى اعجل لكم ما توعدون ام يجعل له امدا فيكون من باب مقابلة
الجمل ويجوز ان يقدر يجعل بمعنى بعد اي ان ادري اقرب ما توعدون
ام بعد كما صرح به في موضع اخر وكذلك المرتد وما جعلنا القبلة

لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي لتسعوا فيه وقد تقابل الماضي لفظا بالمستقبل
نحو ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي والمستقبل
بالماضي نحو ان يكرمني اكرمته كل ذلك على التقابل المعنوي مثال
الثالث وهو ضربان احدهما مقابلة الشيء بما يقاربه ويناسبه كقوله
تجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا
قابل الظلم بالمغفرة وليست ضده ولكنها قريبة من العدل والانصاف
الذي هو ضد الظلم الثاني مقابلته بما يبعد عنه كقوله
ام هل ظعائن بالعلياء نافعة وان تكامل فيها الدل والشنب
والدل الشكل والشنب من اوصاف الاسنان ولا مناسبة بينهما
وان كانت قريبة ومما يناسب ذكره هنا ان واحدا من فواصل
النثر واعجاز النظم يحتاج اليه ويجب ان يكون ذلك على وفق مقتضى المناسبة
المعنوية اما في كتاب الله تعالى فذلك كثير ولنضرب له امثلة منها
قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم اما فصلها بذكر
الادم العلم لانه مرتب على عظم الدين والتجارة والاشهاد في البيع وغير ذلك واما
كانها جامعة احكام السورة وقد تضمن فيها علوما كثيرة فلما انتهى ذلك
امرهم بتقواه والتزام ما حد لهم ثم انه عرض لهم بالامتنان عليهم بالتعليم
ثم اخبرهم بانه بكل شيء عليم ليكونوا على ثقة مما علمهم لكمال علمه لان المعلم

اوثق بكلام العالم المتقن منه بكلام من لا يعلم اتقانه وانما طلبة العلم به شرع في ذكر
التقضي الى ان قال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه لما كان كتمان الشهادة
امرا خفيا لا يعلمه الا الله اضافه الى القلب وهذا حسن بليغ وادّعى الاثم اليه فربما طمع طامع
في كتمان الشهادة بخفائها قال الله تعالى والله بكل شيء عليم ثم عقب بمثله
وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشارة الى انه
تعالى يعلم خفي الامور وظاهرها متعادل على التسوية بينها وعطف على الحث
فاتقوا الله ولا تطمعوا في كتمان الشهادة بخفائه فان الحساب على ذلك ثم لما كان
في اجزاء الاية الاخرى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ختمها بقوله والله
على كل شيء قدير اي انه يقدر ان يعذب من يعذبه بما له قدرة فاحذروا
ذلك وارهبوا وكذا قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة لما اقترن هذا الكلام بلطف القدرة في احياء الارض بانزال
الماء واسند ذلك الخبر بان فيه نفعا للناس ولطفا بهم ختمها بما ما
ما قصدت فقال ان الله لطيف خبير ثم قال له ما في السموات وما في
الارض فتضمن هذا الكلام احتياجه الى ذلك ثم قال وان الله لهو الغني
لمناسبته مقصود الكلام ثم لما كان اللازم ان يكون كل من هذه الجواز عاجز
علم انه متصف بالجود الموجب للحمد فقال الحميد ثم قال الم تر ان
الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء

ان تقع على الارض الا باذنه فتضمن ذلك رافة الناس بهم ورحمة اما طلب نفع
كتسخير ما في البحر في الفلك او دفع ضرر كامساك السماء ان تقع عليهم فقال الله
تعالى ان الله بالناس لرؤوف رحيم وختم فواصل القران مناسبة لما قبله
منه وليقس على ما ذكرنا ما لم نذكره واما في النظم فيختلف ذلك باختلاف
قوى الناظمين وتراكيبهم فمنهم من يضعف ما ذكرنا فيخبط ومنهم من يبرع
فيجد كل احد منه ما يحتاج اليه مما يدرك بادي الراي بريقها كالظهور
والباقي ما لا يدرك الا بالتامل وربما احتاج الى توقيف كالمكر على امري
قوله كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبا الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
قيل ان عنه لم يتم شطرا منها وكان ينبغي ان يكون الشطر الاخير من كل
من البيتين على الشطر الاول من الاخر هكذا
كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
ولم اسبا الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
لان الركوب للغارة انسب به بتطلب الكاعب ولان سباء الزق للتطلب
الكاعب انسب منه بكر الخيل للغارة واجيب عنه بانه ذكر في بيت للنساء
لذة الركوب للصيد فجمع لذتين في بيت لتناسبهما ثم قرن السماحة بسبا
الخمر للاضياف بالشجاعة عند منازلة الاعداء وهما مما كانوا يمتدحون بالجمع

فيهما اعني الكرم والشجاعة وهذا اجوبة ابي الطيب المتنبي لسيف الدولة
حين قال له قد انتقدت عليك هذين البيتين من قول المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

كما انتقد على امرئ القيس بيتاه وهما فاجاب المتنبي عن امرئ القيس بما
ذكر وعن نفسه بان قال لما ذكرت الموت في صدر البيت الاول اتبعته
بذكر الردى في اخره ليكون احسن طباقا ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوسا
وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين الاضداد في
المعنى فاعجب ذلك سيف الدولة الضرب الثاني في
التفسير وهو ذكر الاقسام المجملة مفصلة ثم ان كان على الترتيب
فهو اللف والا فهو النشر مثال الاول قوله تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وكقوله تعالى
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع قابل كلا من الاعمى والاصم
بضده وبدا بالاول فالاول وقول الشاعر

عيث وليث ونعيث حين تسأله عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام
يحيي الانام جميع الجدب ان قحطوا ويشتفي يوم الوغا الهام

حود

وقرت في البيتين وقول الاخر

بيوم الشيم فيك حول امل تعاقب النقلين عند اداالي
ما بين نار هوى وما مدامع ان جمعا فان خاو جدا استنا

فتربعت البيت الاخير على ترتيب بيتيه الاول مثال
الثاني قول بعضهم

تلوت فقالت كل هذا بزعم تجني اما لله قلبك من حجر
فلما كشف الحب قالت لشد ما سرت وما هذا بمثل تجني القلب
واد نو ستقصي بانعطاف لنا وصاها فتعة التيا عذر دنى
فيلوا اي بنوديها ومرى يتشوها وتجرع من تعدي تنتزني قرب
فاعوم مل من حله تعرفوتها ابيروابها واستوجبوا الحرب

ووجه رد اي امد كثر قوله واد نو ستقصي وابعد طالنا وصاها بسؤر
وتجرع من تعدي وتسفر من قرب ولم ير ترتب ادلو ترك لعال وسربن
وي وجرع من تعدي فلعله انما ستعد من الرتيب كلم العارفية والناظم
مسامح ويمكن ان الاجر هذا الشعر من احسن ما في هذا القسم الاول
اعني المرتب فالطامر احكم بعد لما ذكرته وقول الفرزدق

لقد خنت قوما لو لجات اليهم طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت فيهم معطيا او مطاعنا وراءك شزرا بالوشيج المقوم

وكان الاليق ان يتقدم مطابقا للاحسن ليظهر بتقدم ونوحر مطابقا للاحسن
جلا جلالة شل مغرم، وكقوله ايضا:

كيف اباو وات جمعت ونعمت وغزال الجلكا ذي دنا وقدا

وكان الاليق ان يقول دنا وقدا ونحطا والظاهر انه اما الحركة لجرم
القافية والتالم في هذا اعد من الثاني فاما قول الشاعر:

فيا ايها الحيران في ظلمة الدجى ومن خاف ان يلقاه بغي من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

فهذا صحيح الترتيب فانه الغير على ما قيل اذا كان يتمنى ان يحصل
ما رآه ومن خاف ما يناسبه من اسباب الحماية والقوة والنصرة والاعانة
كان قال ومن كفه فيضا بحر او نحو ذلك والا فالكرم لا يوجب امن الخائف
تعلما من العدى بخلاف يكون الكريم ذليلا او متعيبا والله اعلم ۝

الضرب الثالث صحة التقسيم وليس المراد به هنا
العقلي لانه حاصل له دورانه بين النفي والاثبات وتستوفى الاقسام الممكنة فان
حصرها فصحيح والا ففاسد. مثال الاول قوله تعالى
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فهذه قسمة صحيحة لان الناس عند رؤية البرق
من خائف من العذاب وطامع في الغيث وقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه
ومنهم من يمشي على اربع فان الدواب تنحصر في هذه الاقسام وقوله تعالى

ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فان الناس اما عاص او طائع او متوسط فيهما خلط عملا
صالحا وآخر سيئا وكذا قوله وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون
هو نحو ما تقدم وهذا في قوله فاما ان كان من المقربين واما ان كان من اصحاب
اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين ومن ذلك قوله عليه السلام
الثمر حبث او نعم وقوله عليه السلام بئس مال البخل حادث
او وارث ومن احسن ما سمعت في التقسيم قول الغزالي
ان ترك الاعمال التي يحصل باستحبابها والترغيب فيها سببه العلم
اما جهل محض او لكن من خوف ان تركها اما مع اعتقاد استحبابها فمحو اثبات
لعدم الثواب المرتب عليها على وجوده، وذلك حمل على كرن بعض الجيران
في الخالة على الربح واما مع عدم اعتقاد ذلك فهو لفرحه لا ستكر اليه
تكذيب النقل الصحيح وحكي ان اعرابيا وقف على مجلس الحسن فقال
رحم الله من اعطى من سعة او واسى من كفاف او آثر من قلة فقال الحسن ما
ترك لاحد عذرا فانصرف الاعرابي بخير كثير ومنه قول جميل:

لو ان في ليلى تحدر فلامه حجا ومثلك او امك وما بالي

وزعم ابو هلال ان هذا ليس بتقسيم صحيح لان امان الرسائل داخلة

في خلله الوصل ولعله حمل لفظ وصلك على انه من الوصال والظاهر انه من
الوصول اي وصلت الى نفسي وحينئذ يكون تشبيها مجتمعا اذ الوصل
اما بوفاء الدين او ببعث الرسائل . ومثال الثاني قول بعضهم نصف
تكون في الحرب . فمن جريح مضرج بدمائه وهارب الحتف ال[illegible]
فان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا والقسمة الصحيحة
فمن بين قتيل وما بين هارب وناج وقد قال النابغة :

لهم مع الاساة غير مشتغل ومُوثق في حبال القد مسلوب :

ولعله لم يذكر الناجي لانه لم ينج من الذين وصفهم احد بل انحصروا في القسمين
المذكورين وهم الاسير والقتيل والبيت ايضا غير المستقل ومن الحصر
الصحيح قول عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا :

فانهم لم يتركوا معه ما ادراه شيئا لا من المحاربين والقتل ومن ذلك
قول بعض الاعراب النعم ثلاث نعمة في حال كونها ونعمة ترجى
مستقبلة ونعمة تأتي غير محتسبة فابقى الله عليك ما انت فيه وحقق
ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه فانه ليس يوم هذه القسمة و ليست
بين ليداخلها والاخلال بغير اقسامها اما الاول فلان غير
المحتسبة من اقسام المستقبلة او المستقلة ان لم تحتسبها كانت محتسبة

والاولى غير محتسبة واما الثاني فلان من اقسام النعم الماضية وكم يدوم ما
ولو قال النعم ثلاثة نعمة ماضية ونعمة حاضرة ونعمة مستقبلة .
فاحسن الله آثار الماضية واتم عليك الحاضرة واجزل لك المستقبلة
لطبق مفصل اللاحقة وقد عيب بعض العلماء من نوع العابر من الحدث

وما لكم مجد وفينا تم قبل ومطلعكم صدق ويلكم حرب :

وقال هذا احسن من تقسيمات اقليدس . وفعل ان شرط التقسيم
الصحيح ان لا يحتمل الزيادة وهذا يحتملها نحو :

ولكم عفة وقربكم نوى قاطع وكم منع وسه تكم كذبت :

وكثير من هذا الباب وقد احسن يحيى بن معط قوله في التشبه

فلست ترى من حاسد او حامل او عالم متغافل :

لكنها متداخلة لان الحاسد اعم من ان يكون حاملا او عالما والحامل
اعم من ان يكون حاسدا او غيره والله اعلم ٥

النوع الحادي والعشرون
في الاقتصاد والافراط والتفريط

فالاقتصاد التوسط والقصد والافراط مجاوزة الحد والتفريط القصور
عنه واعلم ان المعنى المراد من الكلام اما ان يقع وسطا المتعرف وهو الاقتصاد
او دونها وهو التفريط او فوقها وهو الافراط ولعلنا البيان فيه ثلاثة

مذاهب احدهما الاغراق وهو مذهب الجاحظ والثاني اجازته واتيانه
وهو مذهب قدامة بن جعفر ؛ قال لان احسن الشعر اكذبه وعليه
الشعراء وهذا الجائز لانه مركب من مقدمات تخييلية فاعتبار الصدق
فيه الاغراق هو ان التحري فيه لا معنى له ولان ذلك يعود بتركه
وانما الشاعر اختار الصدق فيه يصونوا الافراط وهو ان يغرط الشي
مارد على الصدا او كادا وغيرهما لقول البحتري ؛ بلو
لو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر ؛
وقول الاخر ؛
ما ان يستدير كان راحته ركن الحطيم اذا ما جاءه يستلم
هكذا ذكر ابن الاثير ما لنا هنا وليس يطلق الا ان هذين ما افرطا
ولا استقبا شيئا واما البحتري فعلى الافراط وهو سعي المنبر على
شرط وهو تكليفه المشتاق ما في وسعه والاخر فارق الافراط لكنه
في معنى الاستلام جاء ما في حقيقته في الحمل فهذا مثال المقتصد
ومثال التفريط قول ابي تمام ؛
ما زال يهذي بالمكارم والعلا حتى ظننا انه محموم ؛
نحن له من لفظ الهذيان وخلط الحمى ونقل ابا تمام حين قال هذا كان
محموما والاعتبار لا تستحسن هذا الخطاب لمن يهجوه فكيف لمن يمدحه

وكذا قوله ؛ ان داود والسماح ابو موسى فليت ولك دلو القليب ؛
ومراده انك سبب الى العطاء اي موسى انا الذي سبب الى السماح
ملي في القليب وهو من حسن الا انه حمل الممدوح دلوا من ربط فغمس
لما تقدم من ان المعتبر في هذا الفن المعنى واللفظ معا وحكى ان بعض
الاعراب وفد على بعض الخلفاء يمدحه بشعر من جملته ؛
انت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب ؛
انت كالدلو لا عدمناك من دلو من كبار الدلا كثير الذنوب ؛
قال الخليفة ولم يحقق انه اعرابي لنظروا اعانه ان اعرابيا فاجيبوه وان كان
فروا فاجلدوه فيشير الى انه اعرابيا من بادا واهل القرى يهزلون
ويطنبون وقول بعضهم ؛
وتلعفة عند المكارم فرد يا انت من الجموم من ابن سليم ؛
شبهه بالجموم من ربط كما سبق من قبل واحسن ما شبه به امتزا ن
الممدوح اصمر اذ السيف كقوله ؛
لهم وبلك اذا ما سالنه هلك واصعرا اضعر المهند ؛
ومن هذا الباب قول الاعشى ؛
وما ابن يد من خليج الفرات تجون غواربه كلم تلطم ؛
باجود منه بما عونه اذا ما سما وهم لم يتغم ؛

فانه يمدح ملكا بانه يجود بالماعون وهو ما يستعار من قدوم او قدر
ونحوه من متاع البيت وهذا القول اقرب الى المدح وعندي في هذا
نظر فان الماعون يراد به الماء ايضا وهو مراد الاعشى هاهنا لانه ذكره في
سياق ذكر الحائج والقرب والعوارب والاسطام والنعم وقد
جاء في الشعر في صفة السحاب

يمج صبيره الماعون صبا يعني الماء ذكره العزيزي

وكنى الاعشى بالماء عن النسل والعطا كانه قال يا خوذ منه نسله وعطاءه
الذي هو كالقرب وخص القرب الذكر لعدو بها والانهار وغيرها
او انه اراد حفر الماء العذب فانه موضوع القرب في الاصل قال
الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا والله اعلم ومثال الاول قول عنترة

وان المنية في المواطن كلها والطعن من سابق الاجال

والطعن لا يسبق الاجل لا محالة لعله كان يعتقد ذلك لكن كما اعتقد
عمرو بن معدي كرب ان الفرقدين لا يفترقان ابدا بقوله

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

لانا نقول من اهل الجاهلية انهم كانوا يعتقدون تقدم الاجل كما
يعتقده الاسلاميون واستنا من ذلك في اشعارهم كقول عنترة

اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

وقولك اقبل ان من المنية مهرب ان كان دونك في السما سماء

وقول الاخر

من اي يومي من الموت افر من يوم لم يقدر ام يوم قدر

وتفسير هذا الطعن ان كل يوم من ايامي لا يخلو من ان يقدر علي الموت فيه
او لا يقدر فان قدر لم يغن الفرار وان لم يقدر لم يعد في شيئا وان تحصيل
الحاصل وهذا اعتقاد لا يزيد عليه اعتقاد احد من المسلمين في هذه
المسئلة ويروى سابق الاجال بالياء المثناة من اسفل وهو ايضا
ان اراد ان الطعن لا يسوق الاجل بل الاجل يسوقه لكن هو اقرب من
الاول وكقول النابغة

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب

اذ ليس في قوة الطير الا انها تأكل لحوم القتلى لا انها تعلم الغيب وانما
حسن هذا البيت بناء على انه وصف الطير بانها صارت تعلم ذلك منه عادة
وتجربة وقول قيس بن الخطيم عنده

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع اضاءها
ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

قال بعضهم لا يستبعد هذا فالطعنة وانما فتح منه بابا او دربا وقول بشار بن برد

إذا ما عصينا غضبةً مضريةً هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ومن أفراطات المتنبي قوله

وقالوا أهلا نلعك الزيابنك نعم إذا رمت استثناله

وقوله

لو لم يحب أحول رجلٍ لولاه حفا لمحبتي إياك لم تربي
لو أن أمه زفاره أكلتها دخلت في حرقتها من رقة البدن

الا ان هذا البيت لم يوجد في ديوانه لكن سمعناه من أفواه الناس وقوله في صفة الرامي وإصابة السهام

يصيب ببعضها أفواق بعض فلولا الكسر لاتصلت قضيبا

ومن أفراطات أبي العلاء المعري قوله في صفة السيف

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ونظائر ذلك كثيرة واعلم أن الكلام قد يكون متوجها إلى تضمنها للتفريط والإفراط أو المدح والذم باعتبار جهتين مثال الأول قول الأعمى

وإذا تكون كتيبة ملمومة في الحرب تدعوا الدارعون نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقوله غير لابس جنة إفراط في الوصف بالشجاعة والإقدام تفريط من حيث إنه وصفه بالإخلال بالحزم ولهذا لما أنشد بعض

الشعراء بعض بني أمية قوله

على إن لي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي نسجها فأطالها

قال له خاب ملك كما قال الأعشى وذكر له البيتين المذكورين فقال الشاعر الأعشى وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم ومثال الثاني ما حكي أن شاعرا جاء إلى خياط أعور واسمه زيد بثوب فقال فصله لي قباء فقال له الخياط لأفصلن لك قباء لا تدري أقباء هو أم قباء فقال له الشاعر إن فعلت ذلك لأمدحنك مدحا لا تدري أمدح هو أم هجاء ففعل الخياط الثوب كما وعد فقال فيه الشاعر

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء فاسمعوا إلى قوم أمديح أم هجاء

ومن هذا القبيل ان التشبيه من غير تعيين يحتمل أن يكون في العور بأن تعور الصحيحة فيكون ذما عليه ويحتمل أن يكون في الصحة بأن تصح العوراء فيكون دعاء له والأقرب إلى الذوق هو الأول والأشبه وإن كان مليحا ما سمعناه حرى لأدبي يجب التي لا تنافي من التهاني تبرك الرسول صلى الله عليه وسلم

النوع الثاني والعشرون في الخطاب بالجملتين الفعلية والاسمية المؤكدة

وهو التأنيه الملعنة بالأولى والأخرى وأدل على قوة الثاني التشاكل عليه قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم

قالوا انا معكم لما لقوا المومنين سوى قولهم امنا فدل على كذبهم اذ لو صدقوا
لاكدوا كما قالوا لشياطينهم انا معكم وكما قال المومنون امنا بما
انزل ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون ولهذا قال الاعراب تما
امنا قال فلم تومنوا بخلاف المومنين لما قالوا انا مومنون فانه اقرهم
على ذلك ولم يرد عليهم ولما لقوا شياطينهم بانا معكم فدل على صدقهم
في ذلك او قوة الباعث عليه كما قال الكفار مثلهم لرسلهم انا بما
ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قلت والمدعى
الاتفاقي ان صيغة انا معكم اكد من صيغة امنا اما الدلالة على صدقهم في
الاولى وكذبهم في الثانية فليس لازما ولا مستفادا من مجرد الصيغة
اذ ربما صدق المتكلم بالفعلية دون الاسمية المؤكدة وانما نحكم على الكلام
بما ذكرنا من الصدق والكذب لقرينة ما تبين ولاخبار الله بكذبهم منهم
والاعتقاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد في جواب قوله
اتشهد اني رسول الله امنت بالله واسر الله المومنين ان يقولوا امنا
بالله سمعنا واطعنا ونظاير كثيرة فلو كان ذلك لازما للكذب او دليلا
عليه بمجرده لما قيل وامر به شرعا ومن ذلك قوله تعالى لموسى
وهرون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل
امرهما بالتاكيد لما علما فرعون مرسلا لهما لتبليغ ذلك او منع في نفسه

ولم يامرهما بالتاكيد اولا بالرسالة من الرسل لمن ان نحو قال الامر في صورة السوال
ليلا يستكبر وياخذه العزة بالاثم ويقول المومنان انا نوكدا لانا حاضر ما قال
معكما من اخبار الغيب فغير مستقيم ويدل على هذا قوله تعالى فقولا له قولا
لينا وعدم التاكيد الامر البليغ من لين القول ه

النوع الثالث والعشرون

في ورود الكلام بلا التاكيد مع تغير موجوده
وتقدم ما يوجب اجابه كقوله تعالى افرايتم ما تحرثون الى قوله لو نشاء لجعلناه
حطاما وقال في الماء لو نشاء جعلناه اجاجا فجاء باللام والفرق بينهما ان صير ورة
الماء ملحا اسهل واكثر من جعل الحرث حطاما اذ الماء العذب يمر بالارض
السبخة فيصير ملحا فالتوعد به لا يحتاج الى تاكيد بخلاف جعل الحرث
حطاما فانه على خلاف العادة فاحتاج التوعد به الى تاكيد ومثاله ان
الانسان اذا توعد عبده بالضرب المعتاد لم يحتج الى تاكيد بيمين
ولا غيرها لجريان العادة والمراد هنا بذلك واذا توعده بالقتل بالكلية
احتاج الى التاكيد عنده لندوره وعدم المراد العادية به واما ان جعل
الحرث حطاما ملك للمادة والصورة وجعل الماء العذب اجاجا انما
للكيفية فقط فهو اسهل وايسر وهو راجع الى ما سبق ومن هذا الباب
سوال اشتهر لكثرة دورانه من لسن الناس وعزوه ما وجه التاكيد الاتحاد

بالموت باللام دون الاخبار بالبعث في قوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون
ثم إنكم يوم القيامة تبعثون وقد كان العكس أولى وأنسب إذ البعث مختلف
فيه وهو أحوج إلى التأكيد بخلاف الموت فإنه لشاهد به وحقيقته عند كل
أحد مستغن من التأكيد ولعله ثلث مرار أقل خطر له فيه ما كتابه ولم أسمع عن
من سئل عنه أسأله جوابا مكافيا غير أجوبة لفظية لا طائل تحتها وأصل هذا
السؤال مما نبهت على كثير من الزيادة ته الغالب في القرآن ثم بعد
النظر والتأمل خطر لي عنه جوابان معنوي ولفظي أما الأول فتقريره
أن المخاطبين لم يسمعوا هذا الكلام ولا غيره من القرآن من الله تعالى ولا من جبريل
عليه السلام وإنما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ نقول
إن إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام المتضمن لوقوع البعث
إما أن يكون لمن قد آمن به وصدقه في أنه رسول الله أو لمن كذبه
في ذلك ولم يصدقه فإن كان إخباره بذلك لمن صدقه كان كافيا في حصول الجزم
بصدقه بالبعث إلى التأكيد باللام ولا غيرها وإن كان لمن كذبه
كان جهل شيء فإنه لا يصدق بالشيء ولو أكد بجميع أدوات التأكيد وحينئذ
لا يظهر فائدة التأكيد لا تصديقا ولا تكذيبا إثباتا ولا نفيا فالسؤال إذن ساقط
من أصله أو غير وارد فإن قلت لا نسلم الحصر فيما ذكرت لجواز أن
يخبر بذلك من لم يصدقه ولا كذبه بل هو في مهلة النظر والتأمل في أمره

فلا هو مصدق ولا مكذب كان ينبغي أن يؤكد البعث للمتردد فإن هذا التقسيم إلى
التصديق والتكذيب فالجواب من وجهين أحدهما أن هذا الإخبار إنما
كان بعد ثبوت النبوة وظهور المعجزة وحينئذ انحصر وجود هذا القسم إذ
بعد ظهور المعجزة انحصر الخلق من المصدقين بالنبوة والمكذبين فعاند الحق
فيما ذكر الثاني سلمنا وجود هذا القسم لكن مستنده ثبوت النبوة ليس
خصوص العلم بالبعث بل مستنده أخص خصوص المعجزة فيترتب عليه ثبوت النبوة
ويترتب على ثبوتها وجوب التصديق في سائر الإخبارات فإذا كان هذا
الشخص في مهلة النظر فغايته أن يخطر في المعجز الذي هو مستند النبوة لا في
وقوع البعث الذي التصديق به فرع من فروعها. وأما الثاني
وهو اللفظي فتقريره أن قوله تبعثون فعل ودلالته الدال على المصدر
متضمن فهي قوية يستغني بثبوتها وإثباتها في نفسها من التأكيد خارج
بخلاف قوله ميتون فإنه اسم فاعل ودلالته على المصدر ليست بل بواسطة
دلالته على الفعل فهي ضعيفة فاحتاجت إلى تؤكد لتقويتها وقد يستبق
أن هذا العبارة والمعنى من أهم ما في اللغة ما ذكرناه بجملة تؤخذ
أما في هذا التحسين الذي فحصل مما أجبنا به أن السؤال المذكور ساقط
من حيث النظر المعنوي وجوابه من حيث النظر اللفظي ما ذكرناه والله أعلم

الفرع الرابع والعشرون في التقسيم

وهو جعل المتكلم في ضمن كلامه كلاما اجنبيا من قران او شعر او مثل سائر متماثله ومنتظما في سلك غير منسق قابلا لشهرته او تصرح بانه لغيره في الجملة وهو يزيد الكلام طلاوة ويلبسه رونقا وحلاوة وهو ضربان احدهما ما لا يتم الكلام دونه ويسمى تضمين الاسناد اي يستند المعنى في تمامه الى الجزء المتضمن كقول القائل :

ولما اتاني من جناب تحية تضوع من ارجائها المسك والند :
ويغب فاعتنقنا الرسول تيمنا لا واشدته بيتا له المثل الفرد :
وحدثني يا سعد عنها فزدتني جوى فزدني من حديثك يا سعد :

فالبيت الاخير هو حكاية الاسناد في الذي قبله فلا يتم الكلام الا بذكره وربما لو حذف عنه الكلام ما قبله ظاهرة والثاني ما يتم الكلام بدونه لصحبته ان ياتيه الكاتب في خطبته كقوله فيا ايها الغفلة المطرقون اما انتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم منه لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وهذا اكثر في خطبه وكقول الحطيط

ثم فاسقنيها يا غلام وغنني ذهب الذين يعاش في اكنافهم :
وهذا نصف بيت للبيد تمامه : وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ويجوز تضمين البيت كاملا ونصفه كما سبق وهاهنا امران يستحسن بهما التضمين ولنسا احدهما الاشارة في اثناء الكلام الى مثل او شعر نادر كقول علي رضي الله عنه في خطبته الشقشقية : شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر وتسمى التلميح ويتميز عن التضمين بانه ليس من تمام الكلام والاستشهاد في ذلك بل هو بمنزلة من مشى في طريق فعدل عنه لعارض ثم رجع ولو نزل لتم الكلام بدونه والثاني ان يذكر قائل الكلام اما باسمه كقول الحريري فقد احسن المتنبي حيث قال وما رات له نجم نحو بني وانما لسيفه

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال :

او بصفته كاديب او شاعر او اشارة ما يدل على انه لغيره كقول القائل المتقدم : كذا واشدته بيتا له المثل الفرد والتضمين ازهدا الاول وهو ما اذا سمي القائل تضمين والله اعلم ۝

النوع الخامس والعشرون الاستدراج

وهو التوصل الى نوع المراد من المخاطب اللطيف من حيث لا يشعر به قول ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا فطلب منه اولا العلة والدليل على استحقاق الجهة العبادة وعن ذلك الدليل على انها لا تستحقها وهو كونها لا تسمع ولا تبصر ومن كان كذلك

فهو حذر أن لا يجني عليك شيئا وأنت حذر أن لا تعبده ثم أسمع من ذلك
يسمعوا قال إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني ولم يصرح له بالجهل
أدبا ولطفا ثم ارتفع عن ذلك قليلا فقال لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصيا فيريد أن يجعلك مثله وهو عدوك ونبه بلفظ الخطاب إلى أبيه
ومناصحته لربه اقتصر على إخباره بمعصية الشيطان للرحمن ولم يصرح بإثبات
عداوته لأبيه ثم ارتفع قليلا فتوعده بالعذاب من غير تصريح بل قال إني أخاف
أن يمسك عذاب من الرحمن هذا مع تصديره كل جملة من الجمل بقوله
يا أبت تقربا إليه واستعطافا فأجابه أبوه بجوابه له أن قال أراغب
أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا فأقبل عليه بفظاظة
عن الحمية إنكارا عنيفا لتقديمه الخبر على المبتدأ وسماه باسمه ولم يقل له يا بني
كما قال هو له يا أبت وتوعده بالرجم توعدا مؤكدا لا تعريضا كما قال
هو له أي أخاف أن يمسك وأمره بهجرانه مليا الدهر الطويل عقوبة وجفوة
له وكان إبراهيم ما كانه وهذا من باب الاستدراج ومنه قول
قوله مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فاحتج
بالاحتجاج على جهة التقسيم والاستدراج فقال هذا إما كاذب فوبال
كذبه عائد عليه فلا كلام وإما صادق فيصيبكم بعض ما يعدكم به فقدم الكذب

على الصدق وقال بعض الذي يعدكم من كله أن جميع ما وعدهم به وأنهم بعضها
لبعض حقه في نظام الكلام كأنه قال إن قد تضمنت بعض حقه وحقن لمابرة
فكيف بكم لو استوفيت له حقه في جدالكم أو تعصبت له فرده على خصمه
ثم أتمه التقسيم وهو قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
أي هذا أقبح صفة للإنسان فلا تكون كاذبا فيكون صادقا فاقبلوا منكم أيها نصحه
فهذا هو المقصود بالاستدراج توسل المسالك المقدمات والله أعلم
وهكذا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ما تعبدون
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فإن في هذه القصة أنواعا
من اللطف والاستدراج ٥

النوع [illegible] في الإرصاد

وهو معرفة السامع قافية البيت أو فاصلة النثر من تمام معنى كلام
كقول النابغة

فدًى لامرئ سارت إليه بعذرة ... ركابي وخالي
ولو كف اليمين بغتك خوفا ... لأفردت اليمين من الشمال

فإن من سمع لفظ اليمين في أول البيت بعد معرفته أن الشعر على قافية اللام
علم أن لفظ الشمال في آخره وكذا قول البحتري

أحلت دمي من غير جرم وحرمت ... بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فلبس الذي حللته بمحلل ولبس الذي حرمته بحرام

فان السامع لا يخفى عليه آخر هذا البيت من سماع اوله ومن هذا القبيل ما جرى ان جريرا والفرزدق كانا يتهاجيان فانشد جرير بحضرة الفرزدق قصيدته التي هجا بها الراعي بقوله فيها

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

الى ان انتهى الى قوله

لها برص بجانب استها. واحس الفرزدق بتمام البيت فغطا عنفقته بيده فقال جرير كعنفقة الفرزدق حين شابا

فما اغنى عن الفرزدق تغطيته عنفقته شيا. ومن الارصاد قوله تعالى فما كان الله ليظلمهم فالسامع لهذا يدري ان آخر الآية تظلمون وقوله تعالى كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت فالسامع لهذا يعلم ان بعده لبيت العنكبوت ونظائر هذا كثيرة وهذا مما يدلك على ان اعجاز الملائم والناظر الى اول الكلام لا يدل على آخره الا لسبب ارتباطه به وذلك اهم مطالب هذا العلم كما سبق وفي الاختصار بذلك اشارة الى السامع

حتى اذا انشدت في القوم من طرب صدورها علمت منها قوافيها

ينشد لها الراوي العجلان حاجته ويستنبط الحاسد الغضبان بطرفها

وابو هلال يسمي هذا النوع التوشيح وتسميته بالارصاد اولى لان السامع من هذا القافية في نفسه اي يعدها الحذق حتى يعرفها بالحس

والتوشيح ما ذكره وقريب من هذا تسمية العاني ذكر الشاعر زيادة لا بد القافية تم المعنى بدونها تبليغا ومثله بقول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

ثم ذكر قول ذي الرمة

قف العيس في اطلال مية فاسأل رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فسماه الايغال والتوشيح سواء اذا التشبيه قبلها تم بدون المسلسل كما تم بدون قوله الذي لم يثقب وابو هلال يسمي هذين النوعين ايغالا وهو انسب والاسماء اللغة متقاربة والنوعان واحد وفيه شبه ما مما جعل ان الاشعر مثالا للاطناب وقد سبق والاطراف في الوصف كقول امرئ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وهو كالايغال لكن المعنى منه

النوع السابع والعشرون في التوشيح

وهو جعل القصيدة تتضمن الجزء وقافيتين فيكون الزائد من احد الجزئين على الاخر كالوشاح كقول القائل

اسلم ودمت على الحوادث مارسا ركنا ثبيرا او هضاب حراء

وتلك المراد مكانه على رغم الدهور قد يطول بقاؤها :.

وهو قول الحريري :.

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار :.

دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا بعدا لها من دار :.

الى اخرها وقد رايت شعرا يتضمن القصيدة سنة عشر ابحرا واكثر ومما يسمى

ان يضاف الى البيت كلامه مما يسير ببعض نحوا كقول القايل :.

فاذا ذكرتها في الاماني وان فاتت فذاك غدير جال :.

توتجه بعضهم فقال :.

كالمرخ والعفار والاسعى الى الغرجال :.

والملتقى في للابتهام ما ب فازداد دفها الى اخر البيت الاول :.

وقد وجدت متصورا ان ذربي ولا عيا نجرا الى اولها :.

اسائل الرائي نائي من الخيل :.

ونسبه ان يسا في الروح التي اولها . هبطت اليك من المحل الارفع .

وكثير من الاشعار المشهورة هكذا والله اعلم ٥

النوع الثامن والعشرون

في الاخذ والسرقة

واعلم ان المولف بلفظا ومعنى ان تيسر لم يسر اليه فليس من هذا الباب

وان يسمو اليه فان لم يكن لفظ السابق وهو النسخ ما لم يكن تعسفا ماخوذ

من هذا الباب اذا تعلق لفظه وان غير لفظه او اورده في معرض

جميل وهيئة حسنة تساوي الاول او تزيد عليه فهو السلخ الا انه لسف

بعض الى المسلوح وان اورده في معرض ردي وهيئة قبيحة فهو المسخ

اما النسخ فله صور اعدها من ان يعرف الناس في كلام الاول بتغيير

حيث بتقديم او تاخير الثالث ان يعرف فيه حذف بعضه الثالثه

ان يأتي بعضه من غير تعرف فيه امثلة قول امري القيس :.

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل :.

وقال طرفة بن العبد ذلك بعينه الا انه قال وتجلد وكما حكى ان

ابن نادر انشد :.

لديه وتلاقت اذا ما سالته تهلل واهتز اهتزاز المهند :.

فقال له ابو هفان اما هذا شعر فلان حتى شاعر امد لوز الامير السماح

قال اسالك الا من ليت اي شاعر حيث وانفت فلانا والله ما هي قوله

الا على حي الساعة وقد روي لابي تمام والبحتري جميعا :.

والمرتشي بالفال البارد :.

قالت ابن الاثير وهذا وامثاله لا فيه الكاظم وان الثاني اخذه من الاول

فليس الثاني بذلك وقد ابرحنا المحقق يحتاج الى تسهيل وقوان

الثاني ان كان فاصلاً تقتضيه تلك ذلك الكلام من مثله نسبت الى فضيلة
ودرايته وجعل من باب توارد الخاطر وتوافق الحافر والانسب الى
السرقة والمعدة الغيث واما من حيث الثقة فيحتمل الخلاف مطلقاً لعادة من
الاصليين اما لزوم العيب فلان الاصل عدم السرقة فالظاهر التوارد
والله اعلم ۞ واما السلخ وهو اخذ المعنى دون اللفظ فلانه
فيذاد لا تستغني الثاني عن استعانة المعاني ممن تقدمه وقد قال علي رضي
الله عنه لولا ان الكلام يعاد لنفد ولان المعاني مشتركة واما التفاضل في
حوكه الصناعة اللفظية وتحسين السبك كما قال بعضهم ابو
عقد الكلام من قبله لفظه على معناه ۞ والحسنة فاستعان المعاني
وتداولها الجماع من العالم حتى يتمكن للثاني مراعاة ما قدمنا ذكره من ان لذ
المعاني المستعارة في تركيب بديع ونظم انيق وتاريخ في رصافة ان امكنه
ومن ذلك ان احدهما ان يزيد الثاني على الاول شيئاً فمن امثلته ذلك قول
العرب القتل انفى للقتل لكن القران نص لقوله تعالى ولكم في القصاص
حياة وهو احسن وابدع لانه احضر في الحروف واعدل في المخارج
وخلوه عن التكرار وفيه ذكر القصاص المشعر بالتساوي والعدل
والدلالة على حصول الغرض المراد ليس كل قتل ينفي القتل بل اذا كان قصاصاً اما
العدوان فانه موقع الهرج ومثار القتل ثم نظم الشاعر هذه المعنى فقال

125 / 126

بينك الدنيا كالماء الجاري يخفض الدنيا والسيل يحوط سيرس المال
ثم قال الاحوص
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
ومنها قول بعض العرب
حمى ذوي الاضغان تسبي عقولهم تحيتك الحسنى وقد ترقع النعل
وان دحسوا بالقول فاصفح تكرماً وان كتموا عنك الحديث فلا تسل
فان الذي يوذيك منه سماعه وان الذي قالوا وراءك لم يقل
لكن القرآن قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وهو احصر حروفاً واحسن تركيباً وطباقاً
واعلم ان جعلنا القران في هذين المثالين ثانياً للكلام العرب انما هو
باعتبار النزول ولما باعتبار الوجود فالقران قبل كلام من كلامهم العرب
ولها قول النابغة اذا ما غزى بالجيش البيتين المذكورين
في باب الافراط احد الافوه معناهما فقال
وترى الطير على اثارنا راي عين ثقة ان ستمار
وهو احصر واحسن ومثل هذا ايضاً الثاني احق بالمعنى الاول
ومنها قول بشار
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال مسلم الخاسر

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

فلما سمع به بشار قال ذهب بداني القائل وبها قول العاصه

كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنه

فاخذه ابو تمام فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فان المعنى وعكسه ومنها قوله ايضا

فان لم يجد في قسمه العز حيلة وجاز له الاعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر بربه وشاركهم في صومه وصلاته

فقال المتنبي ٥

فلو يممتهم في الحشر تجد ولا عطوك الذي صلوا وصاموا

وهو ابسط لفظا واوجز معنى ٥ ومنها قول بعضهم شعرا

احق من اثبت لك العذر في حال شغلك من لم يخل ساعة من بر لك

وقت فراغك فاخذه اخر بعده فقال في شكر ما تقدم من احسانك

شاغل عن استبطا ما اخر منه فزاد في المعنى واوجز في اللفظ ثم

قال ابو نواس

لا تسدين الي عارفة حتى اقوم بشكر ما سلفا

وهو ابدع واحسن ٥ تنبيه لما كان الانسان اصابه في نفسه

لا ينبغي بداية ذهب ناحيته البشاعة ومعاقبة على اهتمام اموره وبلوغ

اغراضه ومن لوازم ذلك اعلام ما في ضميره عن فاقتضت حكمة

الخالق سبحانه وتعالى وضع ما يعلم ويستدل به دون كل الا انه الكلمة

لانها اسهل ما يكون من الوضع وعرف له تلك من حيث اوسابه او كافيه

فلم يرد هذا الا اصل وضع هذه الالة لاجل الضرورة وما نحن للضرورة تقدر

بقدرها الاستلزام استطاع الكل باستطاع معلولها وهذا يقتضي ان يرتب

اخذ ما الغرض حيث امكن الاكتفا تما لنا منه بدون الكلام كان اولى والهداهه

المعتزلة كلام الله تعالى اسند لانهم قالوا فايدة الكلام اخبار المخاطبين بما

يحتاجون اليه في التكليف وهو يمكن به تعالى بدون الكلام بان يخلق فيهم

العلم بذلك او يخلق كلاما في محل ما يعلمون ذلك به وحينئذ اثبات الكلام

له مع جواز الاستغنا عنه عبث وتوضيح الرد عليهم عرفا فشاء ان اللد

الذي اثر الايهام بلفظ او حرف كان اولى واحسن وهذا معنى قولهم

خير الكلام ما قل ودل الا لضرورة كقوله

الكلب حتى بلغت اباكا وقوله قد صمت ابا ام الا بر البيت

ولذلك افتخر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصارا فحصل من هذا ان اللفظ ومعناه اما متساويان

وبقائه على الالفاظ والمعاني باعتبار الفصاحة والبلاغة

او اللذة وحسن منظر او بالعكس فالاول التقدير والثاني الايجاب والثالث الاعتبار بالقصر والرابع التطويل وقد سبقت احكامها في باب الاطناب العرب الذي ان سبقوا كقول بشار:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء:

فقال الاخر بعده:

يزحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام:

وكقول الاخر:

ما انت الا جهة تبت دعا الى اكله اضطراره:

فقال الاخر بعده:

وان بقوم سوددا لا تجاجة السيد لو تطرون بيتيه:

ومن احسن ما وقع في هذا الباب من تناول جماعة معنى بعضهم من بعض قول الاعشى: وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها:

ثم قال قيس بن الملوح:

تداويت من ليلى بليلى عن الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر:

ثم اخذه ابو نواس فقال:

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فالتي المعنى في لفظ اخصر ثم اخذه ابن مفرج البحراني فقال

وداويتك من داء الهموم بها فما يسوي موته بالياس لحياه في وانا اعلم واما المسخ فهو عيب وسالة ما سبق من قول الشريف الرضي احن الى ما تضمن الخمر والحلى واصدف عنها في ان الا ورع فمسخه ابو الطيب بقوله:

او على شغفي بما في خمرها لا عففت عما في سراويلاتها:

فائدة قد تقدم ذكر ادب في كتاب ابن الاثير من ابي حفص الاسلام له مسالة وانا انظرت بين الانساب علمت ذلك والله اعلم حكايته اختلف اهل الحديث في روايته بالمعنى والجمهور على جوازه كما تقرر وعلى القولين فالمسخ والسلخ ما سواه وان في تصنيفه على ترتيب التصانيف لا على سند الحديث ولا شبه مثل ان ياخذ كما ترتيبا على تراجم الرواة كمسند احمد واسحاق او على طبقاتهم فرتبه على حروف المعجم باعتبار الرواة كجامع المسانيد مختصر الحميدي لابن الحنبلي الدمشقي او باعتبار المتون كمشارق الانوار للصغاني او على ابواب الفقه ككتب الاحكام والله اعلم

النوع التاسع والعشرون في المعاظلة

وهي تداخل معاني الكلام وتراكبها والتقديم والتاخير المذموم كما سبق في بابه من قول الفرزدق وما مثله في الناس الا ... وكما تقدم في القسم المداخلة واسما فهما من تمالك الجراد اذا اذا ركب احدهما

الاخرى وهي صحيحة تحت احتيابها ووصف عمر رضي الله عنه زهيرا
اذ اثنى عليه فقال كان لا يعاظل بين الكلام وهذا آخر الانواع المعنوية
لكونه ذا انس ... يوما اخر ومنها استعمل المولد نظما او نثرا الفاظ
المتكلمين والنحاة والمهندسين وعدوه لان المتكلم في علم ينبغي ان يستعمل
الفاظ ذلك العلم واصطلاح اهله ومثل ذلك قول ابي تمام

مودة ذهب اثمارها شبه وهمة جوهر معروضها ...

وقوله في ... اسماء

خرقا يلعب المعقول حبابها كتلعب الافعال بالاسماء

وهذا ضعيف جدا لان المتكلم اذا احتج في كلامه من الفاظ اهل السوق
والصناعات واصطلاحاتهم كان ذلك ادل على فضله وعرفانه بعلمه واجد
سوق الدواعي على سماع كلامه واستحسانه واستجادته لانه يصير كالطعام الجامع
الوانا ما تسوق اليه اسلبها الى اللون الواحد كمقامات الحريري
حيث جمعت انواع الادب وتعابير الطرف العجب وكتاب
شرح السنة حيث جمع من صحيح المنقول وصريح المعقول من الفروع
والاصول وغريب الحديث ونحوه من الفوائد وكتاب المحصل
حيث جمع فيه بين تحرير مذهب المتكلمين والفلاسفة ولذلك كثر
قراءته والمشتغلون به والانتفاع به وذكرنا لهذه الامثلة من

قبيل ما عن قصده وعرضه والله اعلم

وأما اللفظية فسبعة انواع

الاول في السجع والازدواج

وهو تواطؤ الفواصل الكلام المسجوع على حرف واحد او حرفين متقاربين وهو
من محاسن الكلام لوروده في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام
الصحابة كثيرا وقد ذمه قوم ولا وجه له لاعتراضهم عليه ولهم شبهتان
احداهما نهيه عليه السلام عن السجع في الدعاء وجوابها ان ذلك فيما اذا كان
السجع تكلفا لانه اذن يلهي عن الخشوع الذي هو اكبر مقاصد الدعاء
ولانه عليه السلام قال اعوذ بك من عين لا تدمع وقلب لا يخشع
ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع اعوذ بك من هؤلاء الاربع وهذا
سجع ولكنه لفصاحته صلى الله عليه وسلم لم يظهر التكلف فيه الثانية قوله صلى الله
عليه وسلم للحاكم من الصحابة لما قال كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا
استهل ومثل ذلك يطل اسجع كسجع الاعراب فذم السجع وجوابها من وجهين
احدهما انه ذم تجنيسه لانه ما يريد به حكما في ابطال ضمان الجنين كما قال
احكم علم الله وتابعني بسجع كسجع الكهان الثاني انه لم يذم السجع مطلقا
بل ما اشبه سجع الكهان والاعراب ... انه عليه السلام قد
اخرج بعض الالفاظ على اسلوب القياس لمراعاة السجع نحو ان ...

ماذورات غير ماجورات وكقوله للحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة والاصل موزورات
ونظيره ونحوه قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة والاصل اقامة وذلك دليل
قاطع في فضيلته ثم المحمود من السجع ما كان كما قيل لبعضهم ما احسن
السجع فقال ما راق في السمع قيل ثم ماذا قال ما لم يشم منه امارات
من تكلف وتعسف حتى كانه نشأ من جبلة الطبيعة ونفاسته فلو رادف
سجعا جليا ثم السجع اما من متكلم واحد كما سبق من حديثه عليه السلام
وهو الاكثر او من متكلمين كما مر من الثنا ليس انا وكقوله عليه
السلام من قتل قالوا ابن الاكوع قال له سلبه اجمع ثم ان فصل الكلام
المسجوع اما ان يتفقا في عدد الحروف او يتساويا وعلى العدد ب
ايا ان يتفقا في نوع الحرف الاخير او يختلفا فهي اربعة اقسام الاول
اتفاقهما في عدد الحروف وفي نوع الحرف الاخير كقوله تعالى فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وكقوله تعالى والعاديات ضبحا
فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا
وكقول علي عليه السلام لمن الوفاق بنفاق وكثرة الخلاف سفاف
ومنه المتوازي الثاني اتفاقهما في عدد الحروف واختلافهما في
نوع الحرف الاخير كقوله تعالى لا تدخلوا ابواب الجحيم فهم في

180 ١٢١

عجبهم وثب دعدا ثنانا اما دعد كبرن شبحي ؛ وقوله تعقبهم
بنفلا جانك الترس ماخب كرام ملا العماد ؛

النوع الرابع اختلاف اللفظين

في تقديم بعض الحروف وتاخيرها وليس عكسا تاما
كقول ابي تمام ؛

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب ؛

وقول البحتري ؛

حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعدا حتف ؛

ومما يناسب ذلك ما ذكره وان لم يكن منه ان من لغة العرب القلب وهو اما
في الالفاظ كقولهم جذب وجبذ واوباش الناس واوشابهم وطلبوا
وطبلوا وبرى وربى واما في المعاني كقولهم الناقة وتعسة
الرحم وقول روبة ؛ ومهمه مغبرة ارجاوه كان لون ارضه سماوه ؛
وقال مر الدلوب في قوله تعالى خلق الانسان من عجل اي العجل من الانسان
وذكر ادرهته في مشكل القران مما امكن وقوله عليه السلام زينوا القران
باصواتكم اي اصواتكم بالقران وكلاهما خلاف الظاهر ومثل هذا
القلب لا يجوز الا بقرينة وهو ادخل من قبيل المجاز او شبهه بالاستعارة
القرينة والله اعلم والذي ليس من العكس اما ان تختلف الكلمات

فيه من جنس اللفظ والشكل وسمي المصحف كقولهم جزل جزلك فسار
فصار ذلك فاحش فاحش فملك فملك بهذا تهدا . وكقول الشاعر
وبينت زينب في بيت فمرتها فقلت قلت صدقا صدقا .
واما من جهة عوارض الكلمة اما باختلافها في هيئة الحركة نحو جنة
الجنة جنة البحر ومن هذا القبيل قولهم المرء حيث يسعى ما دامت
حية تسعى لاختلافها في الرفع والنصب ويحتمل ان يمثل هذا التجنيس التام
لان حركة الاعراب ما هو منفك عن الكلمة فهما حال الوقف على
حركة البرد والبرد او في الحركة والسكون نحو البدعة شرك الشرك
وكقوله عليه السلام اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي او في
التخفيف والتشديد نحو الجاهل اما مفرط او مفرط واما من جهة جزو فيهما
ان زادت احداهما على الاخرى بحرف واحد فهو المذيل لتشبيهها بالحرف
الزايد الذيل وهو اما اوله نحو والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ
المساق او وسط نحو جدي جهدي او اخر نحو لساني تام .
يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب
وان احدهما في انواع الحروف بحرف او حرفين فهو المضارع واللاحق
اما في الكلمة نحو بيني وبينه ليل داجس وطريق طامس او في وسطها نحو
يحسبون انهم يحسنون صنعا ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض

132 ١٣٢

الا كان انسان يتيم مماثلا مِن الهما فاستطاده انسانها ۞

وثانيها كذلك سنفتفن معنى لا صورة قول امرئ القيس ۞

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان ۞

وثالثها طرفين في آخر الصدر والعجز سنفتفن صورة ومعنى قول ابي تمام

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما ۞

ورابعها كذلك سنفتفن صورة لا معنى قول الحريري ۞

فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثالث ۞

وخامسها كذلك سنفتفن في الاسعاف قول البحتري ۞

فسلكنا ان سئلت لنا مطيع وقولك ان سالت لنا مطاع

قلت قد احسن في هذا البيت واساء اما احسانه فهو في مطاع

على مطيع واما اساءته ففي قوله وقولك ان سالت حيث صيره

في حيز السائل وكان الواجب ان يقول امرت ليجعله في حيز الرئيس

الآمر ولانه انسب بمطاع اذ الطاعة موافقة الامر لا موافقة السؤال

ولعله قصد المطابقة بين سئلت وسالت ورد العجز على الصدر في اللفظتين

الا انه اخل بما ذكرناه وهو اهم مما رعاه ونظير هذا قول الفقهاء

والاصوليين اذا تقابلت مفسدة ومصلحة غلب الراجح منهما وهو كهذه

الصورة والله اعلم ۞ وسادسها مختلفين صورة ومعنى سيعقبه في سهمه

لهم

الاشتقاق قوله الحريري ٥

ونصطلي بالجمر الغابي ونطلق الغلق عان

ومثالها احدهما اول البحر والثاني اخره قول الحماسي

ولو لم يكن الا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها

ومثالها ذلك ملتفتين استعمالا لاصورة لقول ابي تمام

نوى بالردى من كان يحسب بالردى وبعد من كان الدهر ليلة العز

واحسن ما سمعت في هذا النوع قول القائل

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها

فانه رد العجز على الصدر في جميع الفاظ البيت وتم زيادة في الصنعة والاقسام لم يستوفها ومأخذها كتابة وتعسف على ما اعتمدناه ٥

النوع السادس الاعنات

وهو التزام حرف قبل حرف الروي في

التقفية كلها او القطعة من النثر

واشتقاقه من قولهم اكمة عنوت اي شاقة السلوك ومنه اعنات الكتب ويسمى ايضا لزوم ما لا يلزم فمثاله في الشعر قول المعري

بنت عن الدنيا ولا بنت لي فيها ولا عرس ولا اخت

وقد تحملت من الوزر ما يعجز ان يحمله البخت

او كقوله الى قوله من كل زوج بهيج وكقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جئتم شيئا ادا الى قوله وفرديه يوما فردا وقوله تعالى والمرسلات
تسليم ولربك فاصبر ونحوه المطرف فالسامر الاخر وكون الفصل الثاني
اقصر من الاول حسن وهذا ورد عليه الشواهد وهو ما اذا اتفقا في عدد
الحروف وفي نوع الحرف الاخير كقوله تعالى ق والقران المجيد الى
قوله حفيظ وكالاية الاخيرة من مريم مع ما قبلها وفوقه كثير واما
السجع بالحروف المتقاربة فكما في سورة ال عمران من الفواصل بالنون
والميم والراء ونحوهما ∴ وكقول ... الراجز ∴

بل ان النبيّ صبي المطلق اللين والمطيم ∴

وقولـــه ∴

اذا ارطت فاجعلوني وسطا اني كبير لا اطيق العندا ∴

ولها نوره كثيرة وتعرف تقارب الحروف من معرفة مخارجها من همس
وجهر واطباق واستعلاء ونحو ذلك واعلم ان التصريع في الكلم كالسجع
في النثر وشبه البيت المصرع باب له مصراعان متساويان وهو في
اول ابيات القصيدة احسن من تركه واما في اثنائها فقد يحسن ما قل
منه دون ما كثر وقد استعمله امرؤ القيس في قوله ∴

افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي ∴

وحمل ان الاسو قوله :

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح منك بامثل :

تصريعا وليس كذلك اذ التصريع ما كان على حرف القافية الاصلي وهو اللام في هذه القصيدة وهذا من فوايد التصريع فتامله :

ومن التصريع قول حاتم الطاي :

اتعرف اطلالا ونويا مهدما كخطك في رق كتابا منمنما :

الا لا تلوماني على ما تقدما كفى بصروف الدهر للمرء محكما :

فاما التصريع بكلمة واحدة فجايز لكنه غير لايق كقول بعضهم

وكل ذي غيبة يوب وغايب الموت لا يوب :

النوع الثاني التجنيس

وهو اتيان الكلام على كلمتين فصاعدا بالقوة او بالفعل من جنس واحد ومادة واحدة وهو اما تام او ناقص فالتام اتحاد اللفظين من كل وجه مع اختلاف معناهما ويسمى المطلق وهو اما بالتصريح او بالاشارة مثال الاول قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ولا اثر للام التعريف في عدم التساوي لانها في تقدير الانفصال كالالف وبيان ليس في القران تجنيس تام سوى هذا ومنه قول الحريري : ولا ملا الراحة من استوطا الراحة

135

ومنه قول المعري

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر انسانا :

وقول الاخر فدتني صوابق دمعها مواقف ساق يحادب موق ساق

وقول الاخر

اذا البلابل الطربت بهديلها فانف البلابل باحتسا بلابل :

وقول الاخر

هل لما فات من تلاق تلاق او لشاك من الصبابة شاكي

وقول الاخر

لا اول نيدي من المرتجي يفتح باب الهوا المرتجا

وقول الاخر

ملك الملك ... كالحبيق قال لي اتبع القران قراني

لطرا عاينني بالمراة او دعاني امت بما اودعاني

وقول الاخر

ما صاح ادري دموعي حتى سار منها سواد عيني بياضا :

وقول البحتري

واغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على اغر محجل :

وهكذا العاني من باب رد العجز على الصدر قول بعضهم :

ونحو قول الاخر قوله :.

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح منك بامثل :.

تصريعا ولنشر كذلك اذا التصريع ما كان على حرف القافية الاصلي وهو اللازم في جميع الابيات وهذا من فوايد التصريع فتامله :.

ومن التصريع قول حاتم الطائي :.

اقرضوا بالملامة وتوبا تمهدا ما الخطلت نجوى كما بانتما :.

الا لا تلوماني على ما تقدما كفى بصروف الدهر للمرء محكما :.

فاما التصريع بكلمة واحدة فجائز لكنه غير لائق كقول بعضهم

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب :.

النوع الثاني التجنيس ۝

وهو استعمال الكلام على كلمتين فصاعدا بالقوة او بالفعل من جنس واحد ومادة واحدة وهو اما تام او ناقص فالتام اتحاد اللفظين من كل وجه مع اختلاف معناهما ويسمى المطلق وهو اما بالتصريح او الاشارة الاول قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ولا اثر للام التعريف في عدم التشابه الا انها في تقدير الانفصال كالثانية وبيانه ليس في القران تجنيسا تاما سوى غير هذا ومنه قول الجريري :. ولاح [illegible] من اسنوطها الراحة

ومنه قول المعري

لم يبق غيرك انسان يلاذ به فلا برحت لعين الدهر انسانا :.

وقول الاخر ومن يحوا بين دمعها فوا انت [illegible]

وقول الاخر

واذا الكأس البلابل [illegible] فانما البلابل [illegible] بلابل :.

وقول الاخر

هلا لما فات من تلاف ملاق او لشاك من الصبابة شاكي :.

وقول الاخر

لو زيد في [illegible] الهوى لم [illegible]

وقول الاخر

[illegible] قال في [illegible] القران قران

[illegible] او دعاني امت بما اودعاني

وقول الاخر

فاما ادري دموعي حتى ما رمها سواد [illegible] :.

وقول البحتري :.

واغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على اغر محجل :.

وذكر العلماء من باب رد العجز على الصدر قول بعضهم :.

وتشتري بجميل السعي ذكرا طيبا النشر ❊

ويغري بسيوف الهند من اثر في النفر ❊

ويشري بيتا من الحمد على شاكلة البحر ❊

وقوله عز قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقد سبق ومثال الناقص وهو التجنيس بالاشارة قولهم ❊

حلقت لحية موسى باسمه وبهرون اذا ما قلبا ❊

اذ هما. حلقت لحية موسى بموسى وقولهم بهرون اي بنوره وقد اسقط من العكس وشبيهات ان سما الله تعالى ونحوه قولهم منو لسمه بهاب او نحو احرقه الله باسمه وفي سيبنوية وتفطويه حرقه او حرقه الله سيب اسمه وشبه الثاني من اخا عليه وفيمن اسمه اسدا او ديك افترسه اسده او ... ونحو ذلك والناقص اما في كلمتين يجد بينا او في كلمات في سورة كلمتين والذي في كلمتين يجد من اما مع العكس اولا والذي مع العكس على انواع الاول عكس الالفاظ من حيث هي الناط كقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ومن كلام البلغاء اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك عادات السادات سادات

العادات وشيم الاحرار احرار الشيم واكثر الحسن بن سهل من العطايا فقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وقد اطبق من قابل من السجع ذلك ومن جملة الزبير الاجود الكثير ليس الاكثر اجود ومن الشعر في ذلك قول ابي حيان بن دوقا ❊

ان الليالي للايام تطوي وتنشرها الاعمار ❊

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار ❊

وقول ابن الرومي ❊

لمواه الردى مني فانحى من اراه بعيدا على قرب قريبا على بعد ❊

وقول الاخر ❊

كم من جار على جواد ومن جواد على جار ❊

وقول الاخر ❊

تلك الثنايا من عقده ما نظمت ام نظم اعقده من ثناياها ❊

قول الاخر ❊

لست ادري ذهبت في فضة نحصها ام فضة في ذهب ❊

وقول الاخر ❊

ورب امري تصيبه في عواقبه تجد ذا اللوم منه كلما خلقا ❊

لم ادر قبل صيته من قبله خلقت علما ام قلبه من صيته خلقا ❊

النوع الثاني عكس الالفاظ من حيث هي حروف وهو ضربان احدهما ان
يعكس جميع اللفظ من اخره الى اوله فيأتي كما اول يعكس كقولنا باب
فان عكسه ايضاً باب ومنه قول بعض البغداديين ٥

مالي اذا عكسته فعلته لطرده ؛

ياغ لكن حفظ ما للشوق في ردده ؛

وهذا العكس نظرت فيه طرائق ثلاث فاوه ولا به حرف واحد بحوده
ولعل هذا النوع من الجوهر وانا التشجير المعروف ٥
الثاني ان لا يكون عكسه كطرده كقول بعضهم وقد اهدى
لصاحب له دستاً ٥

اهديت شيا يقل لولا احدوثة الفال والتبرك

كرسي تفاءلت فيه لما رايت مقلوبه يسرك

وقال الآخر ؛

حب السرور باقبال وآخره اذا ما قلبته تلوث اقبال

تعني لا يباد ٥ النوع الثالث فيما نثرا ما الاعجاز وكقولك
ما كتب كاتب وهو العكس بالنسبة الى الكلم متعدد كقول الجزري

اسما املا اذا امرا وازع اذا المرء اسا ؛

في اباب متعدده وقول الآخر ؛

تعبر الحق فما انتم مرحون وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد
كذا فلا تقهر ولا تنهر وقول البحتري ؛

نسم الروض في ريح شمال وصوب المزن في راح شمول ؛

او الاخر كما قوله عليه السلام الخير معقود في نواصي الخيل وقول
المصري مكل ساجي الطرف اغيد جيد وسهيف الكشحين احوى احور ؛
وقال تعتبه اذا ما الكاتم الا الكاره وقال اللهم ان شاء الله
والثاني وهو في كتاب في سورة كلنا انا استهب الكلمات لفظا
من خط وهو المعروف كقوله ؛

هلم مدا اسد الجام ولا نام لنا ما الذي حرر الجام او جاملنا ؛

وقول الآخر ؛

الحبيش عدمي ارى عدمي اولى دمي ؛

وان اشتبهت خطاً ولفظا فهو المعروف كقوله ؛

اذا ملك لم يكن ذا هبه فدعه فدولته ذاهبه ؛

م التجانس في تماثل بعضها بعضا كما سبق وقد يتفق اللفظ باللفظ
كاملا يساوي معناه . ويسمى تجنيسا تشبيها للثاني بالجنب لتشبيه بالاول
ما ترى عليه وتردد جا للصور الى الاول به زوجا كقولهم لبيد
بغيض نغم ونعيم ديم سم وقولهم من ملك حد ومن قرع بابا ولج ولج

وكقوله تبعهم

اما الغمابر لا تخشى ما بي لبثي من حل الاسعار عاري

فلى اليمنى ذلك المال سعني زلالي من ذوي الاحجار جاري

وقوله تبعهم الوعاظ ◎

اما علمت ان حب الدنيا هم وحب البنا ريان

وسمي المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثنا القرينتين لفظين متشابهي الوزن نحو حيلة من سبا بنبا يقين نبه اقسام التحبير بينا

الثالث في الترصيع ◎

وهو حقيقة في العقد وهو ان يجعل في كل من جانبيه من الجواهر واللالي ما في الاخر وهو في الصناعة استوا الفاظ ندلي الكلام في الوزن فان استوت مع ذلك في القافية فهو التام والا فهو الناقص مثال الاول قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وكقوله ان بانه الحمد عاقدا من الامور بمرام امره وحامدا انه العرو رسوا اسم ملزه ونظايره كثيرة مثال الثاني قوله عليه السلام في كتاب الله عن لا تنهدم اركانه وعز لا تهدم اعوانه فان حز ليس على قافية عز

وقوله ما نظيرا بجمال الوجه تهادا اندية فوال عملا جواب افاق فان جمال ليس على قافية تهاد وكذلك ليس على قافية اندية والاوزان افاق وكذا قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار

وقول الاخر

سود ذوايبها بيض ترايبها محض ضرايبها صيغت من الكرم

وقول البحتري

من كل حر غبة حتى غرايبها يكاد يطلعها سود ذوايبها

وقوله سمان العدى ختم الندى مانع الردى بعيد المدى يعلونه من بطاد

النوع الرابع في الموازنة

وهي استوا اوزان الفاصل والكلام به رونق وطلاوة لما في ذلك من الاعتدال المطلوب طبعا وذلك كقول الله تعالى وايتناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وبخوفانه بمحل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وسا لهم يوم القيامة حملا ونحو او يحدث لهم ذكرا الى قوله وقل رب زدني علما وامثال ذلك ◎

النوع الخامس في رد العجز على الصدر

وهو ان يجعل في اخر الكلام لفظ سبقه لفظا

في صدره وسميه في الشعر [illegible]

اذ اما في طرفي البيت او حشوان فيه او حشو في احدهما احدهما طرف
في الاخر او ملتقيان في اخر المصراع الاول واول الثاني وعلى التقدير
فاما ان يتفقا صورة ومعنى او معنى فقط او صورة فقط وعلى تقدير فاما
ان يلتقيا في حقيقة الاشتقاق او شبهه ولنورد منه امثلة على
الترتيب كيف اتفق فالمثال لطرفين قوله

سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران

ومثالهما متفقين صورة فقط طرفين قوله

يسار من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار

ومثالهما متفقين صورة معنى لا صورة قوله

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

ومثالهما ملتقيين في الاشتقاق دون الصورة طرفين قوله

ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا

ومثالهما ملتقيين صورة ومعنى واحدهما حشو صدر والاخر طرف
عجز قول ابي تمام

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الاشياء كالمال المضاع

ومثالها كذلك ايضا قول بعضهم

ان تدعو بني [illegible] تجبهم وظلت ان في الثرى تحت

وجمع في هذا المثال [illegible] يعرف جيده من رديه وقد دار الاثر منه
قطعة لم اذكرها الا كمثال هذا الباب وقد يلتزم بعضهم تصغير جميع
كلمات البيت او كلمة القافية كقول بعضهم

عز على ليلى بذي سدير سوء مبيتي ليلة الغمير
مقتضبا نفسي في ضميري تنفض الرعدة في ظهيري

الى اخر الشيء. ومثاله في النثر قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر
واما السائل فلا تنهر ولا يحسن هذا النوع الا اذا جاء طبعا لا تكلفا اذا
تكلف فلا خير فيه وتركه اجود

النوع السابع في تكرير الحرف الواحد

كقوله: وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

قيل انشاده لا يستطاع وهذا البيت من شعر الجن وحرب المذكور
فيه هو حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف جد معاوية بن
ابي سفيان بن حرب قتله الجن في بعض اسفاره وانشدوا هذا الشعر
وذكر الخشني في كتاب الاعلام قصة طويلة عجيبة
والمثال ذكرها في سوق الاشراف من الكتاب
وليس هذا النوع مما يستحسن تكرير الالفاظ والمعاني شيء والله اعلم

١٤٥

141

بالسؤال ـــــــ ٥

الجواب ـــــــ

والحمد لله رب العالمين
ولا حول ولا قوة الا بالله
العزيز الحكيم وصلى الله على
محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وجوب النظر المتفرع على ثبوت الشرع المتفرع على ثبوت المعجز الذي هو القرآن
الموقوف على في اعلى مراتب علم البيان والا لم يتحقق اعجازه وحينئذ توقف
تعليل الافعال مبني على علم البيان بالوسائط المذكورة فلو كان علم البيان متوقفا
على تعليل الافعال لزم الدور وانه محال الثاني اثبات تعليل الافعال
بالدليل وقد قرر في مواضع الثالث منع ان هذا مسلم لك في القرآن
لكونه من افعال الله تعالى عندك وانها غير معللة حتى يسلم لك في كلام
الادمي الذي هو من افعالهم والتعليل فيها لازم اتفاقا ولا شك انا وهنا
البحث في مطلق الكلام لا في خصوص كونه قرآنا واما قولك انه مبني على
استحالة الترجيح من غير مرجح وهو ممنوع فجوابه باثبات استحالته بالدليل
وقد قررته في كتاب بغية السائل ولخصته هنا فاقول ان حقيقة
الترجيح بلا مرجح انه فعل بلا فاعل واثر بلا مؤثر وهو محال والمانعون
لاستحالته انما جوزوه لشبه ذكروها وما توهموا انها اشتملت على الترجيح
من غير مرجح فمنها ان اختصاص كل واحد من كواكب الفلك بموضعه
منه ترجيح بلا مرجح لاستواء نسبته الى كل موضع من الفلك وجوابها
من وجهين احدهما منع استواء النسبة لجواز مناسبة طبيعته ومن
شرط المخصوص من الفلك الثاني ان المرجح عندنا تخصيص القادر المختار
الكامل الاختيار ومنها ان وجود العالم الكلي وسائر جزئياته في وقت

وجوده المخصوص دون ما قبله وبعده ترجيح من غير مرجح وجوابها
ما سبق في التي قبلها ومنها ان الهارب من عدو اذا تبع عرض له
طريقان مستويان من كل وجه فسلك احدهما والكائن بيده في الاكل
باحد الرغيفين بل باحد جانبي الرغيف دون باقيها ترجيح من غير مرجح وجواب
هذه الصور منع عدم المرجح فيها كما هو محقق وتقريره مطول ذكرته في
كتاب البغية فان دليلنا ... وما ذكره ومطاعنه يحتمل فلا نجاريه
ولنختم هذا اخر الكلام في المقدمة واما الجملتان فيها لان مقدار هذا العلم على
مباحثها المذكورة والله التوفيق ٥

واما الجملة الاولى ففي احكامه وفيها بابان

الاول في مقدماته الاولية التي ينبغي الابتداء بها وفيه فصول

الاول في آلات التأليف وهي مقدمة الى معرفة وجوه التعبير بها والعلم
ان كل مركب او مؤلف فلا بد لوجوده من علة وشرط موقف اثرها
عليه وانواع العلة التامة اربعة المادية كالخشب للسرير والفاعلية كالنجار
والصورية ككونه مربعا ذا قوائم والغائية ما اراده في النوم عليه
لا تسر النوم فيتبعه هذا وهي اعني الغاية سابقة وجودا متقدمة تصورا
فلذلك سميت علة العلل وعلة الكلام المؤلف المادية الحروف والالفا

والنا علية المولف والصورية وضع كل لفظ موضوعة اللايوية في الصناعة
والغاية فهم معناه لا ايرادا لعينه واشغاعها به وشرط امر هذه العلة
في وجود التاليف تركيب لمنع فالمراد محبب اليه من رحمه الله تعالى
لكون حاملا للمعنى بالقوة ثم يخرج بتحصيل الالة المذكورة الى الفعل
والافكار الانسان المحاول للتاليف دون تركيب تلك العالية كالعاوج
في غير حراق او الغا بيل لمراة مذيبة لا تنفك الا بالطباع ثم الفاعلية قد تكون
عامة بحيث تقبل من كانت به جميع العلوم وقد تكون خاصة بحيث لا
يشتمل صاحبها الا بعضها كعقد او طب او نحو وكذلك فاعلية التاليف
اذ قد يكون الانسان عارفا بصناعة النظم والنثر جميعا وقد يكون عارفا
باحدهما فقط مع استوائهما في مادة القسمين وهو اعني الات
التاليف ضربان احدهما عام تشترك فيه النظم والنثر وهو سبعة
انواع الاول معرفة العربية من نحو وتصريف وادغام اما النحو فلا
به تقسيم معاني الكلام وتصان عرى ما ليعقد من الاخلال والانفصام
ولهذا قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام اى لا يصلح الا به لا ان يستوي
مفسد له كثرة الملح للطعام ومثاله المشهور لو قال قايل ما احسن
زيد مسكون النون والدال غير معرب لا التبس النفي بالاستفهام
بالتعجب ولم نعلم ما اراد ولو اعرب لفهمنا المراد اذا الرفع على النفي

والجر على الاستفهام والنصب على التعجب وقد ذكرت في كتاب
فضل العربية امثلة كثيرة من هذا الباب ۝ واما التصريف
والادغام فما بهما كالنحو في صون الكلام عن الاختلال والمتكلم
لحون اللحن والمثال لشكا سيابي واورد ان الاشعر رحمه الله على
نفسه بسوال اطنب فيه وفي جوابه وتلخيص السوال ان وجوب
معرفة النحو على المولف مسلم لكن وجوب معرفة التصريف والادغام
ممنوع اذ الالفاظ المشتملة عليهما منقولة بصيغتها وهياتها من العرب
فهو يستعملها كما سمعها ولا حاجة له الى معرفة اصلها كما اذا استعمل
مثلا مرد احا ومرجل معف الجال استعملها بهذه الصيغة الواردة ولا
يلزمه معرفة زيادة الف مرذاخ ولا ان اصل صفة الجال منيف
وانه سكن اول اللين وادغم لاجتماعهما وملخص جوابه ان علم توجيه الطعن
عليه في هذه الصورة وامثالها لا يوجب علم توجهه عليه في كل
صورة فان النحوي غير الصرفي لو سيل عن تصغير اضطراب وجوز
ما قلت تا الافتعال فيه كما لقال مطيرب وهو مبلغه من العلم اذ
هذا مقتضى تقرير النحاة في التصغير اما رد الطالب اصلها التاء بحيث
يقول مضيرب بحكم تقريب اهل النحاة احاله على التصريف ولو
قيل للشاعر وهو قيس الملوح المعروف بمجنون ليلى في قوله ۝

ادعى في كلاءة الرحمن انت مني في ذمة وامان ٭
ترخيمي وللجيد منك للبلي والجش والثغام والعثيان ٭

لم قلت ترخيمي والاول ترخيمين بنو تين لم لم يكن له عند الا الادغام
لاجتماع المثلين ثم حذف لضرورة الشعر . فهذا الحرف المحض جوابه
واما صحيح لكن لا في مثال البين بل اما مطيري فلانه حكى الترام بعين
بالكلمتين العلة الموجبة لابدالها من التاء في التركيب تحصيل المناسبة
من حرفين مستعليين اطباقيين مجهورين وهما الصاد والطاء والمراد
من المناسبة بين مخرج الصاد والتاء وهي بعينها موجودة في التصغير
الا انها احق لكن ذلك عن قادح اذ العلة قد تقوى وتضعف
وتاثيرها في الحكم باق واما ترخيمي فلا نسلم ان لا عذر له الا الادغام
ثم التخفيف بل العذر التخفيف ابتداء للضرورة فان ضرورة الشعر تجيز
حذف الحرف والحرفين ونقص واحد من العقد كقول لبيد ٭
درس المنا بمتالع فابان . اي المنازل بمتالع فابان اسم جبلين هو
علم عليهما وكقوله ٭ تخزى ام البنين الاربعة ٭ وامام خمسة
حذف اجتمع للضرورة وامثاله كثير فحذف النون من ترخيمي
ابدا لذلك اولى والجواب الصحيح عندي ترك
الجواب لهذا المعترض الناعي لغاية التعريف والادغام فانه عامي سمنه

ومعه ٭ اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت ٭
وانما الجواب من احترام عالم وان رغب بالجواب
فاقول التعريف ميزان تعرف به اصل الكلم من زائده ومعرفة
الاصل من الزائد يضطر اليه النحوي في باب ما لا ينصرف فان من
لا يعرف الحلاف في ان حسان وعسان مشتقا من حس وعس او من
حسن وعسن لم يعلم ان في صرفهما وعدمه وجهين مصححين وكذا الوجهان
في نون ونحو في القران وهذا ابن بابا زمخوي تعدادا في عصره ذكره في قواعد
المطارحة ان امكن تاخي في قول الاعشى ٭ متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تلجيني تريحي من تصارمين ٭ وان الشجري من اعيان اهل الادب حل من
لامية العرب انه قال فيه في قوله ٭ واستف ترب الارض ان امثلا استفعل
وقد خطي ملك عليها لانه وهم فيه افعول ان تاخي تفعل ونون تريكي تورك
وان استف افعل والصواب امثل وادعيت على مثل هذين مع ان علمهما
في التعريف يجب بمن الاخير في الكلمة ٭ واما في الادغام فلو اجتاح من
لا يعرف احكامه الى الكيف نظما ونثرا يضطر فيه الى ملك الادغام لعدل
الكلام كقول الشاعر ٭ الحمد لله العلي الاجلل ٭
وقول الاخر ٭ اي الجود لا قوام وان ضننوا ٭ ابي الكف
كقول الراجز ٭ يا زل وجنا او فهل ٭ كان تهواها على الكلال ٭

لئلا اختبر من منبت في بحر او حوت في بر ‹ وان تعرف بجهله الحقه العرو انشاعلم

النوع الثاني معرفة المتداول

المالوف من ارباب صنعة الصناعة من اللغة

ومنه معرفة الاسماء المترادفة كاسما السيف والرمح والاسد والذيب
والخمر وسبيلها الاتساع مجال النظم والنثر ومعرفة الاسما المشتركة
ليستعين بها على استعمال التجنيس وغيره ومما هنا يليق ذكر دلالات
الالفاظ واقسامها ٥ اما الاول فدلالة اللفظ على جميع مسماه يسمى
مطابقة كالانسان على الحيوان الناطق وعلى جزء مسماه من حيث هو جزء
تضمنا كالانسان على الجوهرية وعلى لازم مسماه من حيث هو لازم له التزاما
والاولى وضعية محضة والاخريان اشترك فيها الوضع والعقل ٥

واما اقسامها فستة

احدها المترادفة وهي الالفاظ المتعددة المختلفة الدالة على حقيقة
واحدة مشتقة من ترادف في البهيمة وهي حملها اثنين او اكثر على ظهرها واحدة
وذلك كالعقار والخندريس للخمر المسكر والليث والسبع لهذا السبع والشجاع
والانسان والبشر للادمي وانكر بعضهم الترادف فيها محتجا بان شرط الترادف
قيام كل من المترادفين مقام الاخر ولم يصدق ذلك اذ يصح ان يقال الله
هو لا بشر ولا يصح ان يقال هو لا انسان والجواب بالمنع لم يصح ان يقال

فهو لا انسان انما ذلك من قبيل الطي القول في جواب ما هو بحسب الشرح
وهي الالفاظ المتحدة الدالة بالوضع المساوي على مسميات مختلفة بالحقيقة
كلفظ العين الدال على عين الماء والذهب والعضو الباصر ونحوها ٥
الثالث المتباينة وهي الالفاظ المختلفة الدالة على معان مختلفة بالحقيقة
كلفظ العين الدال على عين الماء والفرس والجماد وقد يتوهم ترادف بعض
المتباينة كالسيف والصارم والمهند واما السيف دل على موضوع
مجرد والصارم على موضوع شديد بالحدة والمهند على نسبة الى الهند
وكذلك الناطق والفصيح والانسان صفة الناطق فلا ترادف فيها الرابع
المتواطئة وهي الالفاظ المتحدة الدالة على مسميات مختلفة الحقيقة
باعتبار معنى مشترك بينها كدلالة الحيوان في انواعه الانسان والفرس
والطائر واشتقاقها من تواطأ القوم على كذا اذا اتفقوا كان هذه المسميات
تواطأت على اشتراكها في المعنى المشترك الحيوانية مثلا ٥
الخامس المشككة وهي كل اسم دل على مسميين فاكثر بمعنى يتحد في حقيقته
لكنه في بعضها اولى من جهة ما كالموجود المتناول للواجب والممكن
والجوهر والعرض لانه في الواجب والجوهر اولى منه في غيرهما وكالبياض
الذي هو في الثلج اولى من العاج لكونه نجاسته وانما سميت به وسميت
مشككة لان الانسان يشك هل هي مشتركة او متواطئة

لشبهها بالقميص وأول من اخترع لها هذا الاسم ابو علي بن سينا السادس
المشابهة وهي المختلفة المجتمعة المتفقة على عرض ما من اعراضها كالسواد. الانسان
من طير او شيء سمي انسانا بالمشابهة لا بالتواطؤ اذ ليس بينهما معنى حقيقي مشترك
والعلم ان هذا المجاز قد سماه قدامة تشابها وقد ما يعنا. في هذه الالفاظ وقد كان
ممكنا تسميتها احسن من هذا التشبيه لكن ليس هذا موضعه ... والذي
يحتاج اليه في معرفة هذا العلم هو الاقسام الثلاثة الاول لوقوع الاشتباه
فيها اما الثلاثة الاخر فلا يحتاج الى ذكرها في التأليف فائدة بذكر في
هذا النظر لانه ان لم يعرفها ربما اشتبه عليه بعض الثلاثة الاول بها ولان
هذه الستة اقسام لشيء واحد فمتى لم يعرف ما يميز بعضها من بعض افضى الى
اللبس ودفع اللبس من اكبر الفوائد والحاصل ان معرفة تقسيم الالفاظ
على رأي متأخري المنطقيين فانه شيء حسن نحتمعه ۵

النوع الثالث معرفة ايام العرب وامثالهم

اما الامثال فهي جمع مثل وهو قول وجيز يتلقى به عند وقوع سبب
أو حادثة فيصير كالعلامة او الشيء يمثل بما في معناه كما تقدم من قول
النعمان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ، وقول صخر بن عمرو
في السرب ، وقد حيل بين العير والنزوان ، فضرب مثلا لامر
... منه مانع ، وقول الزباء تمرد مارد وعز الابلق ،

فهي خصيصة ارادت قتلها . فاستعملها فصارت مثلا لكل ناصح ۵
واما اذا اراد المثل معنى الا بالنظر الى الاسباب التي وردت عليها والاحوال كمون حقيقته
غير مفيدة في غير موضوع لفظه كقولنا في هذا المثل اعني مثل بيدي لا ينبغ
الكلام من ابان الابان ، وقولهم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر
فان القمر لا يبغي والحال فيه مشهورة فاعتبارها اكثر ، واما ايامهم
فهي اوقاتهم ووقائعهم التي وقعت بينهم من حرب ونحو ذلك من مدح وعار
وفخر وقد يحتاج في نقل الكلام اليه مثل قول الحجاج في خطبته
هذا اوان الشد فاشتدي زيم ، قد لفها الليل بسواق حطم
قد لفها الليل بعصلبي ، وقول بعضهم ، قد انصف القارة من راماها
وقوله شنشنة اعرفها من اخزم ، او الى تشبيه يوم ما ببعض ايامهم
كقول ابي تمام ، ... ووقائع اللاتي نصرت بها ... بدر اقرب النسب
وقول البحتري ، يوم ... بحصن ... والجبل ،
وهذه من ايام العرب في الاسلام . فان لم يكن عنده علم من ذلك بطلت صناعته
او ضعفت وخلت من محاسن ... ذلك وغيره . وقد صنف
في الامثال ابو عبيد والميداني وغيرهما . واجمع ما رايته في ذلك
كتاب الامثال للميداني ، واما ايام العرب ففي كتب التواريخ
منها بعض بها ومنها مشترك تذكر فيه وغيرها والله اعلم ۵

النوع الرابع الاطلاع على كثير من كلام المتقدمين

في فنه ليكون نتائج افكارهم المتفاوتة بمرتبته ياخذ منها ويبني [illegible] ويتفسح له من نظره فيما تسبق اليه مالم يسبق اليه وقد اعترف وبعض السلف الجاهلية على افضلية امامهم لانه تاخر من الايمة وتطرق في اقوالهم فاختار بمقتضى الدليل منها ما والغى زيفها وليس هذا مختصا بنوع من الكلام بل بكل ما حاول المتقدم في علم ولهذا اشترط في المجتهد في الفقه معرفته للخلاف والاجماع ۵

النوع الخامس معرفة الاحكام

السلطانية من امامة وامارة وقضاء ونحوه

مما يستمد من القواعد الشرعية اذ قد يحتاج الكاتب الى انشاء ذلك كعهد امام وتولية امير او عزله او استعطاف بغاة او استمالة خوارج وليس الغرض من ذلك مجرد احكام الفقه والاحكام بانشاء كتاب مرسوم او المقصود به في الواقعة لما يتضمن الترغيب والترهيب ونحوهما من احكام السياسة مشتملا على ما يحتاج اليه فيه من احكام الفروع ۵

النوع السادس والسابع

حفظ الكتاب العزيز وحمله ما للحجة من السنة ليستعمل ذلك في فنون كلامه نصا وحلا واستشهادا اذ الحجة كما فعل ابن نباتة في خطبه قال

لذلك دون ما عليهما على الكلام وتسلط البيان بالنثر ينتفع في الجملة لما فيه من التقاسيم على استخراج فوائده والله اعلم ۵ الضرب الثاني خاص بالنظم دون النثر وهو معرفة العروض والقوافي وما يجوز فيها من زحاف وغيره دون ذوق وذوق وما يمتنع اذ قد يحتاج المنشئ في معرفة شعر كلك صحاح او معرفة بقانونه الموضوع له ثم ان قابلية النظم والطبع النجيب اليه شرط في مقدور النظم المختار والانبذ على النظم نظما مستقيما تمجه الاسماع وينفر منه الطباع ولو كان قائله كالخليل وسيبويه في معرفة الادب والله اعلم

الفصل الثاني في ادب

التاليف وبيان الطريق اليه ۵

وليعلم اولا ان المعاني لها كالالفاظ كالارواح للاجساد وكان قيام البعض بالروح او الجسد بو شيئا في النفس كذا قيام النفس باللفظ او المعنى بوس شيئا في الكلام وهذا الذي ذكرناه يقتضي قسمة وتوازن اللفظ والمعنى اما جيدان باعتبار ما يتاتى في صفاتها وشروطها وهو اعلى مراتب البيان او رديان وهو ادنى مراتب الكلام او اللفظ ردي فقط او المعنى فقط وفيها واستطاف وخيرها الاول لقوة جانب المعنى اذ قد عقد ان المقصود بالذات فينبغي للمنشئ ان يتخير الانشاء ويكسب نشاط نفسه وفراغ باله فان قلبك للذكر الوقت بالتشهير ولا غالب خاطره ساعدا افراسه والجمام من العلم

او حين تشتغل عنه فان ذلك تؤديه وتشين الفاظه ومعانيه ولتعمد الى اشرف
المعاني واحلاها فليودعها احسن الالفاظ واعذبها وادلها واليق بكلامه من التسمية
وليستخرج الذي من مخرج التحرير ولا تعرضه على تعويد ابيعها لمن
شديد الغباوة بهما فان معنى لا لفظ له باقي ولفظ لا معنى له في ميدان
اللاحقة حسيرا كمن ادعى قول القايل تقول سنا علي تقول سنا عليك ليس له
دون قوله : اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل :
ولا لقول في ستعلن قائلي ستتعلن فعلن ادق قوله :
وذي ميت تمنى انه حجر في اليبس حين اكب تلهمه الحجرا :
ويحتاج ذلك ايضا الى قالبه ولطبع مجيب والامتدا خبير المنزلة من نفسه
مع تقدمه في صناعة الادب انه طالما عجز من انشا فيانه وتشبيها في مهم من
اعتدايه من ظنه او شكل لنعمه ولذلك قيل زيادة المنطق على الادب خير من زيادة
الادب على المنطق، ولقد رايت بعد اد رجلا نقالها وهو الشاشي على
يركب الجلب والشعر من معاني تدبيه لا تنبيه في الفاظه عذبه رابقه على
وجه يعجز عنه الادباء والمدرسون وكان تجانة مع ان حسن لحنه تبل الاعراب
الصحيح مع معاني الوزن وسوله ان حاطب كل قوم بما يعرفه من الفاظهم
فاره لك من معاهد البيان الجمة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى
فانه في غاية الوضوح بجهة من لدني تشبيهه بالعرسه تكونهم اغاجم وكان

هو صلى الله عليه وسلم الى العرب في غاية الفصاحة والغرابة لانهم كانوا يفهمون
ذلك، واذا فرغ من انشا كلامه اشتغل بتنقيح الفاظه وترصيف معانيه ومن هنا
من تقديم مؤخر وتاخير مقدم وتبديل شيء باحسن واخف بامثل ليحصل
الالتحام والتعادل وليجعل كان منه متعوما عليه في طبقه سابقه مثاله فيه
فمن ذلك الاصول على نفسه ثم يحتج منها وتقرد ما انشا على ما استقر عليه
حوابه كما قال الخليل رحمه الله ما وضعت شيا حتى عرفت اخره المرتضى
فيه. واما بيان الطريق الى معرفة التاليف فان انشا احوذ الطرق واحرامها
بالوصول هو ان ياخذ المولف للكلام ديباجة ان كان نظما او قصائد ان كان
شاعرا فيكلف نفسه بعد معرفة معانيها وتدبر اوايلها واواخرها وتقرد ذلك
علمه عمل مثلها ان يتم نموذج كل لفظ منها لفظا من عنده يودي معناه:
وتشديد حتى اذا اتى على اخرها اشتغل بتنقيحها وتحقيق اوساط بعضها
ببعض حتى تخيس كلامه وانا اقول لست ان من يحتاج في صناعة الانشا
الى هذا الطريق فانه بيه من لا يشعر واما الطريق الى ذلك عندي ان
يدلك نفسه في النظر في انواع علم العربية نحوا ولغة وصرفا وفي اشعار
العرب وخطبهم واصطلاحاتهم ومواقع كلامهم وفيما انشاه المتاخرون
من نظم ونثر وفي علم المعاني والبيان ونحو ذلك من مواد الطالب حتى يصير
لنفسه بذلك ملكة، وقوة فاذا ساعده مع ذلك من وقاد وقريحة نجيبه

ولمع قابل حصل من الانشاء فوق حرصه وهذه هي طريقة المحول كمن اراد بنا
حايط فاعد له اللبن والاجر والطين ووسعه بحسن ساعته ومما يحكا
اسا المرهف ان الاثر فطريقه مبيانا للمات الذين يجمعون في الالواح
على امثلة المعلمين وطريقتها من اراد بنا حايط جا الى حايط عن يعمل
مثله لبنة لبنة ويعمل على مثالها من عنده ولعل بعض تلك الاوضاع فاسدة فلو
مقلد الواضع في فساده وبانكا في نهاية الاجتهاد. ومن انصف علم ان
طريقتنا هي المثلى وانها احق بالاتباع واولى ٥

الفصل الثالث في الحقيقة والمجاز

اما الحقيقة فمشترك بين ذات الشي وماهيته كقولنا حقيقة الانسان
حيوان ناطق ومنها مقابل المجاز وهو اللفظ المستعمل في موضوعه
المخاطب به عند ارادة الخطاب لغة او لغوية كالصلاة للدعا
والشرعية كذات التحريم والتحليل والعرفية كالدابة لذوات الاربع وهي
منقولة من الحقيقة وهو الدابة لينوبها ما دب وذات الشي او موضوعه اللازم
غير السبيل والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير موضوعه الاصلي
لاشتراكهما في وصف مشهور كالاسد للشجاع والحمار للبليد والبحر للعالم
والجواد بعلة التشابه في الشجاعة لا الجزم كحكايته وفي البلادة والكرم
وتسمى جهة التشابه العلاقة المجوزة وتتعدد اصناف المجاز بحسب

بعد جهات العلاقة وقد يكون منها ما يحشر وهو عشرة اصناف آ اطلاق
اسم السبب على المسبب والاسباب اربعة فاعلي كاطلاق اسم النظر على
الروية نحو قوله تعالى الى ربها ناظرة اي له رابية ونحو نظرت الى هلال اي
رايته لان النظر فعل الفاعل وهو سبب الروية. ومادي كتسمية العنب
خمرا في قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وانما عصر عنبا صار خمرا. وغائية
وهي الحمرة. وصوري كتسمية العقد يدا نحو قوله تعالى حتى يعطوا الجزية
عن يد. ولعله سمي صوريا لان الذهن يبادر منه الملاحظة الى حقيقته وهو
صورة كاليد الحقيقية ههنا وقابل كسيل الوادي في قولك سال الوادي
سيل الماء فيه ب اطلاق اسم المسبب على السبب عكس الاول
كتسمية المرض الشديد موتا ج اطلاق اسم الشي على مشابهه كلفظ
الحمار على البليد وهو المستعار د اطلاق لفظ الضد على ضده
كتسمية العقاب جزاء نحو ذلك جزيناهم ببغيهم. وذلك جزاء الظالمين
اذ حقيقة الجزاء في الثواب نحو ان هذا كان لكم جزاء. ومن هذا نظر
اذ الجزاء لغة المكافاة على الفعل وهو اعم من المكافاة في الخير والشر
وانما المشهور في هذا المثال ومن امثلته شبهه مثلها. ومثل ان الاشهر
هذا بقولهم للاسود والابيض جون وهو وهم لان هذا اشتراك كالقرء
للطهر والحيض لا مجاز ه اطلاق لفظ الكل على الجزء كاطلاق لفظ القران

على بعضه كالسور. والاثبة و التجوز كالملاق لفظ الاسود على الرجل
لسواد جلده اذ الاسود منه بعضه الكل وكقولك لمن بعضه اتقد
الله قبح وجهه اي جملته ز الملاق لفظ ما بالفعل على ما بالقوة كلفظ
المسكر على الخمر قبل شربها ح الملاق لفظ المجاور على مجاوره كلفظ
الراوية على المزادة وحقيقتها الجمل الذي يستقى عليه ولفظ الغائط
والعذرة على الخارج المستقذر من الانسان وحقيقتها المطمئن من
الارض وفنا الدار ط الملاق لفظ الحقيقة العرفية على غيرها
كالدابة للفرس على الحمار عرفا وفي هذا نظر اذ الحقيقة العرفية هي ذوات
الاربع ولعل الاولى في المثال الملاق العرفية على اللغوية كالدابة
للانسان والطائر ي الملاق اسم المتعلق على المتعلق كلفظ العدل
على المقدور وهذا ما ذكره بعضهم وزعم انه المشهور وزاد ابن الاثير
وجوها اخر آ الزيادة في الكلام لغير فائدة نحو فبما رحمة من
الله اي فبرحمة وما زايدة لا معنى لها وهذا وهم فيه لا سيما من مثله
المطلع من علم البيان فان زيادة ما هاهنا تعدل اجزاء الكلام والتشبه من
هذه الاية ونحوها وقد منع ابن السراج في اخرين من النحاة والاصوليين
ان يكون في القران زايد لا معنى له لان ذلك عبث وهو محال وكلما
توهمت زيادته فيه فلفايدة ما ذكرنا من تعديل المعاني ب

المسار الذي لا يخل بمعنى الكلام كاقامة الصفة والمضاف اليه مقام الموصوف
والمضاف نحو ثم يرتم به ربا على ذات الواح ودسر فنسه ونبتدي من اسيل
وسفي ناظره واسال القرية اي سفينة ذات الواح ونبتدي من خلده
اسيل واسال اهل القرية وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قياس
مطرد عند الفارسي ممتنع عند سيبويه فلا يجوز جاني طويل اي رجل طويل
وللاخفش قولان افرادها الفرع ح تسمية الشي باسم اصله كتسمية
الادمي مضغة د تسميته باسم فرعه كقول الشاعر :.
وما العيش الا نومة وتشرق وتمر على راس النخيل وماء :.
فسمي الرطب بسرا لانه فرع الرطب وكتسمية المضغة انسانا ولعل هذين
الوجهين من قبيل تسمية ما بالقوة بما بالفعل وما بالفعل بما بالقوة اذ الرطب
بسر والمضغة انسان بالقوة او من قبيل تسميته بما يؤول اليه ه تسميته
الشي باسم مكانه كتسمية المطر سماء لانه ينزل منها و تسميته الشي بحكمه
كقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فسمى النكاح هبة هكذا ذكره ووجهه
ان حكم النكاح ملك البضع كما ملكته بالهبة فكانه قال ان ملكته بضعها النبي ز
تسمية الشي دواعيه كتسمية الاعتقاد قولا نحو هو يقول بقول الشافعي اي
يعتقد اعتقاده هذا ما قال والمثال عكس الدعوى وصوابه كتسمية القول اعتقادا الا ان
الاعتقاد هو داعية القول وصواب مثاله ان تقول تسمية الشي بدليله لا

النوع الثاني الاستعارة وفيه سبعة عشر نوعا وقد ذكر بعضهم اصناف المجاز خمسة
وعشرين وذكر منها اطلاق اسم العلة على المعلول واللازم على الملزوم والحال على
المحل والاثر على المؤثر والعكس في هذه الصور فهي ثمانية اخر ويمكن استخراج اكثر
من ذلك اذ العلاقات والمناسبات من الاشياء لا تنحصر ۞ ثم ههنا ابحاث
الاول قيل تعرف الحقيقة بوجوه. اما نص اهل اللسان بحد بدما
ح تعقيد بخواصها د المراد ما وفيه نظر لانها في معنا ما لم نعرف لانه عالم ..
لقيام العلم فيستوي العالم على كل ذي علم بخلاف اهل القرية اذ الخبر فيه بسوال
الربع والطلل لانه لا يكفي المراد الحقيقي المذكور من قبيل المراد العلة ومعلولها
• مبادرة الذهن عند الاطلاق اللفظ كسبق الى الماء الكثير عند الاطلاق لفظ
البحر و تجرد اللفظ من القرينة وهي علامة عدمية. والمجاز بالعكس فيعرف
مجازه بالقرينة نحو رايت الاسد في حمام بل حال قبيله سيف مجرد. ايضا ... في
الاطلاق على النادر وبالمقابلة اي وروده مقابلة الحقيقة نحو ومكروا ومكر الله
وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه نظر لانه ان اريد انه لا يرد الا مقابلا فيبطل بقوله
تعالى افامنوا مكر الله وان اريد انه قد وقع لم يفد لان العلامة يجب ان تطرد
وقد ذكر الاصوليون لها علامات اخر ۞ الثاني المجاز يستلزم الحقيقة في
قول لانه فرعها والفرع يستلزم الاصل وفي قول لا يستلزمها لان اللفظ
بعد وضعه قبل استعماله لا حقيقة ولا مجاز ويجوز ان يتجوز به قبل حقيقته

لعلاقة بينهما فيكون مجازا لا حقيقة له ومتوقفا اذ نقل العلاقة يستلزم الاستعمال
اما الحقيقة فلا تستلزم المجاز اذ الاصل لا يستلزم الفرع بالفعل ومثاله اسماء
الاعلام نحو زيد وعمرو لانها وضعت للفرق بين الذوات لا الصفات والمجاز
علق بالصفات اذ العلاقة صفة وكالمعلوم والمجهول والمدلول ونحوها من الاسماء
العامة كل ذلك لا مجاز له فان قلت قد تجوز في الصور باسم الشيء بوصفه فلو سمي العلوم
مجهولا والمجهول كان ذلك مجازا في الاسماء العامة وقد الجم نحو. قلت ما ذكرتها
من التجوز باسم الشيء من صفته صحيح لكن وقد ذكرنا ان المجاز لا يطرد فلا يلزم ما
ذكرت وفي هذا الجواب نظر بناء على المجاز في البحث بعده ۞ الثالث
متى وجدت اركان المجاز وهي المحل والعلاقة جاز الاطلاق واستعماله من
غير احتياج الى نقله من اهل اللسان على الاظهر القولين فيه كالناير والاسعاق
وقد سبق هذا البحث ۞ الرابع قد اشتهر قلبه بعض المجازات حتى انها
بمعنى انها صارت ابلغ في الافهام واسبق الى الافهام نحو قوله تعالى
والصبح اذا تنفس اذ هو ابلغ والمهر واخص من انتشر لتضمنه تشبيه
الليل بالحديد الكثيف المظلم والصبح بظهور النفس اللطيف المشرق ونما
لنفوذه من العين المشرقة عقلا وايضا نسبة انتشار الصبح شاقيا بالظهور
النفس كذلك ۞ واعلم انه انما يعدل الى المجاز للاتساع او التشبيه او
التوكيد نحو فادخلناه في رحمتنا فانه ابلغ من ادخلناه في الرحمة واسماء الجهات

وشبهها المنكرة كنايةً ولذلك يتصيرونها الا يدرك حسا منكرا لها كقول القايل
لو تشخص المعروف لرايتموه حسنا ولو تشخص المنكر لرايتموه قبيحا فمتى عدمت هذه
الاوصاف نفت الحقيقة لاصالتها وعدم القاطع في العدول منها ۞
الخامس اذا كثر المجاز نحو الحقيقة في الاشتهار حتى تحقق حاله فلا يظهر
الا بتلطف دقيق ولهذا ما زاد اكثر اللغة مجازا او يتوهم حقيقة نحو قام زيد وقعد عمرو
وجاء بكر وذهب بشر اى وجد منه القيام والعام مصدر والمصدر جنس يشمل الماضي
والحال والمستقبل من كل فاعل بل لا يحل في جميع اجزايه كيف وجنسه
نحو قومة وقومتين وثلاث قومات و[illegible] حسنا وقبحا والماقايم وساقوم
الماضيا يراه الناس ومع ذلك فلم يوجد من زيد جميع انواع القيام وهكذا ضربت زيدا
وقطع الامير اللص فانك انما ضربت بعضه وقطع بامره ولهذا الخبر زمن اراد
التحقيق بالبدل والتاكيد نحو ضربت زيدا راسه او كتابه وجه الامير وقطع
الامير نفسه يد اللص ووقوع التاكيد في اللغة اقوى دليل على شياع المجاز فيها
ولهذا افردت النحاة باب للتوكيد منها كساير الابواب المهمة ومما يحتج به ليس
الا اني سمعت بعض النحاة يكثر ان المستدرجين سقط الاستدلال بالصورة
الاولى نحو هذا ان قام زيد معناه [illegible] منه قيام والنكرة لا تفيد الجنسية او
ونقيض القيام ويكون اللام للعهود وهو فاية المختص بالقوة او بقول القيام
بعيد الماهية لا الجنس والماهية تكفي في صدقها ثبوتا وحدة فرد من افرادها والسلم

29

الكتاب الثاني وفيه فصول

الاول في الالفاظ وهي ضربان مفردة ومركبة
وكل منهما صفات يستحق بها رتبة الجزالة والجودة ۞

اما المفردة فصفاتها التي تستحق بها ذلك ست الاولى تباعد مخارج حروفها
لما سياتي بيانه وليس المراد التباعد الخارج المستكره المخل بسلسلتها [illegible]
الرداءة بل ان الغالب على الاول الجودة وعلى الثاني الرداءة وقد يكون حسنا
كالجيم والسين والكاف [illegible] ويتركب منها جنس [illegible] لفظا رايقا
جيدا ان وهذا المقام يقتضي ذكر الحروف [illegible] فنقول الحروف جمع
حرف وهو مستعمل في اللغة لمعان احدها الناقة قال ناقة حرف
اى ضامرة وفي شعر كعب حرف ابوها اخوها من مهجنة
[illegible] طرف الشي وحده قال حرف الجبل والسيف لكل منهما ومنه
قلم محرف وشي محرف اى ما يلي من الوسط الى الحرف والطرف ومنه
يعبد الله على حرف اى انحراف عن الحق وقيل الحرف هنا الشك والمعنى
واحد لان الشك انحراف من الاستقامة في الطريقة ومنه انزل القران
على سبعة احرف وقرات بحرف ابي عمرو [illegible] وادوات الكلام نحو من [illegible]
وقد وهل [illegible] حروف الهجاء وتسمى حروف المعجم وبسيط جزء ما
اشتقاقا من الحد والناحية والطرف الذي يسمى حرفا لانها جهات الكلم

ونواحيها وحدودها وما يتعلق بها وهذا القسم هو المبحوث عنه من أحكامه هنا
فنقول الحرف صوت تعرض له بعض معالم الفم لأن الصوت عرض
يخرج مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين معالم
تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى حيث عرض حرفا وهذه التسمية له لأنه طرف
لأن حرف الشيء وجهه يعرض له فيسمى باسمه وشبه بعضهم الحلق والفم بالزمر
والصوت فيها بالنغم فيه وهو تشبيه قريب إذ تختلف أجراس الحروف
باختلاف مقاطعها فيسمع الحرف في مقطع جرسا غير جرسه الآخر في
مقاطعه في الحروف المجهورة والمهموسة والإطباقية ونحوها
ويعرف مخرج الحرف بأن يدخل عليه همزة الوصل ساكنا أو محركا
تقلقله من سكون فتقول أذ أك أق أث أن وكذلك
سائر ما أردت معرفة مخرجه فحيث انتهى جرسه فهو مخرجه والحروف تسعة
وعشرون إلا عند المبرد فإنه أسقط الهمزة حرفا إذ لا صورة لها في الخط ورد
الاعتبار بالمعنى لا الخط ولنذكرها مرتبة على مخارجها وهي ستة عشر مخرجا
ا أقصى الحلق مخرج الهمزة والألف والهاء على ما ذكرها سيبويه وعند الأخفش
الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها ب وسط الحلق مخرج العين والحاء
المهملتين ج أدناه إلى الفم مخرج الغين والخاء د أقصى اللسان وما فوقه
من سقف الحلق مخرج القاف ه أسفل من موضع القاف من الفم قليلا

مخرج الكاف ويسميان لهويين لأن مبدأهما اللهاة في خروجهما و وسط اللسان
مما يليه من سقف الحلق مخرج الجيم والشين والياء المثناة من أسفل وهي
الحروف الشجرية ز أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد
المعجمة وتسمى المنفردة المستطيلة ح حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه
ما بين ذلك وما يليه من الحنك فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية
مخرج اللام ويسمى المنحرف ط طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا
مخرج النون ي مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه
إلى اللام مخرج الراء يا ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مخرج
الطاء والدال والتاء وتسمى النطعية يب ما بين طرف اللسان وفوق
الثنايا مخرج الصاد والسين والزاي وتسمى الأسلية وحروف الصفير ۝
يج ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والثاء
المثلثة المعجمات وتسمى اللثوية لأن مبدأها اللثة أو قربها منها يد
باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين السفلى
مخرج الباء والميم والواو وتسمى الشفهية يو الخياشيم مخرج النون
الخفيفة وتسمى الخيشومية هكذا ذكره كل من وقفت على كلامه في عد
مخارج الحروف التسعة والعشرين ستة عشر منها مخرج النون الخفيفة
والصواب أن المخارج خمسة عشر وهذه النون ليست من التسعة

والعشرين وهي خفيفة مشبهة لا عمل للسان فيها فروع آخر الجملة
التسعة والعشرين حروف أخر وهي قسمان مستحسن وهو النون المخفية
وهو الخيشومي المذكور وهمزة بين بين والألف الممالة والألف المفخمة
وهي التي يجي بها نحو الواو كالف الصلاة والسين كالجيم والصاد كالزاي وغير
مستحسن وهي ثمانية القاف بين القاف والكاف والجيم كالكاف والجيم
كالشين والتا كالبا والضاد الضعيفة والصاد كالسين والطا كالتا والظاء
كالثا وذكر بعضهم أربعة أخر السين كالزاء والجيم كالزاي واللام المفخمة
والقاف كالكاف فصار الجميع ستة وأربعين حرفا باب جامع للعلل
قال الذلاقة في المنطق إنما هي بحروف أسلة اللسان وذلق اللسان تحديد
طرفه كذلق السنان قال ولا ينطق شيئا من اللسان الا بالابلة أحرف وهي
الرا واللام والنون فلذلك سميت حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف
الشفهية وهي الفا والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت
على اللسان في المنطق كثرت في أبنية الكلام فليس شي من بنات الخماسي
التام يعرى منها وإن وردت عليك كلمة خماسية أو رباعية معراة من حروف
الذلق أو الشفهية فليست من كلام العرب وقال أيضا العين والقاف
لا يدخلان في بناء إلا حسناه لأنهما أطلق الحروف فالعين أنصعها جرسا
وألذها سماعا والقاف أمتنها وأصحها جرسا وكذلك السين والدال في البناء

إذا كان اسما للين الذي هو من صلابة الطاء وكزازتها وارتفاعها عن خفوت التا
وكذلك حال السين من مخرج الصاد والزاي قال والها تستعمل في البناء
للينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات لئلا يكون الكلام ثقيلا على
اللسان خ في تناسب حروفه وتباعد المخارج وتداني مقاربه وهو من وجهين
أحدهما أن ما تباعدت مخارجه يجعل النطق به بالتعديل سهلا وإنما تجي
الحروف متسقة متمكنة كمن يمشي في أرض سهلة مستوية فإنه يكون
مستقرا ممكنا بخلاف ما تقاربت مخارجه فإن الناطق في تأليفه لا يخرج
مخرج الأول حتى يرجع فيما بعده فتخرج حروفه متقلقلة مكدودة غير مستقرة
ولا ثابتة كمن يمشي في أرض وعرة كثيرة الصعود والهبوط فإنه يقوم
ويقع ولهذا كان التمام والنطق بعيدين في كلامهم ولهذا لا يكاد يجد
حرفين سوى المثلين في كلمة واحدة من مخرج واحد كالعين والحا أو العين
والخاء أو الطا والتاء أو الكاف والقاف أو الدال مع التا أو الطاء
فإن جاء شي من ذلك عدلت عنه العرب إلى الأخف وإن خالفت به
أصله نحو حيوان أصله حييان لأنه من مضاعف اليا فعدلوا إلى الواو طلبا
للخفة وكل هذا دليل وهذا الوجه قاله ابن الأثير وهو حسن لكنه ذكره
مشتتا متفرقا فطلبنا فيه جمعه وتحصيله الثاني أن نسبة الأصوات
الحاصلة في السمع كنسبة الألوان إلى حاسة البصر وكما أن الألوان كلما تباينت

وما عدت كيفيات بعضها من بعض كانت احسن كالسواد مع البياض احسن
من الصفرة لتنافرهما فهذا نقول في الاصوات وهذا توجيه ابي محمد بن
سنان الخفاجي وهو حسن جميل واحسن من قلبه ان الاثير مان قياس احكام
بعض الجواهر على بعض غير لايق ولو ثبت لكنا انما نعرف ما ذكرت
ان لو توقفت معرفة جودة اللفظ ورداءتها على سماع جرسها من مخارجها كما
يتوقف معرفة حسن الالوان وقبحها على رؤيتها وليس كذلك بل جودة اللفظ
تعرف بدون سماعها لكونها مكتوبة او متصورة هذا حاصل اعتراضه
والاقول انه اما انه لم يصل الى مغزى كلامه او انه عانده لبغضه
قوله ويصح قول تشبيه الذي تقدم و الجور فيه ولا توجيهها عليه ٥
والجواب من الاول ان قياس بعض الجواهر على بعض وان لم يكن برهانا
لكنه مناسبة مناسبة قوية ومجرد المناسبة كاف في هذا العلم اذ ليس
من العقليات القطعية حتى يعتبر فيه اللزوم القاطع ولان ارسطو
واصحابه ذهب الى ان محسنات الصوت ترد عليه بمثل ما يرد منه كما ان بعضه
للجواهر ترد محسناتها عليها الاقتصار للبحث جواز الوجود على نظام واحد اهـ ملخصه
وقبل هذا لما ثبتها في العقليات فما ظنك بهذا العلم الاقناعي
وعن الثاني نسلم ان ادراك جودة اللفظ بدون سماعه وانما يدرك حروفه
معا لان الة ادراكه العقل فاستند ملك الة الادراك بالاخر

وليس سلمنا لكن الانسان يجرد ما يدرك اللفظة ملفوظة يعرفها بطريق
التقدير والتصوير على مخارج النطق بها فيعلم حكمها من جودة ورداءة بسر تعالى الحرف
ما سبق للالفاظ والنطق بها ولهذا نجدنا اذا استصعبنا لفظة لعسر النطق عليه
لكثرة حروفها نحو فسيكفيكهم وانلزمكموها لتحاماها في نفسه بان نفهو
حروفها في ذهنه ونتخيل كل حرف في رتبته فيحصل له معرفتها
وان لم ينطق به والى هذا ادراك اللفظ المتلفظ كان الة ادراك
المعنى الذهن وخشيتها فرع عليها فلو جاز ان يدرك حسن اللفظ بدون
التلفظ الذي هو الطريق لجاز ان تدرك حسن المعنى بدون الة التي هي الذهن
والتعقل وهو محال وهذا واضح لمن عقل وانصف واعلم ان توجيه
الخفاجي مبني على قاعدة لطيفة وهي ان الحواس الخمس بمنزلة الجواسيس
للنفس تلقي اليها ما تدرك وقد علمنا بالطبع ان النفس ترتاح للاخبار المستغربة
المتناسبة وتمل وتمج الكلام المعاد كما قال بعضهم في ذلك ::

اذا الحسنت الى قوم لتونسهم ما تجدد من ماضي ومن آت ::
فلا تعيد ذكره ما ان صنعتهم موكل بمعاداة المعادات ::

ولا شك ان الحروف المتقاربة في معنى المعادة المتماثلة ولهذا وجب الادغام
في المتماثلين حتى انه يشدد في التقاء بين حروفهما كل ثبت ان السمع
والنفس يجانسان تقارب الحروف وتماثلها بما عن تكرار الحرف الواحد

من المخرج الواحد متقاربة في ذلك من ثقل التلفظ والله اعلم ه الصفة الثانية
ان تكون مألوفة قد تستعملها لا لتنبو وانست بها الاسماع والقلوب لكثرة
دورانها في الاصطلاح غير وحشية ولا متوعرة ولهذا لم يجئ في القرآن العزيز
شي من الوحشي ولو ورد فيه لما قبح لانه لسان المخاطبين به وعرفهم ولكن لما
كان مشتهرا في القرون والاعصار بلا ... وكانه واستعماله اوله لله تعالى
عريا عن الوحشي بالنسبة الى من يأتي بعد من خوطب به واعلم ان الكلمة
ليست لذاتها وحشية ولا مألوفة لا ضد صفة اضافية لها وهي بالاضافة
الى من كثر دورانها في كلامهم وانس بها سمعه مألوفة وبالاضافة الى عكسه
بالعكس الا ترى ان العرب كانوا يستعملون في منا وساتهم الفاظا لا
يفهمها من اهل زماننا الا الافاضل بادمان النظر في كتب اللغة وقراءة الشيوخ
وكان ذلك بالنسبة اليهم فصيحا حسنا وانما كالالفاظ التي في حديث
ام زرع وحديث طهفة بن ابي زهير النهدي ولو استعمل احد من
مولدي الحاضرة كلمنا لعد قبيحا ومن عده فصاحة اخطا وذلك قول ابن الرومي

أيقنتني الا اسكرك العنبر في خنعلعوند
وارك الغيجر منها يا خليلي بعتوقه

وقول الاخر في صفة المطر

متعطرط عصب الوجوبر كانها تبانه فالشبب حار المتنقع

وقول بعضهم وقد اعتلت امه تكت رفاعا والقاما في المسجد الجامع ببغداد
صين اسيرة ورعي دعا لامراة مقتسبة قد منيت باكل الطرموق فاصابها بهابر
الجد الاستعمال ان يرطيها بالاطر مشاش والانجال فلا من قراها
لعنه ولعن امه ودعا عليها وقول الاخر اركات الا اتوابا في
استعاط قبضها عشا دوك فعند الفاظ وحشية قبح الاستعمال في عصرنا
الا ان الناظم فيها اعذر من الناثر لانطلاق ضانيه في التاليف وتقييد الناظم
بعد العروض والرام القافية لكن يجعل له احساب الوحشي ما امكن فان
قول القائل متعطط لو حمل موضعها منذارك او منزاكم اوست لاطم
لادت معناها على ان لفظة متعطط الا انها متوغلة في الوحش
ولفظها مشعر بالكرة والجولان وشدة الاضطراب والقلبان ولا يقوم
مقامها شي من الالفاظ المذكورة والله اعلم ه الصفة الثالثة
ان لا تكون الكلمة متبذلة من العامة وذلك قسمان احدهما ان يبذل
اللفظ بالوضع على معنى تستعمله العامة الى غيره وهو نوعان احدهما ما
نقله الى معنى مستقبح لقول المتنبي

اذا ق العوالي خشنة ما ادنى وعف محاز امري بالرمم

فان الرمم في اللغة المطلقة تقال من منه من ما ادا طعمه نعم الشاد وفيها
واستعمله العامة باثر الطرف مرعى في الجوف موقريتب من مخارج حلقة الادراد

وصل إليها قالوا المطلع جرمه وفلان له جرم مثل لحم في نحته ولحقا ره وهو في
الأصل جرم بالسين لحرفوه تحريفين نقل من معناه اللغوي وجعلوا ما
بالسين بالصاد ومثل هذا يتوجه على الحريري في قوله ؛

فإن وصلت إليه توصل وإن صرما فصرم كالطلاق ؛

لم تقو عليه أسنة لتكرارها للفظ المكروه فإن قلت فقد استعمل امرؤ القيس
هذا في قوله أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
وكذا استعمال امرئ القيس له حجة ۵ قلت الفرق بينهما أن امرأ
القيس استعمله قبل تحريف العامة له واستعمالهم إياه في موضوع قبيح
بخلاف المتنبي والحريري فإن قلت ولعلهما أيضا استعملاه قبل التحريف
فلا رد عليهما قلت هو خلاف الظاهر فإن العامة تتداول هذا اللفظ
تتلقاه عمن قبلهم طبقة عن طبقة وعصرا بعد عصر فالظاهر أن شيوعه
متقدم تحريفه مع قدمه والأقرب عندي أن مثل هذا اللفظ مما فيه
لغتان يستعمل وتستعمل اللغة المخالفة للاصطلاح المكروه كالصرم بفتح
الصاد مما لا يقال مما فيه تغيير الرواية من شعرنا وهو كذب حرام
لأنا نقول لا بأس بذلك لأجل الفرار من القبيح وقد جاز الكذب شرعا
بل استحب بل وجب لمصلحة راجحة فهاهنا أولى ثم لم يدل دليل على أن
الشاعر نطق بالصرم مثلا بضم الصاد فيكون مطعونا فيقوى المعارض

ومن هذا قول المتنبي ؛

تبل اليبان الحزن بها بحزورها وغرد الهادي لحربها النقانق ؛

والمراد بحزورها وبيطرها والنقانق جمع نقنق وهو ذكر النعام فاستعملتها
العامة في نوعين من الطعام وكثر ابتذالهم لهما ولاشتباههما فصار
استعمال لفظيهما وإن كان المراد معنى غريبا صحيحا ركيكا حتى لو أورد لفظ
العنق، وجمع لفظ العجوز لكان أبعد الكراهة لزوال المشابهة كقال
الراجز ؛ يهي تنوش العجوز نوشا علا نوشا به يقطع أجواز الفلا ؛

النوع الثاني ما نقله إلى معنى غير مستقبح

كتسميتهم الإنسان إذا كان حسن الصورة واللباس ذهب الحلاوة طيب
الريح ظريفا وإنما هو في وضع اللغة الحسن للطيف لأن العرب جعلت لبعض
صفات الإنسان موضوعات مخصوصة قالوا الصباحة في الوجه
والوضاءة في البشرة والجمال في الأنف والحلاوة في العينين والملاحة
في الفم والظرف في اللسان والرشاقة في القد واللباقة في
الشمائل وكمال الحسن في الشعر ولم أرد في هذا وغيره لسعة جمة
صنفت فيها كتب منها كتاب الفرق لابن فارس ومثل هذا النوع لا يقتصر
على كونه مكروها بل استعماله على اللغة قطعا ۵

القسم الثاني ما كره استعماله المجرد

ومثل ايضا قالوا الطلل مرمة وفلان له مرمة مثل قولهم في تحته ولحيتاره وهو في
الاصل مرم بالسين فحرفوه تحريفين نقل من معناه اللغوي وجعل ما
بالسين بالصاد ومثل هذا يتوجه على الحريري في قوله

فان وصلت الذي يوصل وان صرم فاصرم كالطلاق

لم ير عليه استند لتكراره اللفظ المكروه فان قلت فقد استعمل امرؤ القيس
هذا في قوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي
ولكن استعمال امرئ القيس له حجة ۝ قلت الفرق بينهما ان امرأ
القيس استعمله قبل تحريف العامة له واستعمالهم اياه في موضوع قبيح
خلاف المتنبي والحريري فان قلت ولعلهما ايضا استعملاه قبل التحريف
فلا رد عليهما قلت هو خلاف الظاهر فان العامة تنبهوا اول هذا اللفظ
تلقيه ممن قبلهم لمعنة من طبقته وعصرا بعد عصر فالظاهر ان شيئا لم
يتقدم تحريفه مع قربه والاقرب عندي ان مثل هذا اللفظ ما فيه
لعارض يستعمل ويفسد باللغة المخالفة للاصطلاح المكروه كالصرم بفتح
الصاد فانا لا نعرف هذا فيه تغيير الرواية من شيرها وهو ذهب جرام
لانا نقول لا باس بذلك لاجل المغاير الراجح وقد جاز الكلمة شرعا
بل استحسن ووجب ليتلخص انه هنا اولى ثم لم يدرك دليل فالمطلع على
ان الشاعر نطق بالصرم مثلا بضم الصاد فيكون مطعونا فيه عند المعارض

١٣

ومن هذا قول المتنبي

تبل البنان الخضيب بجودها وغردي الهادي اليز بها النقانق

والمراد بخودها وشيلها وبالنقانق جمع نقنق وهو ذكر النعام فاستعملتها
العامة في نوعين من الطعام وكثر ابتذالهم لهما ولا اشتباههما فصار
استعمال لفظيهما وان كان المراد معنى غريبا صحيحا ويكاد يجري لوا مرد له
السمع وجمع لفظ الخود لم يناسب الكراهة لزوال المشابهة قال
الراجز: مهى تشوب الحور شاملا نوشائد يتطلع لجوار الغيد

النوع الثاني ما نقلته الى معنى غير مستقبح

كتسميتهم الانسان اذا كان حسن الصورة واللباس في تحب المجالس مليح
الريح طريفا وانما هو في وضع اللغة بخس للطيف لان العرب جعلت لبعض
صفات الانسان موضوعات مخصوصة فقالوا الصباحة في الوجه
والوضاءة في البشرة والجمال في الانف والحلاوة في العينين والملاحة
في الفم والظرف في اللسان والرشاقة في القد والبراعة في
الشمائل وكان الحس في الشعر فلم نرو في هذا وغيره شيء حتى
صنفت فيها كتب منها كتاب الفرق لابن فارس ومثل هذا النوع لا يقتصر
على كونه مكروها بل استعماله على الصفة قطعا ۝

القسم الثاني ما كره استعماله المجرد

ابدال العامة خطأ لكونه محرفاً من وضعه ولا مستحسناً لمولد ⁂
المعنى ⁂ وملعلث بالجيم الذي قتل الحشى فلاقل عيش لمن قد لاك ⁂
فان قلت لم تكن هذا لما ادعوه من ابدالهم لهذا اللفظ بل لتقليل تكرار
لفظ مرارا من مادة واحدة قلت هو بالملك بقول الاعشى ⁂
وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول ⁂
ادعو تكرار لفظ مادة واحدة وتوفير اصح الالفاظ واعذبها ولكنه ليس
بتذلل اذا تسلسل الخفيف الروح ولا يكاد يعرفه الا جوانب اهل
اللغة وكقوله ايضا احيي ابا المسيب ⁂
وملهوفة في سبيه ربعية تسيح الحصى فيها صياح اللقالق ⁂
ولقوله ابن رماني ⁂
من ليس يرفل الا في تواتبه من سعى عامر او سلول ⁂
ام من ذلك عمالسنا بحكم اي الاجادل يسمو للكرالي ⁂
فهذه القوافي وامثالها من الشدائد يبعد اجتنابها لشانها في الاسماع فهذا ابدلها
الصفة الرابعة ان لا يستعمل اللفظ المشترك من معنيين حيث
ويستكره الا قرينه تنبه او بدون القرينة يسبق الوهم المعنى المستكره منه
الذهن ويستردد منه ولا تزول تلك النفرة بعد معرفتها الى مراده المعنى الحسن
لضلالتها وسرعة تكيفها بالمعاني الا ترى انها لا تشاكل في حسن الورد

وحلاوة الفسيل ولو قيل هذا الورد يشبه بزم البغل وهذا العسل انه عنبه
وهذا اللبن كانه ميدة او قيح عن هذه الاشياء ونعما تركها امثاله ماذا ان مرما التشبيه لعزت
الطاوي يجيب بالادراك المتبادر السابق ومثال ذلك قوله تعالى فالذين امنوا به
وعزروه ونصروه وقوله لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقول القائل
لقيت فلانا فلاذ به وعزرته فلولا قرينة الكلام في هذه المواضع لتبح
لما دون الذهن الى التصوير معنى التاديب والاهانة وكذا قول تعبهم قيف
ومعه حاجة من صديق له فاثارت اثارة الزواهر فالحاجة بها الحاجة في
قلبها الدائر كان انعانه مشترك من حاجة حر الوحش والشعر جول الفيل
وذوائب في الماء وعت العوسرة فذكر الفلك علم ان المراد هذا المعنى الاخير
الملائمة اللواحق له واعلم ان القرينة قد تكون قوية بتصوير من التشديد مستترا
تاما وقد تكون ضعيفة للكلية مثال الاول قوله تعالى واذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فان لفظ المقعد والمقعدة مشترك بين
ما يلاقي الارض من الانسان اذا قعد وبين موضع القعود كالمضرب والمنزل لكن
ذكر القتال في الاخير ان المراد الموضع لا ما يلاقيه وقرينة اخرى وهي ...
نزل في قوله تعالى لنبوئنهم من الجنة غرفا اي ينزلهم وقد تخص المكان وكذا
قوله تعالى في مقعد صدق فالصدق تمم المراد ومثال الثاني قول الشهيد الوصي
اعز على بان اراك وقد خلا من جانبيك مقاعد العواد ⁂

فان قلنا اضافتها الى العواد قرينة لكنها ضعيفة من جهة ان القاعد اضعف ان
يصح استعماله فيه بالمعنى المستقبح بخلاف الاخر المذكور فانها مضافة الى ما لا
يصح استعمالها فيه بذلك المعنى وهو القتال ولو قال الشريف مجالس
او موالي من عوض مقاعد تخلص من هذه الهجنة. ولو لم يذكر الغريب في شعره
لكان امره اخف واسهل فان قلت ما تقول في قوله عليه السلام حق على
مقعد رجل العبد استكره فهو من الاول قلت لا لان المراد بها الموضع الذي
يقعد فيه لقضاء الحاجة وهو مستعار من اللفظ التي تجاري ذكرها والمستعار له
محل المستعار منه للترابط بينهما فكأنه مرشح المستعار منه وهو التجنيد. ولو
صرح بالكلام لم يستكره شرعا كقوله لا تستقبل امر بول الغائط ولكن قل ابوال
وقوله لماعز انكتها ولا تكني خلاف ما نحن فيه فان قلت ما تقول في ذكر معنى حسن
بلفظ يوهم معنى مستكرها من غير رابطة بينهما فاعرف ذلك واعلم انه قد
ورد شيء من هذا الباب فهل تعبرون فيه كقول تأبط شرا.

اقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي ويومي ضيق الجحر معور.

قال ابن الاثير لا نعد الهجنة هذا شيئا ولا يزيل ما عليه من الكراهة وما
فيها من القبيح لما دلت الذهن منه الى الجحر الحصين من الحيوان كل حال
وفي هذا نظر لم لا يكون الحكم غيره فما يزيل القرينة كراهيته كقولهم
خرمت حرب. وقول الاخر.

مكب كالموج في جحر بدا ما خلا الافعى وكان الاسوداء.

فان هذا يدل على ان المراد به شيء في حائط او ارض يكون فيه ذكر الضب
والافعى يؤكد ذلك ان استقباح ما ذكر من الالفاظ انما ينشأ عن الحرعني
او ضعيف ضعيف الفصاحة او تمام الفصاحة بشرط القرينة المصححة المراد منه
ولو كان استعمالا مثل ذلك مع القرينة المشيرة لا يزيل كراهيته لكان عيبا
او ضعفا في الفصاحة وكان يلزم ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
لانه استعمله في قوله ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها
وقوله لو كان المؤمن في جحر ضب لقيض الله له من يؤذيه وقوله
لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وذلك باطل لانه افصح العرب اتفاقا فقد
تحصل ما ذكرناه في هذا البحث ان اللفظ الذي يبادر الذهن منه الى معنى مستكره
اما ان يتجرد عن قرينة او لا فان تجرد عن قرينة كان مذموما في هذا العلم ثم هو
قسمان احدهما ما لو اقترنت به قرينة ازالت قبحه نحو الغرور والثاني
ما لا اثر للقرينة في ازالته كبيت تأبط شرا على راي ابن الاثير وعليه سؤالنا
المذكور وان اقترنت به قرينة فهي اما قوية مزيلة للقبح نحو مقاعد للقتال
واما ضعيفة لا تزيله بل تبقى كما رجحنا ابن ... نحو مقاعد العواد والله اعلم
بالصواب ٥ الصفة الخامسة تصغير اللفظ حيث يعبر بها
عن معنى حقير او لطيف او ضعيف للتناسب بينهما وفيه ابحاث

الأول أقسام التصغير منها تصغير التحقير وهو إما في المعنى دون الصورة كقولك
لرجل عظيم الخلقة رُجَيْل أي حقير الأمر حقير القدر وإما في الصورة دون
المعنى كقولك جُبَيْل أي الجبل الأعظم لا حقير وما منهما نحو رُجَيْل لرجل
دميم الخلقة حقير القدر ومنها تصغير التقريب ويكون في الظرف
نحو بُعَيد وقُرَيب وقُبَيل وبُعَيد قال امرؤ القيس:
بُعَيْد فُوَيْق الأمير لست بأعزل ... ومنها تصغير التقليل ويكون في
العدد نحو دُرَيهمات وأُجَيمال. ومنها تصغير التعظيم كقوله
صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود كُنَيْف مُلئ علماً. وكقول لبيد:
وكل أناس سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَة تصفر منها الأنامل:
لا يقال حقيقة التصغير واحدة فكيف تراد بها معاني التحقير والتعظيم
والدليل الواحد لا يدل على مدلولين متنافيين كما أن العلة لا تقتضي معلولين
كذلك لأنا نقول إرادة الصيغة منه ليست من جهة واحدة حتى يلزم ما
ذكرت بل من جهتين أما التحقير فمن قرينة معنى المحقر لو صغر له
وأما إن اقترنت بقرينة التعظيم فتنبيه لتربية العلم في الخير واستعزاز
الأنامل في الشر. ومنها تصغير التحبيب نحو بُنَيّ وأُخَيّ. ومنها
تصغير التلطيف واللين نحو عُدَيّ سُنَيّة وجُحَيش وعُيَير وحُبَيبة
وربما كان عند مسيّ داخلاً في أحد القسمين من المحقر أو المعظم ۝

البحث الثاني أبنية التصغير ثلاثة فُعَيْل لثلاثي وفُعَيْعِل لرباعي وخماسي على فَعْلَل
وفِعْلال وفُعَيْعِيل نحو فُلَيْس ودُرَيْهِم ودُنَيْنِير ونحو بُكَيْرِل وحُبَيْل
جُحَيْبِر أمر من قبيل الثلاثي المزيد فيه ونحو أُطَيْفال وأُجَيْمال من تصغير
الجموع. ومن المصغر ما لا مكبر له نحو الجُنَيْن والكُمَيْت وسُهَيْل
والثريا قلت وفيه نظر إذ الأولان لا تصغير فيهما لأنهما لفظان
وضعا على بناء المصغر وأما الأخيران فإن غيرهما لكثرتهما تستعمل مصغرة
وإن صح نطقهما مكبراً أولا ترى أن سهيل تصغير سهل والثريا أصلها ثروى تصغير ثروى مشتقة
من الثروة ومن الخبر لكثرة كواكبها مع سعة وسال أما عشر وأحصى
النبي صلى الله عليه وسلم بأدراجها بالقوة جاشية وقال الشاعر لا دون الأشياء
فقلبت الواو ياء وأدغمت وشددت وباقي أحكام التصغير في علم العربية ۝
البحث الثالث لا يخفى الأكثر من التصغير ونحوه في العلم أن أمثلة
الكلام كالوشي في الثوب فالملح بها أولى وأحسن وسنة أن النعت تحمل
الأشياء قال الشاعر:

أني رأيتك في الهوى ذو أقدم لا تصبر على الطعام والجهد:

وقال آخر:

وأخ كثرت عليه حتى ملني والشيء مملول إذا ما يكثر:

فمما جاء من التصغير قول الشاعر:

يا ما أميلح غزلاناً شدن لنا في ما ولياليكن الضال والسمر

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وقول الشريف الرضي

وهل للخشيف بالعقيق علاقة بقلبي أم ذاك غير مذاث

وقوله أيضا

هل ناشد لي بعقيق الحمى غزيلاً من على الذنب

فإن هذه القاعدة في هذه الأبيات لما كان المراد بها إما صغر السن لقربها من الولادة أو لطافة الأجسام ورشاقتها كان تصغير الفاظها أنسب بمعانيها وأدخل في الصنعة وأمثلة ذلك كثيرة فاعرفه ٥ الصفة الثالثة أن تكون مركبة من أعدل الأوزان إن كان هو الثلاثي لاشتماله على المبتدأ والوسط والنهاية وهو أوسط الأبنية الحرف الواحد الأعنة والحرفان لحاف وفيهما مكرر من العدوية والرباعي والخماسي ثقيلان ولهذا كان أكثر ألفاظ الكتاب العزيز ثلاثية والرباعي فيه قليل ولا خماسي فيه إلا الأعلام كأسماء الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل وهي أعجمية لا عربية لا يقال فيه فيستحكم ولكن يحملونها ويستطلعونها وهي الأكثر من الخماسي لا تأنس كل من عيد كلمات وكلام منا في الكلمة الواحدة بخلاف قول المتنبي

إن الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

ما فيها واحدة وقد استثقلت منه لكثرة حروفها وكذلك قول بعضهم في رثاء الصديق له نشيد فيما إذا اشلعلعت تلك تخيلت هتن جهت والمراد باشلعلعت كما كانت من قولهم رجل شلعلع أي طويل ثم هي وحشية فيها ادرعيا رو سبب استهجان مثل هذا وكراهية حصول الكلمة على الثاني لطولها وليس الوزن فيه والمبتدأ بالصوت علامة ما كانت حروف واعلم أن الاسم المجرد إما ثلاثي أو رباعي ولا يتجاوز أن بالزيادة سبعة أحرف أو خماسي ولا يجاوزها سبه لأنه غاية الأصول فلا يحتمل غاية الزيادات وقال لي شيخنا سعود بن ترك العرابي أكثر الأسماء جرو وما فوق ذلك يهمي ثمانية أحرف بزيادة بها حكاه عن شيخه ابن قراز النحوي أما الأفعال فمجردها إما ثلاثي نحو ضرب أو رباعي نحو دحرج وغاية الزيادة ستة نحو استخرج واغدودق ولا خماسي فيها مجردا حطا لها عن رتبة الأسماء لترجحها عليها إذ حاجتها إليها وقد أضفنا صفتان أخريان أحدهما كونها جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة وذكره ابن سنان الخفاجي وقيل منه أن الأمر اشتراطه لا معنى له في اللفظة أنها لم تنقل الأمر لحد فلا يؤتى بها ولذلك لا نأمر له في الحشو والفسح قلت ويؤكد هذا أن الشذوذ لو أثر في فيها لا أن موثرها ونوادرها في جنسها فكان يلزم أن كل لفظة نادرة حسنة وهو باطل بما سبق ولأن فصاحة اللفظ خلوصه من

تكون

التعقيد وهذا يستدل فيه الشاذ وغيره وقد ذهب الجرجاني من شرح وطها ان عرشة غير مولى ولحماد ره من خطا العامة وقد سبق نحو هذا وان تكون احري على معاني من كلام العرب وهذا نحو ما شرطه ان سنان للكلام بعد عدم التشدد والله اعلم الثانية بنا الكلمة من حركات خفيفة لما في اللفظ بذات الحركات الثقيلة من المشقة والثقل على ما هو مدرك حسا وزعم ان الاشر انه انكر هذا التعقيد ولم نتفق ابيها ولا على ذلك في كلام الكلم لم نعلم انه سبق بها فلعله ابكرها ولجودتها قال ما ذكره غيره ومواعدها في حركاتها اد خير الامور اوسطها فالاخف والاثقل كالمرفان والاعدل واسكنه حسنه واعدلها حركات وساكن فان اعود ثلاث حركات واربع حركات ثقيلة والحسن اولى ولذلك لا يحتملها الشعر واخف الحركات الفتحة ثم الكسرة ثم الضمة لوجهين احدهما ان هذه الحركات حروف العلة التي هي الالف والياء والواو والضمة تسمى الواو الصغيرة والكسرة والفتحة بالنسبة الى الياء والالف والان كل واحد من هذه الحركات اذا اشبعت نشا منها الحروف الذي من جنسها نحو منتزاح وانظور والدراهيم ونصال وذلك وارد في الشعر والالف والواو في الخفة والثقل على هذا الترتيب وذلك لان السكون هو الاصل وكلما قرب من الاصل كان احسن لانه ابعد من المادات

القريش واعتبر هذا الاصل بمخارج الحروف فالالف من اقصى الحلق فهي اقرب الى الخفا ما استتر في الصدر والياء تليها اد هي من وسط الفم والواو تعد ما الى جهة الظهور وايضا فان الالف حلقية من الاب الحلق فيها العضو والياء فيها على اللسان وحده والواو تعمل فيه الشفتان جميعا وما كثرت الالات حركتها اثقل وانما فان المرتضى تشبه في السكون ويعقب بالحركة والصحيح ينادي بالحركة الصفة خلاف الخفيفة وقل صغير الحسين لما مثبته على ترتيب الخفة والثقل في الحركات المذكورة على ما ذكرنا ه الوجه الثالث من جهة الكلم وهو ان العرب تقلت الاثقل الى الاخف وقد قلبوا الواو والياء الى الالف في نحو قال وباع اذا اصلهما قول وبيع فدل على انه اخف منهما ولا يرد على هذا الجوحا الترجيح الثابتة بدل من الف حبلى والان الابدال هنا ليست من جهة الثقل بل لبلا يحرج هذا الجمع من القياس اذا اصلها الف والاطراد في كلامهم اد ليس لهم فعالى الا بالالف قال وباع واما دون الياء اخف من الواو فلوجوه احدها ان الياء تثبت في مثل العار نحو بيره وتعر الجدي بيغ علاف الواو في نقلها نحو وعد نعيد ووزن نزن الثاني ان نقعوا من المثل بالواو العين يلزم حذف واوه نحو قول مقول وفي من معروف واصله مقوول ومعوود خلاف ذلك من مثلها بالياء اذ يجوز حذفها واثباتها نحو بيع ومعيب

وان شئت مبنوع ومصوب ٥ الثالث ان الواو تقلب ياء
نحو ميقات وميعاد وميزان لكن هذا يماثل بعكسه نحو موقن وموسر
فان الياء فيه قلبت واوا ولا يدفع هذا بان ضمة الميم في موقن وموسر
توجبها غلبت على الياء فقلبتها الى جنسها لان الياء ثقيلة في نفسها لا تحتاج
بمثله في باب ميقات وان كسرة الميم تطلب الواو وتقلبها الى جنسها الا ان
الواو ثقيلة في نفسها مثل هذا لو ذهب ذاهب الى ان الاخفية والاعلية
في هذه الحروف ليست ذاتية لازمة بل اضافية عارضة بمعنى ان كلا منها
قد يكون في بعض المواضع اخف من بعض لاختلاف احوال التركيب وابنية
الكلام لما كان مستبعدا وشاميا. الوجه الثالث المذكور والله اعلم
واما المركب فهي اما جملة واحدة او جمل والجمل اما ان يتعلق بعضها ببعض او لا
فان لم يتعلق كقولك على طبيا السلام الحمد لله اعوذ من العقل ولا داء
ابعد من الجهل ولا كرم كالتقوى لم يعتبر فيه الا امتزاج كل جملة على حيالها
اذ ارتباط بعضها ببعض لا ارتباطها بما قبلها وبعدها من الجمل وهذا هو الشرط
في الجملة الواحدة ايضا وان تعلق بعضها ببعض اعتبر الارتباط والامتزاج
من اجزاء كلها وبين اوائلها لتجانسها اذ كل جملة الواحدة وبهذا نظر التفاوت
من اصناف الكلام لان اجزاء كلما كانت اشد ارتباطا كانت ادخل في الفصاحة
فعلمنا بهذا ان احدهما الامتزاج وتناسب الالفاظ والارتباط الكلام

اذ بدونهما يكون التركيب حسيا من نوع ذكرناه ان اسنان على تيرفر بن او العكس
او كجسم متفصل الاعضاء متقطع الاجزاء الناشئة من الالفاظ وموضع
كل لفظ في موضعه اللائق به اذ بدون ذلك يكون مضطربا بمنزلة ما اذا
جعلت كل قطعة منه في غير موضعها فان ذلك يستقبحه وان كان شيئا
نفيسا في نفسه والعكس بالعكس وان كان غير نفيس وللامتزاج والتمكن
مراتب عليا ودنيا ووسطى وعلى حسبها وبها تتفاوت مقادير الكلام
والعلم واعلم انه لا فضيلة للفظ المفرد على مرادفه وما يؤدي
معناه لذاته بل اختصاصه عليه ببعض الصفات التسع المتقدمة
ولعل يحتج الكلام متنزا معا وتناسبها بالتأليف والتركيب وتمه
قاعدة لا يحسن الكلام بل يطرد في سائر المركبات. فان كل تركيب
فانما يراد لفائدة فاذا لم تكن حال الافراد في تركيب الادوية من مفرداتها
والاطعمة من الاتها والانسان من اعضائه واجزائه لفوائد ما المتعمة
التركيب وحال الاشياء وحسنها تابع لفوائدها اذ ما لا فائدة فيه فتح
وردي وما فيه فائدة حسن فمثل هذه حال المركبات وحسنها تابع لما لديها
ثم نبه لذلك في الكلام بجهات احدها ان الالفاظ المفردة قد تكون
بحيث لا تعتبا المعتوي بها فاذا ركبت مالت واثرت اليها وما
ذلك الا لاجل التركيب الثاني ان القرآن الكريم في اعلى

نب البيان ولقد اعجز امل اللسان وانه مسلك لم يسلكه احدهم الاترى نحو البيت الثالث
لان مفرداته كانت متداولة بينهم جميعا قبل نزوله والعلم لمن عرفها ان شئت
فاعتبر قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وقوله تعالى
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون فكل واحد من هاتين
الايتين قصيرة بيت مخيل فانظر الى شدة اشتراكه وتناسبه والاخذ
بعضه باعناق بعض ونحو الباطن حيث لو نقلت اي لفظة او كلمة منه عن
مكانها لاختل نظمه وانطمست بهجته مع كثرة فضوله وبعد ذلك التهذيب
الصناعة احسن الركن على سائر الكلام قال ابن الاثير من الدليل على ذلك
ان الكلمة الواحدة تكون حسنة وانها في كلام ثقيلة مستهجنة في
اخر قول الحماسي

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

وكقول ابي تمام

يا دهر قوم من اخدعيك فقد اضجت هذا الانام من خرقك

فان لفظ الاخدع في بيت ابي تمام من الكراهة والثقل اضعاف ما لها
في بيت الحماسي من الروح والخفة وفي كلامه نظر من وجهين احدهما

اما الاسلم فقولها في بيت ابي تمام بل مرميه افصح منها في بيت الحماسي لانها به حقيقة
وفي بيت ابي تمام مستعارة والاستعارات افصح من الحقايق في البناء
الثاني سلمنا ذلك لكن لم قلت ان الكلمة في الذي هي مستوية من كل وجه
وما حجته انها ليست كذلك اذ هي في بيت الحماسي مفردة وفي بيت ابي
تمام مثناة فلعل الثقل انما من جهة التثنية فانه معنى زايد على مجرد اللفظ
موثر فيها ثقلا وقد قدمنا عند ذكر التنافس في بيت المتنبي ان الخفة
والكراهة انما جاءتها من حيث الجمع الذي شابهت ما يستعمله العامة
وتبدله ولو افرد لقيل نسبة لزال ذلك وكذا الكلام في المجرور فيه
على العكس وقد سبق ذلك والله اعلم هذا على جهة التقريب فان
اراد ما المحسن فيها اللفظ او المعنى او التركيب جميعا اما في الرتبة
العليا او الوسطى او الدنيا صنعة فلا اقسام اللفظ وجده في الرتبة العليا
والمعنى والتركيب اما في الوسطى او الدنيا هذان قسمان المعنى في الرتبة
العليا واللفظ والتركيب جميعا في كل من المرتبتين قسمان
اخران التركيب في العليا واللفظ والمعنى جميعا في العليا والتركيب
في الوسطى او الدنيا هذان قسمان المعنى والتركيب في العليا واللفظ في
الوسطى او الدنيا هذان قسمان فالجميع خمسة عشر قسما متنزلة في
المراتب الثلاث وهذه القسمة تشبه تنزل الخناثي في المراتب

والكلام ليس فيها انها فاما ذكرنا ليستظهر مواضع هذه الاقسام من مراتبه ۝

الفصل الثاني في المعاني وهي قسمان

ما يستعيره المتكلم من شيء تقدم اليه وما يخترعه من قبل عقوله وفكرته على هيئة
جادة متحدة واسلوب طارئ ويجب عليه الاعتنا بكلا القسمين بما
تقدم من انواع المعاني الشريفة الالفاظ الرائقة الانيقة اللطيفة وان
يحمل على غيره الا على فضله سعة فكره من معنى مستعار حسن رائق
ومخترع فيح غير لائق وقد قدمت ان المعاني اشرف من الالفاظ لانها هي
المقصود بالذات وتزيد هنا من وجهين احدهما ان المتكلمين يستوون في
معرفة الالفاظ ويتفاوتون في رتبة البيان وما ذاك الا لتفاوتهم في
المعاني الثاني ان مقصود علم البيان والبلاغة انما يتضح بالقوة الفكرية
والتدبر والروية وانما تتضح بها المعاني لا الالفاظ وانما الاعتنا
باللفظ من توابع العناية بالمعنى فان الاعتنا بتطريف الشي وتنميقه لحاجة
انما هو في الحقيقة المطروف حراسة لجوهره من تغييره وفساده ثم
ان شرف المعنى ونقوله من تابع علو الهمة ونقوله لما ينبغي للمتكلم
ان يجيده فيما يدل على كيفيته همته من دلالتها نا وبدنا وربما اهمل
قوم على تمييز الالفاظ وتزويقها واهملوا المعاني وزعموا ان العرب
مع ذلك فتالوا فيهم امره واستروحوا الي قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

قالوا وهذه الفاظ فخمة ولا لباب مذهبة لحسنها وبهجتها ورونقها
ورقتها ولا طائل من المعنى تحتها اذ حاصل معناها انا لما فرغنا من الحج ركبنا
الطريق راجعين نتحدث على ظهور رواحلنا والجواب اما الاستدلال
ان العرب راعت اللفظ واهملت المعنى وانما هذا الكلام من لم يدرك
مغزى كلامهم كيف وهم من اي تلمح كان الاستقصيد حتى تمعن لما تقدمه
امام نظمها سبقت معانيها وتهذب الفاظها ولهذا صار كلامهم امثالا
يبنى عليه ويفزع في مجامل الحاجات اليه ثم لو صح ما ذكروه من مساواتهم
للعرب في تمييز اللفظ واهمال المعنى لوجب ان لا يكون من كلامهم وكلام
العرب متفاوت في الرصانة والشرف واجماع اهل الصناعة اللسانية
ان كلام العرب لا يساويه صنعة واما ما ذكروه من البيتين اللذين ادعوا
ان الاهمال لمعناهما فوهم بين وخطا فاحش ومن انعم النظر فيهما علم ان
معناهما اشرف من لفظهما ولنشر الي شيء من ذلك فنقول هذا
الشاعر عاشق مفارق وموضع ذلك مشقة فلما طلبه العشق علي ان
كان قصاري منى كل حاجة يتشوق الى الجماع بمحبوبه وقضاه كل زينة
مدارك امره من تمام فعال وتمسح بالاركان من هو ماسح ليوهم السامع

ان جاءنا التي قضينا ما من بين ايدينا هي آداب مناسك الحج ثم ثلثه سورة اخرى
فمالت احدنا المراتب الاجادب بيننا كاية من انه خلا مصوق في زوجه
من بين ايدينا لكن لم تمكن منه كلما عشقه من افانين الشوق البيد والوجد به
والحب له لسبق زمن الاجتماع به وقرب زمن الفرقة فاخذ مادون من
المغاوز وفرقته من كل فن من تلك الفنون طرفا به ثم اخذ الاجتياز والكرم
فتعتب عاقوفيه بذكر الاباطح وذكر الناس مما تبال
وسالت باعناق المطي الاباطح :. موهما ان اخذنا بالمراتب الاجاد
اما هو على عادة الرحال في عدتهم على ظهور دوابهم لانجي ورا ذلك
ولعمري ان من لا يفهم ولا يستقصي هذه المعاني بعوته اسرار الجمالية فان
ولا يفهمو القوم لما لم يتفهموا تعاني كلام العرب فنسبوا اليهم الاهمال فها
فجهلوا وأخطأوا او جيد من لا يفهم ان يخطى فان العلم والاصابة من باب
الفهم والدراية والله اعلم ه

الفصل الثالث ه

اختلف في الكلام المنثور والمنظوم ايهما اصل والذي لحا ان الاسر
تفضيل المنثور واحتج عليه بوجوه . الاول ان القران اعلا الكلام والمنثور
النثر فدل على انه اعلا الاساليب ويؤكده ان القران نزل معجزا والاعجاز انما يكون بالصعب
الاشياء واشقها قياسا على سائر المعجزات فاذنها يدل على ان اسلوب النثر

اصعب واشق من اسلوب النظم والا لاتى بالاسهل اصل المعقول والاستقرا
الثاني ان البالغين من العرب وغيرهم كثير جدا والبارزون قليل جدا
اذ لم يتبع الاحد منهم الا الشيء من ساعة ولهذا ضرب به المثل في الفصاحة
والبلاغة وذلك دليل لافضلية اسلوبه الذي هو الشعر لان الفرس العالية والما
السامية انما يركبها الافذاذ من الناس كالمشاهير بالشجاعة كعلي وعمرو
والكرم كحاتم وغيره والمعترض على الاول بان نزول القران على اسلوب النثر لا
يقتضي افضليته لخصوصيته وذلك لانهم لما ان اسهل عليهم من النظم انزل
القران على اسلوبه حتى اذا تبين عجزهم عن معارضته الاسهل علم انهم من معارضة
الاصعب اعجز كما انه تحداهم ان ياتوا بمثله ثم بعشر سور مثله ثم بسورة منه
بحيث اذا عجزوا عنها كانوا عما اكثر منها اعجز واما قلنا ان النثر اسهل
عليهم وهو الاعتراض على الوجه الثاني لانهم ترفعوا بمثلهم الى النظم عنه
واستغرقوا وسع قرائحهم فيه للمبالغة بتفوقهم في الفصاحة والبلاغة
والعادة جرت بان الانسان في مقام الافتخار والمبالغة يتمثل انما
يعني بالاصعب والاصعب كما انه انما يظهر تميزه في الفروسية في رياضة
الفرس الجواد الجموح دون البليد وفي الشجاعة نبا ورد السباع دون
الجازي وفي المشي لا بمشي وجرأته في خوض المفاوز المخوفة
في ظلام الليل دون شوارع القرى وازمنة الامن نهارا وفي حملة الثقل بحال

الى رطل لا يحمل خمسة ارطال ۝ واجاب عن الاول بان ما
على سائر المعجزات كاحياء الموتى وانشقاق القمر ونبع الماء من الحجر فانها
كانت اصعب الاشياء على اهل زمانها وهذا ضعيف لان معجزات الرسل
وردت من جنس ما كان يتعاناه اهل عصرهم ويفتخرون به وهو عظيم عندهم كالناقة
لاهل الابل وقلب العصا حية لاهل السحر واحياء الموتى لاهل الطب
والفصاحة لاهل اللسان وذلك ليمتنع تحدي بعضهم ايها بما عندهم
متناهون في المهارة بحرفهم . والجواب عن الثاني بان اكثار العرب من
الكلام دون الشعر دليل على مشقته وسهولة النظم لان الانسان انما يكثر ما يسهل
عليه ويقل ما يتعذر عليه وهذا ضعيف من وجهين احدهما منع ما ذكر بان
الانسان قد ينصرف عنه الى الاصعب حتى يصير عليه اسهل من الاسهل
الذي يسهل له وحصول الملكة لما به كالكاتب بالقلم فان قلم النسخ والخياط
بالخياطة الحرير والجوخ فيصير اسهل عليهما من قلم الثلث وخياطة الصوف
والقطن ولسان الدهر بالنسبة الصوم يسهل عليه حتى لو افطر لوجد للافطار
مشقة ولهذا كان صوم يوم وفطر يوم افضل لما في سرد الصوم من السهولة
المزيلة لمقصود العبادة ونقصانها والى مثل هذا اشار المتنبي بقوله:

وكانها نتجت قياما تحتهم ... وكانهم خلقوا على صهواتها

يصفهم بانهم صاروا لشدة الفهم لركوب الخيل بهم لو وجدوا الارض فيما راوها

عليهم الوجه الثاني ان ارباب الاشعار في استعمال وحشي الكلام وغريبه
الذي لم يتجه فيه احد عندي من الناثر لقيته بعيد العاقبة والملاءمة عن الناثر
وهذا ساقط لاعتباره هنا ودعواه ان النظم اسهل الثالث ان الناثر
يكثر الاتيان بمعنى في لفظ اكثر الناظم الاتيان به الا في اكثر من ذلك
اللفظ بحكم الوزن والقافية عليه فيلوذ بعض الناظمين اذا اضطر الى الاتيان
الاستغناء عنها وما خلا من الحذف والحشو وما لا حاجة اليه افضل مما
تضمنه واشتمل عليه والجواب من وجهين احدهما انا اذا كم من نظم
اخصر لفظا واشمل معنى من نثر هذا الشاطبي قد نظم التيسير وزاد عليه
شيئا وقصيدته اخصر من التيسير وانما يختلف ذلك باختلاف
قوة الناظم والناثر وتمكنهما في صناعتهما الثاني ان ما ذكر يقتضي ان النظم
اصعب ونقيض دعواه خلافه وهذا ما نشأ الرابع ان الشعر لا
يقوله الا من حصل الالة المعتبرة المتقدم ذكرها والنثر قد يقوله السوقة
والعامة ممن لا اكتراث له بذلك والجواب ان المماثلة ما ليست بين كلام فصحاء
البلغاء وشعراء السوقة فان هذا ان في الخاليات لم يتشبه وبين شعر فصحاء
الشعراء ابي تمام والبحتري والمتنبي وشعر مولاي واشباههم لا يخفى الا بعد
تحصيل الات الشعر وما يختص به النظم ولئن سلمنا وجود شعر فصيح من عامي
على جهة الندور فهو دليل على افضلية النظم وان العوام تميل الى الامثال والطباع

لداوين ولهذا لحقن من الناس في التعويض بما ليس للشعر ولا يمدح هذا في
دعوانا انه اصعب من النثر لما بيّنا من ان مرتب العناية الى الشي يسهل جدا
الخامس ان الناثر يعلو درجته حتى ليطلع سقف الوزارة وذلك دليل
افضليه صناعته وشانها والشاعر لا يفارق نسبة الشحاذين الطالبين لما في
ايدي وذلك دليل مفضولية صناعته وكسادها واستغنا الناس عنها
وجوابه من نحو. احدها منع هذا التفاوت بينهما مطلقا فان منشا الشعر
ومنبوعه انما هم العرب واكثر اهله كانوا ملوكا وعظما واكابر ورؤساء
كامرئ القيس وعمرو بن هند والحرث اليشكري وغيرهم من الجاهليين والاسلا
ميين والمخضرمين واعلام منصبا الخلفا الاربعة وكلهم قال الشعر
ورواه وهذا الرشيد مفتوحه بين يدي الملك عالمهم كما لا احتياج على اللغة
بشعرهم الشاعر ليس شعريا فضيله لسبو الوزير وعلى هو الاعلام
تؤيدونهم في اليوم مرارا ويكتب على العتبة الشريفة ولعل الشاعر
دخل على الملك فامره في شعره ونهاه وقد باحثه بنيابه
لنيابه كما اخذ هو بتشفيه ونيابه ٥ الثالث سلمنا التفاوت بينهما
في السند لكن لا نسلم في التفضيل فكم من وزير مفضول دايس اذا دخل
الشاعر اليه يخرج دونه ويحلف مكانه وعلى من استوزر. واللبيب لا
ينظر الى الناس بالبصر بل البصيرة ولا ينظر الى صورهم بل الى معانيهم ولا

الى كالاعم الصورية الحيوانية بل الى كالاعم المعنوية الانسانية فان
المرء يرتفع من حضيض حاليه على ذوي المناصب لهجرو امنه وقد قال القائل
ما ان تزال سعادة تزاحمنا على الراوين امثال البرامكة
تشير الى انه ركب الجمل من سيحوا ارمنين رليله وقال الاخر في تعيير
على الزمان وانه ذو غيره من المتولين عليه ونام عنه وغنته لهم
لعله ان يبدا فضلي ويشهرني لعينه ينام عني او تنبه لي
الرابع قوله الشاعر يقصر وزيرا والناظم لا يمكنه نجادا ان عنى بان ذلك
لازم بطرد فهو باطل اذ كم راينا من ناظم يجاور لا وزير ولا مات وان عنى انه قد
وقع ولم يقع فسلم دسيويان في ذلك وان عنى ان الغالب ما ذكره فقد سبق
جوابه وسياتي الخامس ان شان الصنعة فقد يكون الصرورة الهادرين
ضرما الكرد ذلك لا يدل على افضليتها الا ترى ان الابنية الشديدة المزوقة
الموضوعة على اصول الهندسية لا ضرورة بالناس اليها وهم الى اللبن
والطين اميل واستعمالهم له اكثر وهو فيه اسهل ومع ذلك فاذا
حصل البنا المزوق المشيد المحكم كان في النفوس اسر لكونه ادق وفي العين
واتم اعلا واكثر واهل الشان فيه ارغب فلذلك النثر مع النظم وقد
يلون للقصود من غيره مع تطلع النفس اليه لا ما كل الشي للعديم فقدرته
على الفضل وترك الحكماء لعدم الفرس فهذا يدل على مفضولية الناقض

لا افشلنه وقد خلى من ان المغرب البحراني وكان من فحول الشعراء
المتأخرين انه قصد رجلا ليمتدحه فبعث اليه الرجل المقصود في بعض
الطريق من يسير وناشده الله والرحم ان يرجع عنه متعذرا بانه لا اجد
سعة الا فيما مدحتك ولا ارضى ان تعد علي ذ ترجع ما لا يا فيك فهذا
قد ذهب من شعر هذا الشاعر لسلبه وشدة الرهبة منه على تقدير مكافاته
وقد صنف في فضايل الشعر كتب وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لحسان
وقال اللهم ايده بروح القدس وقال للنابغة الجعدي لا يفضض الله
فاك وقال لكعب بن زهير بئس خطيب القوم انت وهذا من يورده
على جهة الاستدلال بل على جهة الاستيثار وما ورد في ذم الشعر
من الظواهر فتاولت والله اعلم ٥

الجملة الثانية في احكامه الخاصة وفيها بابان ٥

الاول في الفصاحة والبلاغة واعلم انهما لثبوت اعجاز القرآن الكريم
بهما لا يلقى فيهما قول مهمل ولا كلام مجمل فيحتاج فيهما الى كلام مفصل دون تحصيل
فيصل وفيهما ابحاث الاول الفصاحة خلوص اللفظ من التعقيد
الموجب لعسر فهمه ولذاذة استماعه وذلك باشتماله على صفاته
المتقدمة واشتقاقها من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب
لباه والبلاغة كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده بيا

فثبت فصاحة وهو فصيح وبلغ بلاغة فهو بليغ واشتقاقها من بلغ المكان
اذا انتهى اليه فسمي الكلام بليغا اما لكونه بلغ نهاية الاوصاف اللفظية والمعنوية
وهي افادة المعنى وفصاحة اللفظ ومطابقته معناه بحيث لا مزيد عليه قال ابن
الاثير قال ومتى عري من صفة من هذه الصفات خرج عن ان يكون بليغا من
واما لما بلغ من تبليغه المتكلم اقصى مراده وهو اولى من الاول ويظهر
انه سمي بليغا لكونه يبلغ السامع اقصى ما يريد به من المعنى وقوله تعالى
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا ظاهر فيه اذ المراد قل لهم قولا يبلغهم
ويفهمهم اقصى المعنى المراد فيه وهو ايضا يحتمل التفسيرين قبله ٥
الثاني موضوع علم الفصاحة الالفاظ الدالة على معانيها احدى الدلالات
الثلث اعني المطابقة والتضمن والالتزام وموضوع البلاغة الكلام الفصيح
ومعناه فهي اذا اخص لان متعلقها اللفظ والمعنى ومتعلق الفصاحة
اللفظ فقط فاذن كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا لجواز خلو
الفاظه من التعقيد مع قصور دلالته او زيادته على معناه وهذا على تفسير
ابن الاثير للبلاغة اما التفسير الاخير فكل منهما اخص من الاخر من وجه
لجواز خلوص اللفظ مع قصور الدلالة او تمام الدلالة مع تعقيد اللفظ
الثالث الفصاحة معنى اضافي يختلف باختلاف الاضافات كالحسن
والقبح المختلفين باختلاف الازمنة والامكنة والطباع بدليل ان ما

العرب العاربة تعده من الكلام فصيحا لخلوصه من التعقيد بالتشبيه اليهم
تعده عن الا رغير فصيح ليعصرو بالنسبة الينا كما سبق في كون اللفظ
وحسنه وكذلك الملاحة لاشتراط التناجد فيها وشروط الامساك
امساك والله اعلم ❊ الباب الثاني في انواع علم البيان ۞
وهي ضربان معنوية ولفظية اما المعنوية وقدمت لاصالة المعاني وسدادها
في الوجود فان المعنى اذا قام بالنفس اعرب عنه اللفظ فتسعة وعشرون

النوع الاول الاستعارة وفيها ابحاث

الاول ـــ وحدها نقل من استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في
وضع التخاطب للمبالغة في التشبيه وبهذا القيد تنفصل عن سائر وجوه المجاز
لبعد الغرض بها ذلك وذلك كقولك من رجل شجاع رايت اسدا او غايرت
من القطن بان جعلت احدهما على الاخر نحو زيد اسد او ليث من زيد اسدا
فمثل استعارة وقيل تشبيه بليغ اذ شرط الاستعارة ان لا يذكر المستعار
له كقول ـــ زهير ❊
لدى اسد شاكي السلاح مقاذف له لبد اظفاره لم تقلم ❊
الثاني في اركانها وهي اربعة مستعير وهو المتكلم ومستعار وهو المعنى
التشبيهي المشترك ما لا استعار لابيضاض الراس الشيب ومستعار منه
وهو المعنى المشترك حقيقة فيه كالنار ومستعار له وهو مقابل

اليه المعنى بالاستعارة كثير الرماد فالمستعار منه اصل والمستعار له فرع ۞
الثالث ـــ الاستعارة اشرف وابلغ من حقيقتها وذلك ثابت بالذوق
السمع والاذن رايت الاصمعي والنقل الاجماعي من اهل علم البيان وتشبيه اسامات
بحكم الاقوى للاضعف اسامات الاسد به لزيد واستعمال الثلج للشيب
والمح الاستعارات ما كان التشبيه الحقيقي فيها اشد خفاء كقوله ❊
اثمرت اغصان راحته لجناة الحسن عنابا ❊
فاستعار الاثمار للظهور والاغصان للاصابع والاجتناء للطلب والعنا
للانامل المخضوبة فلولا المشبه لما ذكر لظهر من اصابع يده المحمرة كالاعنان
لبالي الحريشة الغاب لطال الكلام ورك وزال رونقه وثر احسن
الاستعارة المبالغة في التشبيه مع الايجاز نحو ❊ الا يزدهي على يسهم فانقد له
الرابع الاستعارة اما استعارة محسوس لمحسوس كاستعارة البدر للوجه
او استعارة ... للحسن والاشراق والطائر للعادي فرسه كطائر الرعد او معقول
لمعقول كالموت لحياة الجاهل والعدم لوجود من لا فائدة فيه كطائر
مقيم العاما او محسوس لمعقول كالشمس للحجة الواضحة والقسطاس
للعدل والحبل المتين للقران لكن هذا المثال انما يصح على راي من يرى
ان الكلام معنى نفسي والمثال من القسم الاول ❊ او معقول لمحسوس كقوله ❊
❊ فنطرها شغفا من سقام ❊ ويحسبها حياة من جمادة ❊

فاستعار الشفا من السقم للوضع المنظور اليه بها بالجامع جعلوا الله منهما ولما
كانت لغة الشفا اعظم جعلها اشد الخامس في ترشيح الاستعارة وهو مراعاة
جانب المستعار بان يأتي في سياقه بما يستدعيه ويضم اليه ما يشاكله وهو
اما لفظا بعد او تصريحا لقول امري القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل:

لما وصف الليل بالتمطي اردفه بما يقتضيه من الصلب والاعجاز والكلكل
او التزاما وكناية وهو ان يذكر بعض لوازم المستعار المنبهة عليه من
غير تصريح بذكره كقول ابي ذؤيب ٥

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع:

ذكر الاظفار واشباهها تنبيها على انه استعار لفظ السبع اذ الاظفار
من لوازمه للمنية في ذهنه وان لم يصرح به ويجرد الاستعارة مراعاة
جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
فاللباس هو المستعار ولو راعى جانبه لقال فكساها ولكن راعى جانب
الجوع والخوف الذي هو المستعار له والذوق من متعلقاته كما نسب الجوع
والخوف بمطعوم مستكره اذاقهم طعمه وغلبوا بحجتهم به وشملهم
وهذا احسن من الاقتصار على احد الوصفين وكذا قول زهير
لدى اسد شاكي السلاح ولو راعى جانب المستعار منه لقال في

المخالب او البراثن ثم راعى جانبه في قوله له لبد اظفاره لم تقلم
فجمع بين الترشيح والتجريد في بيت واحد واعلم ان الاستعارة
تقع في الاسماء نحو رايت ليوثا وفي الصفات نحو ايتها حمام الحير
وفي الافعال نحو اضاء الحق واقبل وانقمع الباطل وادبر ولقائل ان
يقول هذا المجاز في التشبيه لا في نفس الفعل وفي الحروف
كا قاله بعضهم نحو عينا يشرب بها المقربون اي منها فسئل به خبيرا اي
عنه فاما ينتزنا ملسانك اي عليه والحق ان هذا مجاز وليس استعارة
اذ لا تشبيه فيه السادس الاستعارة نوعان جيد يجب استعماله
وتوخيه ما امكن ورديء يجب اجتنابه ما امكن: اما الاول
فهو ما اشتد الامتزاج والتناسب والتشابه فيه من المستعار له
ومنه قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فان المناسبة بين ابيضاض
الراس بالشيب واشتعال النار في الحطب شديدة من جهة سرعة
الالتهاب والانتشار شيئا فشيئا واحالة ما انتشر فيه من صبغه
ذلك وتعدد اللاني وعظم الالم وتعقب الجمود والخمود
وقوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فان انسلاخ الليل عن
النهار لما كان شيئا فشيئا تدريجا وكانت هوادي الصبح عند طلوعه
كا للتجه لاعجاز الليل استعار لذلك لفظ السلخ الدال على تناسل

المتلاحمين شيئا فشيئا كما في جلد الحيوان المسلوخ وهذه الاستعارة
في اعلى المراتب في بابها   ومثله وهي الطبقة قول ابي تمام

ومعرس للغيث تخفق بينه   رايات كل دجنة وطفاء

فاستعار لفظ العرس وهو موضع التعريس لموضع وقوع الغيث ولفظ
خفوق الرايات وهو اضطرابها لهبوب الرياح حين هبوبها وانتصابها
لانتصابها الوطفاء وهي المسترخية من الامطار ولفظ الرايات لهدب السحاب
وهو المتدلي منها لانه هدب القطيفة بجامع التدلي ولفظ الدجنة
وهي الظلمة للسحابة السوداء   وكذلك قوله في الخمر

صعبت فرام الماسي خلقها   متعلقا من حسن حلو الماء

فاستعار لها لفظ الصعوبة لامتناعها من ان تشرب لشدة سورتها
وسهل الماء منها لفظ الرياضة تشبيها لها بالدابة الصعبة
واستعار لها سوء الخلق لاستصعابها تشبيها بسيء الخلق من الناس
لاستصعابه من حسن المعاشرة وللماء حسن الخلق لسلاسته ولينه ولطافة
جوهره وحسن اثره ولهذا يقال فلان الطف اخلاقا من الماء
وفي الحكمة الماء من طبع الروح ولهذا ايضا لمس مشابهة له
وسرور به ويؤكد ان غالب المواضع التي ذكر فيها الماء في القرآن يعقبه
ذكر احياء الارض الميتة فجعل الماء للارض كالروح للجسد وبرد للمتوله بهم

يا طود حلم ملكت معتصما به   يا بحر جود دمت في ساده

فاستعار لفظ الطود للحليم بجامع الثبوت والرسوخ وعدم
التقلقل والاضطراب ولفظ البحر للجواد بجامع الكثرة والسعة له
واما الثاني فما كان ارتباط التناسب بينهما بعيدا   وقد كان
الاكثر من اسلوبه قول   ابي تمام

يوم فتح سقى اسود الضواحي   كثب الموت رائبا وحليبا

فانه قد بالغ في تبعيده من وجهين احدهما ان الكثب من الالبان
واشتهارها والمتابعة من الموت واللبن بعيدة ثم لم يكفه ذلك
حتى جعل منها رائبا وحليبا   الثاني ان من شان الموت ان يستعار له
ما هو لا مما يستطاب وهو ... انه تجاوز في هذا وجار على ابي تمام
فان هذه الاستعارة في غاية الغلو فليست في غاية السهولة كما زعم
وذلك لانه لا خلاف ان الموت مستعار هو اسم السقي والتجرع
قول القائل

اسود شرى لاقت اسودا   تساقوا على حرد دما الاساود

فابو تمام استعار لفظ السقي في سياق ذكر الموت ثم لما راى ان بعض
هذه الحرب اختتم في اولها ترعفا وتعقبهم تراخي منه الموت
وانطا الى اخر الحرب ثم وافاه راى ان اشبه الاشياء بالمر شرعة

وايضا فان اللبن الحليب والرايب لا ننبني حليبا عقيب حلبه ورايبا اذا
تراخي من زمن حلبه فاستعار لفظ اللبن لما سبق جال بين هذه للحرب
صفة الحليب والرايب في النعت والتراخي واعتبرى ان هذا
تصرف حسن وقريحة جيده وان الله نا منوا العدل ولما قوله انما استعار
للموت مايكره لاما تستطاب فحوايه النفس سوك الحلبي
سقناهم كاسا سقونا مثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبرا
والكاس لما هي في الخمر وهي ما تستطاب عاده الاستطابه ولهذا رتب
على شربها الحد وجرا عنه فلبن قال انها استعاره منا بجامع ما يلحق
السكران من غيبه الشخص المشبهه لغيبه الموت قلنا وابو تمام استعار
لفظ اللبن لانه حمل احد قسميه رايبا وفي الرايب حموضه او مروزه
مستكرهه ولما سبق من مناسبه التراخي وذكر الحليب لما ذكرنا من
مناسبه الرجعه وذكرنا ايضا من ذلك قوله ايضا
وتعاتبم النار البيضا بجذذا وذهبت بانات رواسبه وتنامه
وترتب للنار الايمات ومابني من قرنيه وعروقه وعظامه
قال فاستعار للبيضا اساسا وسناما واهابا وعروقا وعظاما وما
مع ذلك حتى استعار له وقد صار البيضا جبلا على الحقيقه قلت
وهذا الشعر فادح في الاستعاره لانه استعار مخشوش لعقول

والحمل من اشهر المحسوسات عند العرب وكانوا به اكثر تمثيلا ولهذا
لما سال بعض خلفا الفرزدق من اشعر الناس قال انما مثل الناس كمثل
جزور نحر فاخذ امرو القيس سنامه والنابغه الذبياني ثم جاء زهير
فاكل من الطايب لحم وجناح فلم يلق الا الفرث والدم واكل انا امام
لعل هذه التشبيه فنقلها من الشعر الى البيضا لكونها ؟ ولم
يعب احد على الفرزدق ويقال انه جعلت الشعر جملا على الحقيقه الاستعاره
من الحقيقه التشبيه في المعنى وذكر من ذلك قول بعضهم
الى ملك في ابكي الجنادل لم يزل على كبد المعروف من نيله برد
قال الاستعاره ان بعد تار لكن استعاره الاكباد للجود اقرب من
استعاره الكبد للمعروف ومن له ادناه وقد تعلم ان هذه استعاره جيده
لا ان بها والحق ان مراتب الاستعاره عليا ووسطى وسفلى وهذه
الامثله التي ذكرها وغايتها ظاهرا وسفلى وجعل ان ابيات الخفاجي
من خلفها بيت امرئ القيس ۝
فقلت له لما تمطى بصلبه البيت
وقال ليس من الاستعاره الجيده ولا الرديه بل هو وسط وهو وهم
قبيح بل هو من الرتبه العليا وما ذكره ابن سنان في توجيه دعواه
ضعيف لا يستحق ان يذكر والله اعلم ۝

النوع الثاني في الكناية والتعريض وفيه ابحاث

الاول في اشتقاقهما اما الكناية فهي من كنيت الشي اكنيه اذا
سترته بغيره ومنه كنية الشخص كابي محمد وابي زيد لانك سترت اسمه الاصلي
بهذا اللفظ الذي سميته به كنية وقال بعضهم اصلها كناية بالواو بدلا لها
من الكن وهو الستر واما التعريض فيجوز اشتقاقه من اصلين احدهما
عرض الحائط ونحوه بجانبه لانك تحوم حوله والثاني من قولك
عرضت الشي او عرضت على فلان كذا من عرض شيئا لغيره فقد عرضه عليه
ليقبله او يتركه والتعريض نوع من الكناية لان في اشتقاقه معنى الستر
الثاني في تعريفهما وهو ماخوذ من معنى اشتقاقهما فالكناية اخفا
المعنى المقصود تحت لفظ لم يوضع له لمشابهة بين المعنيين لخوف او حيا
او منافرة او غير ذلك فالخوف كقولك للشجاع تريد قتله وقاصدا
نحوه الحمد انا ما ذبت ولا ابي ... او يا ... من الطلاب ونحو. واما
ذكر العورة والحيا فكقوله تعالى او لامستم النسا اراد الجماع فكنى عنه
باللمس اذ الجماع لمس خاص فاخفى الخاص تحت لفظ العام حيا كذا
ورد في بعض الاثار او تعليما للحيا وكقوله وقالوا لجلودهم لم
شهدتم علينا قيل اراد فروجهم والمبالغة كقوله تنتم :
لا يعتري النجاسة ثيابه حلو شمائله عفيف المئزر

كنى عن عفته من الزنا والفساد بعفة المئزر لانه اراد ذلك الامر المحل
ستره وهذا وجه المشابهة بينهما وقال ابن الاثير الكناية ان يذكر الشي
بغير لفظه الموضوع له كالكناية عن الجماع باللمس وقال غيره الكناية هي
الكلمة التي يراد بها غير معناها مع ارادة معناها نحو فلان كثير رماد القدر
فالغرض الاصل منه وينتقل الى اللازم ذلك من الكرم مع ان كثرة الرماد مراده
بالغرض وهذا الا انه يصح لكون التعريض فيه نظر من وجهين احدهما
ان الكناية ليست من الظهور استعمال الكلمة في ارادة غير معناها والثاني
ان لفظه مستعمل في معناها فيه مع اعتبار الاختيار
واما التعريض فقال ابن الاثير هو ان يذكر شيئا يدل به على شي لم يذكره وهو عين ما
ذكر في الكناية الا انه عن اللفظ وحرمة الفرق والتمييز بينهما واري ذكر ما
يدق ويخفى وقع النزاع في قول امرى القيس :
فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة اي اذلال
ه لما رضنا زمن مرحة من الجماع يعني المسال الحسنى وقال ابن الاثير
هو عرض به ولا شك ان ما ذكر في تعريف الكناية والتعريض جميعا صادق عليه
فلزم اما ان يكونا مترادفين او بينهما فرق دقيق ه الثالث اركان الكناية
الكاني وهو المتكلم والمكنى به وهو المعنى الذي لفظه كاللمس والمكنى عنه وهو
المعنى المدرج المستور تحت اللفظ المذكور كالجماع في الاية والكناية

وفي الربط متصدي الركنين باستعمال احدهما واخفا الاخر تحته ولو كان
التعريض كذلك المعرض والمعرض به التزوج في قول الخاطب للمعتدة ولا
سوى بي عليك وما به التعريض وهو هذا اللفظ ونفس التعريض وهو
استعمال هذا اللفظ لارادة ذلك المعنى ◦ الرابع الفرق من الاستعارة
والمجاز ما سبق وبينها وبين الكناية ان الغرض بالاستعارة المبالغة والتشبيه
وبالكناية ستر المعنى المقصود لاحد الاغراض المتقدمة وبين الكناية
والمجاز على تعريفنا الاول لها هو ان المراد بها ستر المعنى المقصود بها
والمراد بالمجاز اظهاره اذ مقصود قولنا زيد اسد اظهار معنى الشجاعة
فعلى هذا اما سبق ذكر وعلى التعريف الثاني للكناية فهو الجز اي الفرق بينهما
ان المعنى الاصلي في الكناية يراد ايضا لكثرة رماد القدر والمال في على
المجاز اذ حقيقة الاسدية في قولنا زيد اسد غير مرادة ◦
الخامس الكناية فيما يحسن ويقبح والحسن على اضرب الاول
التمثيل وهو التشبيه على حد الكناية وهو الاشارة الى معنى بلفظ وضع
لغيره كقولهم فلان نقي الثوب اي منزه عن العيوب وموقعه في التمثيل اشد
لابرازه المعقول في صورة المحسوس ومنه قوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك مثل البخيل بغل اليد الى العنق وهي كناية لعدم
بذل البخيل من بسط اليد بالعطا كالمغلول وهي صورة الغل وهو من التمثيل

عنه ولو به ميز لها المغلول مبالغة في تغيره عنه وبينها على ان البخل مرذا
والمال للفعل ومنه قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
مثل غيبة المسلمين باكل لحم الادمي ميتا وكنى به عنه اذ الغيبة من نوع العرض كما ان
اكل اللحم من نوع تمزيق الجلد وذلك قبيح في بداية العقول ثم ترقى في مبالغة
التمثيل وذو وجه اخرى بان جعل اللحم لحم الاخ لانه اشد كراهة اذ
الانسان يراعي حق اخيه ما لا يراعي حق غيره وبلغ ما لا يليق لغيره ثم ترقى
فيه درجة اخرى بان جعل اللحم ميتا لان المغتاب لا يعلم بالغيبة كما ان
الميت لا يحس لما صنع باطل لحمه ثم وشك لذلك لفظ الكراهة مبالغة في التنفير
ومنه قول ابن الدمينه ؞

ابيني أفي يمنى يديك جعلتني فافرح أم صيرتني في شمالك ؞

فكنى من الاكرام بجعله في يمناها ومن الاهانة بجعله في شمالها لان اليمين
اشرف من الشمال حسا وشرعا ولذلك كنى الله تعالى عن اهل الجنة باصحاب
اليمين وعن اصحاب النار باصحاب الشمال في موضعين من سورة الواقعة
اولها واخرها ومنه قول العرب اياكم ومقيلة اللج وقوله عليه السلام
اياكم وخضراء الدمن كناية عن المراة الحسناء في منبت السوء وتمثيلا لها
بها والله اعلم ؞ الضرب الثاني الارداف وهو اسم اخترعه قدامه
ابن جعفر وهو الاشارة الى المعنى بذكر ما يرادفه اي يتبعه ويرادفه كما سياتي وغيره

فجعله من قبيل التمثيل والفرق بينهما يعرف من تعريفهما وقد وعدتك الاول
مثل البادر قصدا اي الصادر على البديهة من غير تثبت ومثاله قوله تعالى
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وقوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه فالاشارة بقوله
لما جاءهم وجاءه الى سرعة عقولهم وسفه احلامهم حيث بادروا الحق بالكذب
والرد ولم يتدبروا ولم يتأملوا فيه تأمل العقلاء المراجيح فيما يرد عليهم من
الحوادث فقد اشار الى ذمهم بذكر ما يفيده ومن امثلة هذا الفرع الثاني
الكناية عن التي مثلها كقول من اراد دفع قبيح عن نفسه مثلي لا يفعل هذا

قال الشاعر

يا عاذلي دعني من عذلكا مثلي لا يقبل من مثلكا

اي اني لا اقبل منك وكقولهم مثلك اذا اعطى وهو كثير وهو ابلغ في التاكيد
للكلام واوقع لغرض صاحبه قال ابن الاثير فلو جعل نفسه من جماعة
هذه اوصافهم اشارة الى نكتة فيما وصف به نفسه اذ لم تفرد به لم يثق
فيه وقد نبه كما يقال مثلك يجود انت من القوم الكرام اي لك فيه سابقة ولست
دخيلا فيه وعندي فيه نظر لان تفرد الانسان بصفات المدح اشد
لحاله فارفع من شانه كما يقال فلان خالص من الكرم على انه ليس مثله وليس
هذا من قبيل قولهم انت من القوم الكرام وقولهم للعربي العرب لا تخفر الذمم

وانما وجهه عندي ان قول القائل مثلي لا يسأل كذا اشارة الى انه نفى ذلك
عن غيره لذاته ولكونه انسانا اهلا لسماحة حملها بقوله فيمن تكلم فانه في نفي
شخص من ذلك وانه ان كان شيئا لشيء لنفسه وان كل من كانت فيه
الصفات فهو مثل في ذلك وهو مظنة نفي ثم عنه او اثباته له من اجل تلك
الكمال والحال واللازم لنفسه ولما دار في العقل يستحقون من هذا
الكلام لكونه كافة من تركيب اسمهم اما اثباتها لحامله او لو كان كما ان
ابن الاثير لما استحسنوا منه ذلك اذ ليس فيه الا الحاق اسمهم من نسائهم
وذلك لا يستحق منه لان المبادر الى الفهم الصحيح من هذا الكلام ما
ذكرته فاما قوله تعالى ليس كمثله شيء فقيل الكاف زائدة والا لزم اثبات
مثل ونفي مثل ذلك المثل وهو محال وقيل هي على اصلها في التشبيه
ومثل بمعنى ذات اي ليس كذاته شيء على عادة العرب فيه وقيل التشبيه فيها
راجعة الى الصورة الذهنية اذ لكل المعلوم صورة وقع فيه ادراكه في
الاذهان فمعناه ان الكلام ليس لصورته تنزه الله تعالى عن الصورة والابعاد
نزه هذا الوجه لنا شيخنا المزي وقال هو تقرير متوقف
الفرع الثالث منه ما يقع في جواب الشرط المقدر كقولك
لن ادعي موت زيد لجهات الخبرة موت زيد فهذا وهذا اي ان كنت اخبرت
موت زيد فقد كذبت فانه مما يراه في البلاغة في المعنى وقوة موقعه

خصوصه زيد ثم دعوى المحرومية وهو من اللطف الكنايات ومنه قوله تعالى
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا
يوم البعث اي ان كنتم انكرتم البعث فقد كذبتم اذ قد عدا يوم البعث حاضرا

الفرع الرابع صيغة الاستثنا الموهمة لحقيقته وليست كذلك
نحو ليس لفلان الا السيبان ليس له ظل اصلا فصيغة الاستثنا
مؤكدة لنفي الظل ومرادفة له ومنه قوله تعالى ليس لهم طعام الا من
ضريع اي لا طعام لهم اصلا ولهذا عقبه بحكمه وهو قوله تعالى لا يسمن ولا
يغني من جوع والضريع نبات الشبرق وهو نبت له شوك

ومنه قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقول الآخر

ونعزوا بالمكرمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

اي لا عيب فيهم ولا شي لغيرهم منها اصلا ونظائره كثيرة وتقرير هذا
الفرع على الظهور والجلا يحتاج الى تقدير وقوع ما تقدم من الاستثنا
جوابا لشرط مقدر على طريق التجاهل تقديره ان كانت الشمس ظلا فما
لفلان ظل الا الشمس وان كان فل السيف عيبا فلا عيب لها ولا الا
فلول سيوفهم وان كان الحرمان مكرمة فلغيرهم لا سواه ٥

الفرع الخامس ولم يسبق الاشارة اليه واما التسمية بدلالة الملزوم
على اللازم فمنه قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
والجواب الاصلي نعم نعلم انه مرسل فعدلوا الى ملزوم ثبوت الايمان
وعلمنا بهم به ومنه قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديره اذنبت
او اخطات لم اذنت فعدل عنه الى مرادفه في المعنى وملزومه
وهو ذكر العفو لانه ملزوم الذنب ومنه قوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا اي كذبتم في دعواكم فعدل من صريح التكذيب الى
مرادفه وملزومه وهو دعوى عدم ايمانهم رفقا بالمخاطبين في الخطاب
واستحسانا لذكر الكذب وهو من جميل الآداب ومنه قوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار اي فاتركوا العناد واسلموا فاجتهدوا
فتحلى اي فالمتقون فعدل الى مرادفه الكافر وهو من التحليه ومنه
قول بعضهم : وقد قلت وما يعني الوداد فاني ما في ضمير الحبيب عالم :
فانا ان خيرا يسرني وعلمته وان كان شرا لم يطلني اللوم :
اي وان كان شرا محوتها فلم يصرح به بل ذكر دليله ومرادفه فعم توجه اللوم
ومنه قول الاعرابية في حديث ام زرع يصف زوجها الكريم له ابل
قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن

هو الكلُّ فقد ذكرت ما يرادف الكرم والله اعلم ه الضرب
الثالث المجاورة وهو العدول عن الشيء الى ذكر ما يجاوره كقول عنترة
بزجاجة صفراء ذات اسرّة ٭ قرنت بازهر في الشمال مفدّم
اراد بالصفراء الخمرة وصرّح بذكر الزجاجة لمجاورتها لها وفيه نظر اذ
الخمرة من الاصفرار، والزجاجة الى الصفرة ادنى فيما اذا اشتملت
على الخمر اقرب وانسب والثالث الصحيح قوله
فشككت بالرمح الاصم ثيابه ٭ ليس الكريم على القنا بمحرم
اراد ثيابه نفسه وقيل قلبه وعلى نحوه فسر بعضهم قوله تعالى وثيابك
فطهر اي فطهر قلبك او نفسك او بدنك فعدل الى ذكر الثياب لمجاورتها
لذلك ه الضرب الرابع ما ليس من الادب المتعمد منه
بهذا ترجمه ابن الاثير وانا اترجمه ما عن الشيء بغير ما يستحسن الوقوف
عليه او لمنع كقوله تعالى أوَمن ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير
مبين كنى عن النساء بانهن ينشأن في الحلية ووصفهن بالنعومة والبقاء وعدم الابانة
في الخصام وصون طبعهن وجبلتهن لضعف قوتهن العقلية ومن
ذلك قول ابي نواس
فقولن التي من بيتها خفّ محملي ٭ عزيز علينا ان نراك تسير
كنى بذلك عن اسراف الغادة ان ترى التصحيب اذا ما قرانا عف

حرب امرأته وذكر ابن الاثير من هذا الضرب قول نصيب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ٭ ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
وليس منه لانه من قبيل الارداف اذ معناه لو سكتوا عن الثناء عليك كانهم
حقائبهم التي ملؤها من اعطائك وجوائزك وسماه بعضهم مجازا الدلالة
على كرمهم فعدل من لفظ المدح الى ما يلزمه وسوغ الحقائب فاعرفه
والصحيح منها ما اخفي لفظه وظهر معناه لدلالة مثل او عرف كقول الشاعر
اني على شغفي بما في خمرها ٭ لاعف عما في سراويلاتها
فالمرح بهذا خير من الكناية منه اذ كل احد يعلم ان الاحسان بما في
سراويل المرأة الى ذلك فيها، وانه مما قول الشريف الرضي
اجن اليّ ما يضم الخمر والحلى ٭ واصدف عما في ضمان المازر
فانه اي المعنى حسنه في اللفظ والحس وابين ما يكون من الكنايات
واما المعنى الذي ذكره الله تعالى فيه في خطبة العلماء وشرح السكاكي، لعله السوأ
ما قول الرجل لها ان في ملكي لراغب ولا سوقي او تبيتي
معك والك لجملة وارتاح حاجة الى النساء، وتحية ما يرغب
مثلك وان قضي ما كان وتوفي الى السواد يعرّض لها ارتحل بذلك وهي
سافرت في حياة زوجها قالت سمعك غيرك ٭ ومنها قول
قوم نوح عليه السلام لنبيهم ما نراك الا بشرا مثلنا فانه تعريض بانهم

اولى بالرسالة منه بدليل قولهم بعد وما نرى لكم علينا من فضل اى فلولا
دعواك الرسالة املا لارسل الله البنا ذوتكو والذي يحققون وهم من صيده
الاية دعواهم نفي رسالته اما دعوى اولويتهم بالرسالة فتتبع نودده
ومنها قول ابراهيم عليه السلام لقومه بل فعله كبيرهم هذا
فسئلوهم ان كانوا ينطقون وهو تعريض لهم بتجهيلهم وتنبيه لجلالهم
من وجهين احدهما ان المتكلم انما لنومهم من ذلك لا ينطقون وعبادة
ما لا ينطق جهل وسفه الثاني ان نسبة الحكم غضب من عبادتكم ما دونه
فكرها تعريضا بان الله تعالى اولى بالغضب من عبادتكم ما دونه وهذا
تعريض قايم ومنها قوله عليه السلام وهو مختص احدا اى اخي والله
انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان اخر وطاه
وطيها الله بوج تعرض صلى الله عليه وسلم بذلك بقرب وفاته ومعادته
جنبه الدنهم من ريحان الله واهله وبيانه ان الوطاه الشديده
اللهم اشدد وطاتك على مضر ووج وادي الطايف والاشارة به الى غزاه
حنين وهو واد قبل وج واخر وقعة اوقعها الله بالمشركين
على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم به وكما تعدها من الغزوات وهي
بعد خروج وتوحد لا قتال فيه وكانت غزاه حنين في شوال سنه
ثمان ووفاته عليه السلام في ربيع الاول سنة احدي عشرة وبينهما
العاجز

ستان وبعث فعند ذا الكلام انكم لمن ريحان الله واي معاد فخم من قرب
لان المقصود ما جرى الى الدنيا بهيبة الدين والشريعة وقد تهدت
واخر ما كان من فهيا بها وطاه الله على المشركين بوج وقد انقضت فالمراد
معاد فخم وهذا من غرايب التعريض ۞ ومنها ما كتبه عمرو بن مسعدة
الى المامون في حق بعض اصحابه اما بعد فقد استشفع بي فلان الى امير
المومنين ليتطول بالحاقه بنظرايه فاعلمته ان امير المومنين لم يجعلني في
مراتب المستشفعين وفي ابتدايه بذلك تعدي لطاعته فوقم المامون
قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وقد اجبناك اليهما
ومنها قول الشاعر ۞
بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحرا الغمير القوافيا
عرض لهم بانا قتلناكم بذلك المكان فلا وجه لا فتخاركم علينا في الشعر
بعدها فانه لا ينفعكم فصاروا كالميت المدفون وكلام هذا اكثره ۞

النوع الثالث التشبيه وفيه ابحاث

الاول في تعريفه وهو الدلالة على اشتراك شيئين بامر لهما في صفة
اشتركا في اصلها واختلفا في كيفيتها قوة وضعفا ومثاله واضح ونحيح
بما يساوي الثاني اوكانه ان تعد المشبه به كالاسد في قولنا زيد
كالاسد ثم اذا علمت كاف التشبيه على ان ونحيت فقيل كان زيدا الاسد

ومادون كان اصلاً في التشبيه واما تشبيههم مثل نحو زيد مثل الاسد
فهو مبالغة فيه عادة اذ لما لم يكن من الامثال في الاداب والصفات والمشابهة
الا انه في بعض الحيثيات ۵ الرابع الصفة التي بها التشبيه اما
اما دينية كقولك خده كالشمس اي في الوضوح والعالم كالماء اي
في السلاسة والخلق كالنسيم اي في الرقة والسهولة لان منه
قد يكون ذلك بالنسبة الى شيء دون غيره او حقيقية ثم هي اما
نفسانية كالجود والحلم في قولهم هو كحاتم جوداً وكقيس حلماً
او جسمانية ثم هي اما غير محسوسة كالبلادة والشجاعة والطول في
قولهم هو كالحمار بلادة وكعمرو شجاعة وكالنخلة طولاً او محسوسة بحسب
البصر كتشبيه الخد بالورد او بحسب السمع كتشبيه الصوت المكروه
بالحمار او بحسب الشم كتشبيه الارايح الطيبة بريح المسك او بحسب الذوق
كتشبيه الطعوم اللذيذة بطعم السكر او بحاسة اللمس كتشبيه الجسم
الناعم بالخز لينا والخشن بالمسح خشونة ۵ الخامس التشبيه فائدتان
احداهما الايجاز اذ قولنا زيد اسد او كالاسد اوجز من قولنا زيد
شجاع شديد الشجاعة والثانية المبالغة اذ مراتب الصفات
متفاوتة فحملها على موصوفاتها بدون التشبيه لا يفيد ما يفيده معه
بيان ذلك قولنا زيد شجاع شديد الشجاعة لا يفيد ما يفيده قولنا زيد اسد

لاختلاف مراتب الشجعان فقد يكون شديد الشجاعة ولا يبلغ رتبة
الاسد فيها ثم الغرض بالتشبيه قد يكون الحاق الناقص بالكامل كما تقدم
وهو الاصل ومن لطائف قوله تعالى في صفة الحور العين كانهن
بيض مكنون تشبيه الكامل بالناقص اذ الحور اشد بياضاً وحسناً
من البيض بعد وهم ادعاء التشبيه عن المعهود لنا بالمعهود والحجة
عالم الظاهر لنا فالبيض من جنس المعهود به والمعهود لنا اكمل من الحور
اذا ذكرا كالتعين بالوهم والتخيل واذ ذكرا كالتبيين بالخبر والمشاهدة
وهو اقوى من صدق الجهة وقع التشبيه اليه حسب العادة
الحقيقي وقد يكون الحاق الكامل بالناقص على جهة التخيل والتمويه
بجعل الناقص اصلاً مبالغة في وصفه بالصفة المشبهة بها
وتسمى التشبيه المقلوب وتغليب الفروع على الاصول منه قول ذي الرمة

ورمل كاوراك العذارى قطعته اذا البسته المظلمات الحنادس

وقول الاخر

وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح

والعادة تشبيه الردف بكثيب الرمل والوجه بالبدر فعكس ذلك
هذا بتصيير الاصل فرعاً والفرع اصلاً مبالغة ونحوه قول بعضهم

في لمعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

وقد يكون الجمع من شيئين في مطلق الصورة كتشبيه الشيب بعرف الفرس
الادهم في ظهور شيء من كلله في سواد لونه ومثل هذا النحو تشبيه
قول بعضهم في صفة الفرس ٥

وتحجيبه ولون سائر الجسم ظلام ؞

السادس اقسام التشبيه اقسام المستعار اما تشبيه محسوس
بمحسوس كتشبيه الخد بالورد والوجه بالقمر وقول الشاعر

يوم كان سماه حجبت اجنحة الفواخت ؞

او معقول بمعقول كتشبيه بعض المعاني ببعض كالعشق والشباب
بالسحر او الجنون ومن هذا القبيل قوله ؞

كأن ابيات شعر البدر من تحت [illegible] نجاة من الباس [illegible]

وجعل الجرجاني مثالا لتشبيه المحسوس بالمعقول وهو وهم لان
الاشياء لا تحس وانما تحس الشمس وهو البدر وكذا تشبيه بعض
القديم [illegible] العضو او اضراره او اعتداده باضرار الريح او اعتاله
ونحوه كل ذلك من تشبيه المعقول بالمعقول اذ المحسوس المشبهان
لا الشيئان [illegible] لها فانه من لذة وقع او تشبيه معقول بمحسوس كتشبيه
العلم بالمطر في قول لقمان لابنه ان الله تعالى يحيي القلوب بالعلم كما
يحيي الارض بوابل المطر وكتشبيه الدهر الجديد والسمع بالنار وحد

السيف وذكر الجرجاني من امثلة هذا القسم قول علي رضوان الله [illegible]
امرة [illegible] الكلب انفه وهو وهم اذ اللفظ حركة اللسان والسنة
وليست محسوسة اما المحسوس اللسان والاسنان المتلونة وهذا الذي من
امثلة القسم الثاني وهو المعقول بالمعقول او محسوس بمعقول كتشبيه الخمر
بالروح والسيف بالموت واهدى [illegible] لصاحبه سكينا وكتب اليه قد بعث
الله بها اطلع من الشيب وقال ان الامر التشبيه اما تشبيه معنى بمعنى
كونه واحدة او معنى بصورة كقوله تعالى الى الله كرجل سعيد او صورة بصورة
كقوله الجواري المنشآت في البحر كالاعلام تشبيه صورة الفلك بصورة الجبل
والحق بالقسم الرابع وهو تشبيه الصورة بالمعنى وهو ما تشبيه القسمة
وهو مكرر او تشبيه الشراب النمل المائل على قوله والقسمة التي ذكرها راجعة الى
ما ذكره لا تخرج عنه ثم قال وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة قد يكون
مشبه مفرد بمفرد ومركب بمركب ومفرد بمركب ومائة قسم رابع
وهو مكرر الثاني وهو المركب بالمفرد كتشبيه الزبدة على الخمرة بالفارس
فالاقسام على قوله ستة معروف لمثله في بلاغة وعلى مقتضى القسمة ستة
عشر معروف اربعة في اربعة ثم ذكر الامثلة مثال المفرد بالمفرد قول البحتري

تبسم وتقطوب في ندى ووغى كالغيث والرعد العارض البرد ؞

شبه التبسم بالبرق والذي في القطوب بالغيث وقول الآخر

وكأنما فوق الأكف بوارق وكأنما فوق المتون لسان ؛

شبه السيوف بالبوارق والدرع بغدران الماء لهيئتها ؛ مثال المركب بالمركب قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية شبه مركب حال المنافقين من اغتنامهم كلمة الايمان في الدنيا واستمرارهم في الآخرة بمركب حال الذي يوقد النار في استضاءته بها حال ابتدائه واستمرار ذهاب نوره حين طفئت وقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية شبه مركب حال الدنيا في زهرتها تقلبها وزوالها بعد غرور أهلها وزخرفها بمركب نبات الأرض في ذلك ومنه قول الشاعر ؛ وهو من أحسن ما في هذا القسم ؛

فحيّر في مقر وفيه قد تموج كأنما زبد السيل بجراه مرتعا ؛

وقول الآخر ؛

بكيت عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المليك ؛

كأن دم النحل تهتت بوده بلطمة سيلي اماب عنبر ؛

وقول المتنبي ؛

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاكل ؛

وقول ابن المعتز ؛

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشي في الدجى بسراج ؛

وقول الآخر في صفة الساقي والشرب ؛

فكأنه وكأنهم وكأنما قمر يدور على النجوم بشمسه ؛

وهذا البيت وأمثاله من حيث الأفراد تشبيه مفرد بمفرد إذ حاصله تشبيه الساقي بالقمر والشرب بالنجوم والخمرة بالشمس ومن حيث التركيب تشبيه مركب بمركب ونحوه قول الآخر ؛

دعوت الغلام بطيبة وسكينة قد أجيد صقالها ؛

فقلت بالبدر شمس الضحى وأهدى إلى كل بدر هلالا ؛

اي بالنظر

وعلى هذا يتوجه أن يقال هذا التشبيه إما في المجموع فيكون تشبيه مركب بمركب وبالنظر إلى المفردات فيكون تشبيه مفرد بمفرد ؛

مثال المفرد بالمركب قول بعضهم ؛

من ا

كأن النها إنسان عين غريقة من الدمع تبدو ثم ما دون دركا ؛

وقول الآخر ؛

أنت أبا حسن وردة تلذ النفوس بانتشائها ؛

كحمراء ماسن فردت يدها على رأسها ؛

ولا تشبيه أحسن من تشبيه الحبة بهذا وقريب منه قول بعضهم

والنخل مثل عرائس شعورها قد نشرت ؛

وعلى هذا القسم تقاس صور أمثلته وجمعه تشبيه مركب بمركب

فأمله بالشفعة سعتر الى حد وهو ما قارب المشتهى منه جدًّا
وودي وهو ما ماعد فيه لتولب تفصهم في مبعد السهام
فما قارب الرشق فاعتدلت لها قداح فأمنا الطبا الفوارق
وقول الآخر
فلا تجعل الشعر كأنما جرت بها سنيح وبارح
فإن تستة شعر الحاجبين الظبا والقداح فأمنا من اردا الشبها
وابعدها ووسط ما بين ذلك والله اعلم ○

النوع الرابع في شجاعة العربية

وهي مستعارة لها إذ حقيقة الشجاعة هي قوة في
نفس الحيوان يظهر أثرها على بدنه وجوارحه من
اقدام ونجدة لمغز شجاعة العربية فوهنا لكثرة
تصرفاتها المختلفة وهذا النوع اعز هذا العلم
فائدة وهو أصناف ○

الأول في الالتفات وهو الرجوع عن أسلوب من أساليب الكلام
إلى غيره ومن فوائده تطرية نشاط السامع وإيقاظه للإصغاء فإن انتقال
الأساليب أشد تنبيهًا من الأسلوب الواحد وهو أنواع أقربها الأول
الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وعكسه ومن أمثلته قوله تعالى الحمد لله

رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين هذا أسلوب غيبة ثم التفت
بقوله إياك نعبد وإياك نستعين إلى أسلوب خطاب إلى قوله أنعمت
ثم التفت إلى الغيبة بقوله غير المغضوب عليهم ولم يقل الذين غضبت كما قال
أنعمت عليهم لأن ذكر النعمة موضوع التقرب إلى الرب بذكر نعمه فكان إسناده
إليه تعالى بالخطاب أبلغ في ذلك بخلاف ذكر الغضب وتلطيفه قول
إبراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
فأضاف هذه النعم إلى ربه تعالى ثم قال وإذا مرضت فأسند المرض إلى نفسه
تأدبًا إذ الأدب يقتضي أن يضاف الإحسان إلى المنعم عليك جل
ذكره الا النعم لا المكروهات فلا تقول للملك في سياق ذكر اياديه
الذي أطعمني ورفعت قدري وجشمتني أو من جفاني الأول كما تقول سكره
والبادي وشتمني ذمه والشكاية للشكر منه وهما متناسبان ومما يستعمل
الله تعالى هذا الأدب مع خلقه في حديث أي حرمت الظلم على نفسي يا عبادي
لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم
ما زاد ذلك في ملكي ولما ذكر ضده قال كانوا على أفجر قلب رجل
واحد ولم يقل منكم كل ذلك من محاسن الآداب واللطف وأما فائدة
إياك نعبد مع ما قبله من خطاب العبد ربه وجهين أحدهما أنهم لما وصفوا
الله تعالى بصفات الربوبية وصفات الاجلال بأسلوب الغيبة ليكون ذلك

على صدقهم واخلاصهم في ذلك ما اذا خاطبوه به اذا الخاطب بالمدح قد
تراءت فيه ذاتي وعالت لشانه فلهذا خلاف المادح في الغيبة عن قول العادل
الاخبار والسوال الى الخطاب لانه ادل على الخشوع والضراعة وشدة
الرغبة وتيسر الحاجة كما تقول للملك انعم علي ايها الملك المعظم الجواد
مالك الرعايا والمتدلل بك ايها الملك المتصف بهذه الصفات استعد على
اموري والثلاثة من جميع محاذري الثاني ان اسلوب الخطاب
اخص من اسلوب الغيبة والعبادة اخص من الحمد والثناء اذ كل معبود
محمود وليس كل محمود معبودا اذ الانسان يحمد نظيره ولا يعبده فاستعمل
الاسلوب الاخص في ذكر الفعل الاخص ومنها قوله تعالى يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا الى قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يقل فآمنوا بالله وبي لفايدتين احداهما
دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها الثانية تنبيههم على استحقاق
الاتباع لما اتصف به من الصفات المذكورة من النبوة والامية التي هي اكبر
دليل على صدقه وانه استحق الاتباع لذاته بل لهذه الخصايص التي
قامت به فتجب اتباعه وهذا نحو ما اشرنا اليه في قول القايل لي الاسعد
كذا وكذا في النوع الثاني من فروع الالتفات من باب الكناية ٥ ومنها
قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين

بهم الآية وفايدة ذلك العدول من خطابهم الى حكاية حالهم لغيرهم لتعجيبهم
من فعلهم وكفرهم اذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفايدة اذ الابيات
عن سند لا يكر عليها ولا يستعظم منها القطايع بل من غيره ودليله
في الحديث ما بال احدكم يرى القذاة في عين اخيه ولا يرى الجذع
في عين نفسه ٥ وفي الشعر ٥

اري كل انسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه

ومن الانواع من ذلك قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم معناه وتقطعتم علما على الاول لكن
التفت الى اسلوب الغيبة كانه ينعى عليهم كفرهم وافتراقهم الى قوم اخرين
ويقبح عندهم ما بالغوا في تنكيبهم ثم توعدهم بالرجوع اليه وهذا وان كان
عنهم الا انه كاسر الكلام ونيابة خلافة ومؤداه تعالى خاطب المؤمنين
بان الامة واحدة وان الرب المستحق بان يعبد وحده ثم اخبر المؤمنين
عن الكافرين بانهم قطعوا امرهم بينهم وانهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وعدلوا
بالعبادة والتقوى عن مستحقها ووضعوها في غير محلها وفعلوا من
التفرق خلاف ما يقتضيه اتحاد الامة والله اعلم ٥ الضرب
الثاني العدول من الفعل المستقبل الى فعل الامر تفخيما وتعظيما
لشانه مثال الاول قول هود لقومه اني اشهد الله واشهدوا اني

وفي ما امر كون من دونه ولم يقل واشهدكم قطعا لتعلقه المستقبل على مثله
المشعر لمشبوا الشاهدين في الصدق وعدولاً الى الاشهد ابهم وتمكينهم اداء
شهادتهم اذا امر لها ولا اعتبار لها كما تقول لعدوك اشهد ان احبك وقال
الباري يشبب الحاكم ناسيا عن معصيته فتقول الماضي انا اشهد مولاي اللهم
واشهد ايها الحاكم انى لا اعود الى مثل ما فعلت فان ذلك فيه تفخيم حال
الحاكم وزيادة تعظيمه على غيره من اشهده وقريب من هذا قوله تعالى
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين لم يستكلف الشيخ ان يكون عند الله
والملائكة المقربون في دلالة الكلام على ان الثاني اخص من الاول ٥
الضرب الثالث في الالتفات من خطاب التثنية الى خطاب
الجمع ثم الخطاب بالواحد به قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المومنين
فعدل من المثنى وهو موسى وهرون الى الجمع بقوله واجعلوا وذلك لان
موسى وهرون هما اللذان يقرران قواعد النبوة واحكام مباني الشريعة فخصهما
بذلك ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة اذ الجميع مامورون
بها عموما ثم قال لموسى وحده وبشر المومنين لانه الرسول الحقيقي الذي اليه
البشارة والانذار والارشاد والاسناد وهرون وزير في الحقيقة كما
صرح به الشيخ وقوله تعالى يا ادم فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

في الرسالة لكن احدهما للتبليغ والاخر ردء ومصدق ومساعد له ومنه قوله
تعالى حاكيا عن حبيب النجار وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون فعدل
عن خطاب الواحد الى الجمع لانه ابرز لهم كلامه في معرض المناصحة لهم
كانه قال اني اجب لكم ما احب لنفسي فاتقوني وكما اعبد الذي فطرني
فاعبدوا انتم الذي فطركم واليه ترجعون وتضمن كلامه ايضا تذكيرهم النعمة
في ابتدائهم وخلقهم واستدعا شكرها بالعبادة وتحذيرهم نقمة الكفر
عند الرجوع الى عالم الغيب والشهادة والله اعلم الصنف الثاني
في الالتفات عن الفعل الماضي الى المضارع وعكسه اما الاول
فموضعه ما اذا كان بعض احوال القصة الخبرية مشتملا على نوع تمييز
وخصوصية الاستغراب او اهمية فيعدل فيها الى المضارع المستعمل
للحال ايهاما للسامع حضورها حالا لاخبار ومشاهدتها ليكون ابلغ في
تحقيقها له فمن ذلك قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة فعدل عن لفظ فاصبحت الى لفظ فتصبح لما ذكرنا من قصد المبالغة في
تحقيق اخضرار الارض لاهميته اذ هو المقصود بالانزال وفوقه
فوائد من الكلام اخر على فلان عام كذا فاروح واغيب وشاهدته وادع
فتوهم وان وقع في جواب الاستفهام لان ما يخبره وهو المروي
ليس شيئا للايضاح وانما يثبت ما في جواب الاستفهام اذا كان

فلي في حيز سؤال ومنه قوله تعالى الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور فعبر أولا وثانيا
فله وما بعده بالماضي لما سبق في تحقيق لإثارة الرياح السحاب للسامعين
وتقرير تصوره في أذهانهم فإن قلت أهم الأفعال المذكورة إحياء
الأرض وقد ذكر بلفظ الماضي وما قررتموه يقتضي أولويته ذكره بلفظ المضارع
لدوامه وإثارة السحاب سببه فيعود على رتبتين قلت لا نسلم
أهمية إحياء الأرض بل إثارة السحاب أهم وذلك لأن الله تعالى ذكر هذا
الكلام في معرض آيات قدرته ليدل على اقتداره على البعث والنشور
بالقياس على إحياء الأرض بعد موتها بالمقدمات المذكورة وأحوجها إلى أدلها على
القدرة أعجبها وأشدها أمرا في القدرة والصنع الشرعي وإثارة السحاب
لعجائباتها أولى بالتحقيق بالتصوير بالفعل المضارع وإنما قلنا إن إثارة
السحاب أعجب لأن سببها أخفى من حيث إنا نعلم بالعقل أن نزول الماء
سبب إحياء الأرض وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء أما إثارة
السحاب فلو خلينا وظاهر العقل لم نعلم أن الرياح سببها لعدم إحساسنا
مادة السحاب وجهته وإلحاقه الريح عن إدراك الحس وإنما يعلم على
سبيله ذلك بهذا النص وأشباهه إلا ما قرره الفلاسفة والطبائعيون
في ذلك فإنه إما أن يكون وهما أو ظنا لا علما والله أعلم ومنه قول تأبط شرا

بأني لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران

لم يقل فضربتها لذلك فإنه قصد أن يصور لقومه الذين أخبرهم حالة
نفسها وشجاعته وثباته وخوفها منه ليريهم كأنهم يشاهدون ذلك ولو قال
فضربتها لزال ذلك المعنى وكذلك حكاية سلمة بن الأكوع عن نفسه مع
صاحب الجمل الذي كان عينا للمشركين حيث قال فأضربه فندر رأسه
وأما الثاني فنوعه ما أدى إلى مدلول الفعل من الأمور الهائلة
المهددة المتوعد بها فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه
في المستقبل بإجراء وقوعه في الماضي والفراغ منه كقوله تعالى
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض أي فيفزع وبرزوا
لله جميعا وأتى أمر الله فلا تستعجلوه أي يبرزون ويأتي ويوم نسير
الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم أي نحشرهم فيجيء من هذه الأشياء
بالماضي منها على تحقيق وقوعها حتى كأنه قد فرغ منه مبالغة في التهديد
والوعيد وقد يعدل ذلك فيما يقصد تسهيله على النفس وتجرئتها عليه
كقوله عليه السلام في حديث التحريض الحاث الصادر عن التنافر بأن
يتقدموا عليهم بعضهم فتح ... من ... ومن ... وفي
بعض آثار الشر في الصلاة ... في ... وردا ... قال

تصدق وقيل لفظ الماضي تنبيهاً عليهم. ومن لواحق ذلك العدول
من المستقبل الى اسم المفعول لتضمنه معنى الماضي نحو ذلك مجموع له الناس
يوم الجمع فيه وشهود فان قلت الماضي ادل على هذا المقصود من اسم
المفعول فلم عدل عنه الى ما ذكر لانه اضعف قلت لتحصيل المناسبة
من مجموع ومشهود في استوا وبنائهما طلباً للتعديل في العبارة و
هذا التعارض لكان الاسان لفظ جمع الناس فيه اولى في حكم هذه العبارة
والله اعلم بالصواب ٥ الصنف الثالث في عكس
الظاهر وهو ارادة خلاف ظاهر الكلام كقول علي رضي الله عنه في صفة
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته اذ ظاهره انه كانت له فلتات لكنها لا
اي لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد انه لم يكن له فلتات فتذاع وكذا قول
الشاعر في وصف برية بعضها بالصفوية ∴ ولا ترى الضب بها ينجحر ∴
ظاهره ان بها ضباً لكنه لا ينجحر اي لا يدخل جحره والمراد ان ليس بها ضب فينجحر
ومثل هذا نوع القران المجيد بالكلام كقرينه ووصف علي نبي الله عنه لمجلس النبي صلى
الله عليه وسلم بالنزاهة من العيوب ووصف الشاعر البرية بكونها منقطعة الحيوان
فيها فليس بها الا فيافي الفلاة والضب معروف الحمل على عكس الظاهر
وتحقيقه هنا انه تاويل بليل وانه من قبيل السالبة البسيطة التي [illegible] محمولها
انما يحمولها لا [illegible] موضوعها نحو زيد ليس بكاتب اذ يسلب الكتابة عنه

يحتمل انه لا كتابة مع وجود ذاته ويحتمل انه لعدم ذاته اذ يصدق على المعدوم
انه ليس بكاتب ولا متصف بشيء من الاشياء مما يقوم من الصفات لا يقال هذا وصف
له بانتفاء الصفات عنه لانا نقول هذا وصف سلبي لا يفتقر الى محل
اذ هو عبارة عن نفي محض ٥ الصنف الرابع في الحمل على
المعنى لما بينا من قبل من ان المقصود الاهم بالذات ولهذا ما حمل العرب
الكلام على المعنى لطردت ذلك ولم تكد تراجع اللفظ لحصول المقصود به
دونه كقوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية الى ان قال او كالذي
مر حمله على المعنى كانه قال ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر
في كفره او كالذي مر على قرية في ترديده واستبعاده احياء الله الموتى
ولو تابع اللفظ لقال الم تر الى الذي حاج او الى الذي مر فيفوت ذلك
بالمذكور لقول الشاعر ∴
[illegible] بالحجاز ولمعت في الخوف والامن من كل جانب ∴
ذهب بالخوف الى معنى المخافة وقول الاخر ∴
يا ايها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت ∴
ذهب الى معنى الاستغاثة او الصيحة او الجلبة . وقال الفرزدق ∴
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع ∴
اراد بالسور بقاية المدينة او حيطانها ∴ وقال ابن ابي سعيد ∴

فكان محي دون برزت انق لث شعور كاعبان ونعس

اي بلاد النبين ؛ وقول الاخر ؛ لطول الليالي اسرعت في نقضي

اي لطول الليالي ولعل [illegible] باعث مثل المذكور الغائب المؤنث وهو

[illegible] لانهم يعود مت مثل اسا بعير وقري شاذ الا تتخذ شيئا اباها

اما المنافقون ان مثل للاتيان ومن مسات الي بحر السير المؤنث وهو

باب البعل الكاف علامة التانيث ولانه معلوم ان الفعل لا يؤنث حقيقة

ومنه ذكر الموت نحو قوله تعالى فمن جاءه موعظة اي وعظ فلما راي

الشمس بازغة قال هذا اي الشمس او الطالع او المرئي ربي وبعد جاكم من

ربكم اي بيان [illegible] للرحمان ان رحمة الله قريب ذكر خبر المؤنث اراده

لمعنى العطف او الرفق او المطر لانه مذكور بينا في الكلام ما حيينا بلده

ميتا اي مكانا . ومنه حمل الواحد على الجمع كقوله صلى الله عليه وسلم

ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا جاءت يوم القيامه

اوفر ما كانت واسمنه للجنب وقوله اي [illegible] وقول الله الا

او بلدام [illegible] في العرب والحاذر كا اراد في العالم او عالم

العرب ومثله قول [illegible] ذي الرمة

ونية لعين الناظر [illegible] ولا حسنه قذاله

وقوله تعالى انا رسول رب العالمين نظرا الى معنى الرسالة التي [illegible] وهو

منفد ، وحيث قال اما دخولا ربك فقوبطر الى [illegible] بها وقول الاخر

تري جيف المطي كاما [illegible] الخزي واما جلودها فصليب

اي جلودها [illegible] الجنبين وقول الاخر

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف

اي نحن راضون وانت راض وقول الاخر

وقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور

ويجوز ان يكون هذا [illegible] كما قالوا اب وابون واخ في قول الشاعر

فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابيناء

معناه بالاباء ومنه حمل الجماعه على الواحد كقولهم شاب مفارقه واما

هو ونه [illegible] فانهم [illegible] فرقا الملاحظا لا [illegible] على الجزء مجازا

[illegible] الجمله تعز تارة يعتبرون اللفظ وتارة المعنى فيقولون ثلاثه اشخص نظرا

الى اللفظ الشخص وان [illegible] نسا اولا [illegible] نظرا الى لفظ النفس وال

[illegible] ان لفظها مفرد ومعناها الجمع [illegible] تارة كقوله

تعالى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره [illegible] نظرا الى افراد

اللفظ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون نظرا الى معنى الجمع وكذلك [illegible] الجنة

الا من كان [illegible] نظرا الى اللفظ هودا او نصارى جمع الخبر نظرا الى

المعنى وكذلك كلتا [illegible] كلتاهما لفظ المفرد ومعناهما التثنيه [illegible] نظرا الى

كل آن كقوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا هذا على أن إفراد اللفظ
وتثنية خلافا لما نهر اسم على المعنى وجمع بينهما الشاعر في بيت وهو:

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

وقال الأعشى:

كلا أبويكم كان فرعا دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

وكل مثل كلا لفظا ومعناها الجمع قال الله تعالى وكل أتوه داخرين على الجمع
وكلهم آتيه يوم القيامة فردا على إفراد اللفظ والله أعلم الصنف
الخامس في التقديم والتأخير وهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية
أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة قال سيبويه
والظاهر أنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم
مثل أن يرد الأخبار عن قتل عمرو خارجي لا من جهة هو ممن يتقي من سوءه فيقولون
قتل الخارجي زيد وإذا قتل بعض الفساق يحبه قدموا اسمه فقالوا فلان
قتل كذا ولو كان الاسم عندهم أهم الفعل قدموه فقالوا قتل كذا وكذا فلان
ولعل هذا هو المقتضي لقوله تعالى في القصص وجاء رجل من أقصى المدينة
يسعى وفي يس وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى إذ الأهم في الأولى
الأخبار بمجيء الرجل ناصحا لموسى والأهم في الثانية الأخبار بمجيئه من أقصى المدينة
مبالغة في الأخبار باجتهاده في الدعاء إلى الله تعالى ونصيحة قومه وتوهم

عليه ومعتنا بهم له وتقديم الأهم حيث كان أوقع في النفس ومما منا
إلى أن الأول في صور التقديم والتأخير فمنها تقديم المفعول نحو إياه
أحمد وزيدا أكرمت والمال تعبت وإياك نستعين قدم ضمير المعبود للاختصاص
وكذلك ومما رزقناهم ينفقون قدم المفعول وهو مما رزقناهم لبيان كونهم يتصدقون
ما خيره حوز الانفاق مما ليس بمملوك لهم الابقاء أي حاجة إلى هذا
الاحتراز مع انعقاد العقل وقواعد الشرع على المنع من التصرف في غير
الملك إلا أنا نقول الكلام ينبغي أن يكون مفيدا للمعنى بذاته لا بالنظر إلى
دليل خارج فنحن استفدنا هذا المعنى من هذا اللفظ والأدلة الخارجة عنه
موكدات له ونعني بالاختصاص اختصاص المفعول بالفعل المتعدي إليه وتقريره
أنك لو قدمت الفعل في زيدا أكرمت مثلا فقلت ضربت لبقي السامع
مرددا في تعيين المفعول لاحتمالها حين فرغ من اللفظ بالفعل …
ولكن … تمام اللفظ بالفعل في انعقاده على … وإذا قدمت
المفعول علم السامع حينئذ بمجرد ذكره قبل ذكر الفعل وامتنع احتمال …
في الأمثلة الأولية لتعيين الفعل له بعينه وهذا هو المراد بالاختصاص فإن
قلت هذا توهم لا طائل تحته من وجهين أحدهما أن الفعل يشغل المفعول
عادة وزمن اللفظ بهما يسير جدا لا يتسع لتردد السامع وإن اتسع له فإنه
… مرتفعا بذكر المفعول على الفور الثاني أن الزمن المذكور لا يتسع

لتحيير المتكلم في الاتباع على من شاء ولان اللفظ ترجمان المعنى النفساني ويحال
ان يصور المتكلم في نفسه معنى ضربت زيدا ثم تعدل في اللفظ الى ضربت عمرا
او غيره قلت الجواب عن الاول ان حصول التردد للسامع في
المعمول بتقدير تقديم الفعل لا نزاع فيه اذ هو مدرك حسا ولا نسلم
ان عدم هذا التردد اولى من وجوده وان قل منه والاحتياط بلاغة
الكلام كما سبق قوله وان اتسع له فانه يدل على القوة بذكر المفعول
ضعيف اذ قد يعترض بين الفعل والمفعول كلام يشعر بطول زمن
التردد او يعرض للمتكلم ما يمنعه عن ذكره من عطاس او سعال او سكات
او شبات او مرض او غير ذلك يمنعه من ذكره فيدوم التردد فيحصل له ما به
بلاغة الكلام المطلوب والجواب عن الثاني ان منع اتساع
الوهم لتحيير المتكلم ممنوع لجواز الاعتراض او شغل الخاطر المقتضي
للاعتراض وكون اللفظ ترجمان المعنى النفسي مسلم لكن لم قلت ان العدول
من ذلك المعنى المتصور في النفس الى غيره محال وما هو الا انه ليس ذلك
بجواز ان يصور معينه يعني يريد الاخبار به على رفقة فيخطر له ان عليه
فيه ضررا فيعدل الى غيره بما لا يجري ان يكون فيه ضرر كمثال لو دخل رجل
دار قوم فاخذ درة ثم خرج فسالوه ما احدث من دارنا فعزم على ان
يصدق ويقول اخذت درة فخطر له بل يعلم للغيظة احدث انه

ان اعترف فاخذ الدرة ربما توجه كلمة القطع فعدل الى الاعتراف بما لا يقطع فيه
مثل ان احدث ثيبة او خلا او اوراق او درهمين او ثمن صبار ونحو
ذلك ومن نظر الى اصطلاح العرب سيما المحققين علم انهم بما ابلغ من
هذا التدقيق ولهذا قال بعض العلماء نشترط لصحة الاستثناء ان ينوي
قبل تكميل المستثنى منه وكذلك سائر التوابع كالشرط اللحق والعطف
المغير ونحوه نشترط نيته قبل تكميل متبوعه وللقائل ان يقول لك
كان تقديم المعمول يفيد اختصاصه والمنع من العدول عنه بتاخيره عن
الفعل فانه لا يجوز ان تعدل عن ضربت زيدا الى ضربت عمرا اذ لا يجوز ان
تعدل عن زيدا ضربت الى عمرا ضربت وهذا احتياج الى جواب والملك
وهذا الكلام الا انه فائدة كلية في الباب وقد يستطاب بعض ذوي
الالباب والله اعلم ۞ ومنها تقديم خبر المبتدا عليه
نحو قائم زيد فاذا كان الاسم الاخبار بقيامه فلو قيل زيد قائم لحصل التردد
للسامع ما لم يسمع لفظ قائم فيما يخبر به عن زيد هل هو جالس او قاعد
او غير ذلك وكان المتكلم لحاز فيما يخبر به من ذلك ويعدل اليه كما تقدم
في ضربت زيدا ومن هذا قوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
ففي تقديم الخبر وهو مانعتهم احاد بامرين مقتضيين احدهما كمال قدرة
الله تعالى على خلقه بحيث لا تمنعهم منه اسوار الامن رحم لان هولا اعتقدوا

خصائه حسنوهم وقوّتوا بينها إياهم فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم
يعتصموا والثاني حالهم وقلة مبالاتهم حيث لم يخالطوا الا بنيهم ويحصنوا
بطاعة الله ورسوله التي هي امنع الحصون ولو قدم المسند اليه لما افاد الكلام
هذا المعنى او افاده افادة ضعيفة ٥ ومنها تقديم الحال والاستثناء
نحو جاء راكبا زيد وراكبا جاء زيد وما جاءني الا زيد احد وهو لعين الاختصاص
اذ لو اخر يحتمل التردد والاختصاص المذكوران بين جاء زيد راكبا او ماشيا او
ضاحكا وغيره من الاحوال وما جاءني احد الا زيدا وعمروا او بشر وقياس
ما ذكرنا ان تقديم الحال على الفعل وما قام مقامه حيث يجوز انواع
التقديم في باب الحال ٥ ومنها تقديم الجار والمجرور وله صورتان
احداهما ان يكون في كلام مثبت وفائدته اختصاص المجرور دون غيره
باسناد ما بعده من معنى الكلام اليه كقوله تعالى من كفر فعليه كفره دل
على اختصاصهم بالكفر من كفر لا بغيره ولو قال فكفره عليه احتمل قبل ذكر
الجار والمجرور التردد المذكور وكقوله تعالى له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير افاد اختصاصه بالملك والحمد مبادة محمد علائي الملك والحمد
له وافاد انه قادر على كل شيء ... [illegible] وهو قدير على كل شيء اذ يحتمل
قبل ذكر لفظ العموم انه قدير على بعض الاشياء فقط وكقوله تعالى ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم اذ يحتمل التردد المذكور قبل ذكر المجرور ٥

الصورة الثانية ان يكون في كلام منفي فيجوز تاخيره نحو لا ريب فيه
وتقديمه نحو لا فيها غول فالثاني الاثبات والفرق بينهما ان تاخيره
يفيد نفيا مطلقا من غير تفضيل كما اقتضى نفي الريب والشك من الكتاب
في قوله لا ريب فيه وتقديمه يفيد تفضيل الشيء عنه على غيره بتفضيل خمر الاخرة على خمر
الدنيا في صورتها ومثله قولنا لا عيب في الدار ولا فيها عيب فالاول
يقتضي نفي العيب عنها وخلوها منه والثاني يقتضي تفضيلها على غيرها
من الدور وان ليس فيها ما في غيرها من العيوب هذا حاصل كلامه
وعندي في هذا الفرق نظر فان اللفظ لا يدل عليه بمطابقة ولا تضمنا
ولا التزاما وانما هو مؤكد لك على مقدمة تقليبه بتمامها وهي ان خمر الاخرة
ليس فيها من اوصاف الفعل ما في خمر الدنيا فجعلها فرقا [illegible] من غير دليل
عقلي والذي عندي في هذا ان الجملة المتضمنة للجار والمجرور مشتملة
على مستقر ومستقر فيه فاستقراره بحيث تاخر الجار والمجرور افاد نفي
المستقر في الظرف كقوله تعالى لا ريب فيه فان الريب هو المستقر في
الكتاب على زعم الكفار فالاحرف التي فيه نفاه وحيث تقدم افاد نفي
الاستقرار كقوله لا فيها غول فان فيها سعاما بمعنى الاستقرار كان نفي
في الولى فالحرف حرف السلب فمنناه فالاول سلب القرار والثاني
سلب الاستقرار فان قلت القرار والاستقرار شيء واحد فان

فتسك احدهما مسلم ثبت الاخر قلت نعم لكن الالتزام والكلام
في جهة السلب بالقصد لا بالعرض فتامل هذا والخلاف في مثل هذه العبارة
راجع الى الاختلاف يرجع الى المتخاطبين في عبارة او قصد فكان الفاوحين
تحداهم القران قالوا انه ليفتتح ذلك ريب فيه فقال لا ريب فيه سلبا مطابقا
لاعتقادهم في تقديم الريب وكان الناس لما سمعوا يطاف عليهم بكاس من معين
بيضا لذة للشاربين قالوا ان الله تعالى لم يعدنا في الاخرة بخمر اقرب
فيها قول خمر الدنيا فاجابهم لطبق كلامهم في تاخير القول فقال لا
فيها غول ويجوز ان يوجه الفرق على ما ذكره حيث قالوا حتى يطابق
السوال والجواب ولا ريب فيه بعد قوله لا ريب فيه جوابا بالقول
قائل هل من ريب فيه فحذفت من وركبت الاسم المجرور في الجواب
مطابقا للسوال في تقديم الريب وهذا احسن من الاول ووجه
المطابقة في لا فيها غول ما سبق وهذا الذي فتح الله به في هذا الفرق
وللناظر فيه الخيار بحسب قوته وماثبته والله اعلم ٥ **ومنها التقديم**
والتاخير في النفي وضابطه ان المنفي ما ولي حرف النفي فاذا قلت ما ضربت زيدا
كنت نافيا للفعل الذي هو ضربك اياه واذا قلت ما انا ضربته كنت نافيا لفاعليتك
الضرب فان قلت الصورتان دلتا على نفي الضرب فما الفرق قلت الفرق من وجهين
احدهما ان الاولى نفت وقوع ضرب خاص منك وهو ضربك اياه ولم تدل على وقوع

ضرب غيره ولا عدمه اذ نفي الاخص لا يدل على نفي الاعم ولا ثبوته والثانية
نفت كونك ضربته ودلت على ان غيرك ضربه ... دليل الخطاب الثاني
ان الصورة الاولى دلت على نفي ضرب لم يثبت لغير واسطته والثانية دلت على نسبته
بواسطته نفي فاعليتك والكلام في المستقبل كالماضي نحو ما اضرب زيدا او ما
انا اضرب زيدا وما ضاربت انا زيدا وما انا ضارب زيدا واما اذا كان الكلام
عاما فان تقدم حرف النفي اداة العموم سمي سلب العموم وان تاخر عنها سمي
عموم السلب مثال الاول ما كل هذا فعلته فقد سلبت عموم فعلك
لهذا وهذا بالاضافة اثبات الكل نحو كل فعلت بعضه ومثال
الثاني كل هذا ما فعلته فقد عممت سلب فعلك له فيناقضه اثبات الخاص
نحو لم افعل بعضه ومنه ما نص كقولك كل العلم لم اعلم منه شيئا او لم اعلمه
بل علمت بعضه وقول ابي النجم
قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع
توضيح ذلك بانك ان نصبت كله اقتضى سلب عموم صنيع الذنب اي فعلت بعضه
لا كله لوقوع كله مفعولا به مقدما في التقدير وان رفعته اقتضى عموم سلب
صنيع الذنب اي انه لم اصنع منه شيئا لوقوع كله مبتدا اذ شان حرف السلب
سلب ما بعده عما قبله او سلب ما قبله عما بعده ومنها الامام
والكلام فيها في امرين احدهما انها تقتضي الحصر عند الاكثرين وقال قوم

احتج الاولون بفهم ابن عباس انحصار الربا في النسيئة من قوله صلى الله عليه وسلم
انما الربا في النسيئة وبان المفهوم لعدد من ائمة في الدار وجدان ليس فيها
سواه وبان ان للاثبات وما للنفي فاقتضيا بجتمعهما ما اقتضياه منفردين وليست
تقتضي ذلك من المذكور واثبات ما عداه اجماعا فتعين عكسه وهو المراد بالحصر
واجيب عن الاول بان ابن عباس فهم الحصر من استصحاب النفي الاصلي
لا من انما ولو لم يكن الا احتمال ذلك لقدح في الدعوى وعن الثاني بان ذلك
لغرابته والكلام مع خروجها منها وعن الثالث بان الاتيان بما الكافة لا بان
هي النافية اذ اقسام ما لسته فيتعين الكافة بتبيانها هذه الثلاث بحكم ان ما
هي بعده هي الكافة لاخوات ان وهي كان وليت ولعل ولكن في قولنا كانما
زيد اسد ولكنما عمرو قائم ولو [illegible] فهي نافية لسنة المعنى [illegible] لكن الاصل
اسماها مركب من ما اقتضاه منفردين بدليل لولا فان تركيبها ازال معنى مفردها
فعلى هذا هي لاثبات المذكور اما تاكيدا فقط [illegible] تعين للحصر فعلى
القول بانها ان وليت جملة اسمية اقتضت انحصار المبتدا في الخبر
نحو انما زيد قائم فزيد منحصر في صفة القيام وليس على عكسه سواء وان وليت
جملة فعلية اقتضت انحصار الفعل في الفاعل نحو انما قام زيد فالقيام منحصر في
زيد اي لم يقم غيره ومن امثلتها انما المؤمنون اخوة فالمؤمنون منحصرون
في الاخوة بمعنى انه لا عداوة بينهم في وضع الشرع اصلا وانما الله

اله واحد اقتضى انحصار ذاته في الالهية والوحدانية بمعنى انه لم يخرج
وجوده الالهية الى وابدا لا يجوز تعدده ولا لغيره الالهية وانما انا بشر
اقتضى حصره صلى الله عليه وسلم في البشرية بمعنى انه ليس ملكا ولا جنيا
ولا شيئا من غير نوع البشر وانما الجزاء في الكافر اقتضى حصر الجزاء في
الكافر بالحال والاصل اي الاخرة لمن لا رحمة له ولمن قل رحمته وعلى هذا
فشر فانه مطردة فان قلت لم يطرد في نحو انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله اداه
وجلت قلوبهم الاية ونحو انما الاعمال بالنيات وانما الربا في النسيئة
لوجوده في التفاضل قلت اما الاية فالمراد بها انما المؤمنون
الكاملون الايمان فيستقيم الحصر اذن واما النسيئة فليس علم الاطراد
فيها ان لعلها ان اقتضاء انما الحصر لا عند [illegible] عموم الواقع تقدمها
بخصوصها واعلم ان حصر الجملة الاسمية الواقع [illegible] انما اذا كان مجازا
نحو [illegible] بالخبر الحقيقي [illegible] في الجملة الاختلاف
في تقديره [illegible] اذ [illegible] انما الاعمال الصحيحة
بالنيات [illegible] كاملة بالنيات [illegible] على القول بالحصر في
جهة لا في حقيقته [illegible] ومنها التقديم والتاخير
في الاستفهام [illegible] والنفي وهو ان الواقع بعد حرف
الاستفهام ان كان الفعل فهو المستفهم عنه المشكوك في وجوده

نحو أأنت الأمير فالأمر هو المشكوك فيه وإن كان الاسم فالسؤال عنه والشك
في تعيين الفاعل نحو أأنت فعلت هذا فالمقصد أنهم علموا وقوع الفعل وشكوا
في عين الفاعل وكذا الكلام في المستقبل واسم الفاعل نحو أتفعل هذا وأأنت
فاعل هذا وإنما يأت [illegible] وأنت صار [illegible] ثم إن للاستفهام معاني
أحدها الاستبطاء وهو الأصل كما سبق الثاني التأنيس نحو وما تلك بيمينك
يا موسى إذ الله تعالى لم يكن مستفهما ولا منكرا عليه ولكن رآه خائفا فآنسه وحسن
عنده أن يأتي بيده عصى ليتحقق حصول المعجز عند قلبها حية وبهذا المعنى
قد يجيء استفهام التقرير الثالث الإنكار وله أنواع خاصة أحدها
استضعاف الفاعل كقولك لرجل هم بما لا يقدر وأنت تستطيع من
ذلك أنت شيئا وقوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين أي أنت تضعف عن مخالفة مشيئة الله فلا تقدر على ذلك
الثاني استبعاد الفعل لاستضعاف الفاعل أو غيره نحو أفأنت تسمع
الصم أو تهدي العمي وقول امرئ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

أي هذا بعيد الثالث نحو أأسعى إلى زيد أجيئنا زائره الرابع
التعظيم نحو أمثل الحاني يقبل الأمير أو يشتم القاضي كما عرفت تقبل الفعل
والثعلب يغترس أسدا وأجنبي يشتم ها شميا وهذه الصور ونحوها

تضمنت الاستبعاد من طرف الفاعل والتعظيم من جهة المفعول والتي قبلها
بالعكس الخامس التشريف كقولك لرجل وقور أمثلك يفعل ذلك أي أنت
أشرف من هذا السادس حمل الفاعل على الأمر على رأيه كقوله تعالى
قل أغير الله أتخذ وليا أي إن ذا الضعيف الرأي أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
[illegible] للكلمة أنا ثانيا إن لكم أيها الكافرون رشدها في أمركم أي
وفي حسبانكم هذا دليل قوله تعالى إنكم لتقولون قولا عظيما وجه
الإنكار التهم على المنهم الغائب السابع التكذيب على جهة الاحتجاج
نحو آلذكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني
بعلم إن كنتم صادقين أي وإلا فأنتم كاذبون ونحوه آلله أذن
لكم أم على الله تفترون ويمان تبديد الحجة فإن ادعيتم أن الله أذن لكم فقد
كذبتم بإنكار الإذن وإذا اعترفتم أنكم تفترون على الله فذلك أعظم الخطأ
الثامن الإشارة إلى اضطراب الرأي والتردد بين الأمرين نحو أتميميا
مرة وقيسيا أخرى أي أتكون كالمتلون [illegible] التاسع
الإشارة إلى احتمال التعجب من جهتين نحو أجنتنا ومنوطة أغلقته
العقد ومنوت في حب سلوله وكقول الحروري حكاية عن الناس الأعم
في قوم يغرمس ومرأى ومراي العاشر الإشارة إلى تقبيح الفعل
في غير مظنته تحميقا لفاعله كقول الراجز

المرئيات تنتشر والأذهان الحسيات تواري ۞ أمن الغزونه تموه بغرس

وقول الشاعر ۞

أعلمه أم الولد بعدما أواه زاد أبيك كالثغام المخلس ۞

وقول الآخر ۞

كم وعت نعش الملومة أمن شيب وعيت كيف يجتمعان ۞

والمقصود من أبواعد على هذا فأن نهاهرة ۞ البحث الثاني

في أقسام التقديم والتأخير وهي بحسب الاستقراء عشرة الأول تقديم الكل على أجزائه نحو خلق الله الانسان ونحت منه الأشياء الثاني تقديم الدليل على المدلول كقولهم النفوة تدل على التغير إذا المدلول تابع للدليل من حيث الاستدلال وإن كان متبوعاً له من حيث الوجود الثالث تقديم الصفات على الموصوف والمبدل منه والمؤكد والمعطوف عليه على توابعها لعدم استقلالها بدونها الرابع تقديم الناصر والموصول على تمامه إذ التقديم فرع الأصل الخامس تقديم العامل على المعمولات لأنها آثاره ومعمولات ولقائل أن يقول إنما الأثر دليل المؤثر وقد قدم في القسم الثاني أنه يقدم الدليل وهذا مناقض ويمكن الجواب بأن تقديم الدليل من حيث الاستدلال لا من حيث الوجود والحقيقة ومع اختلاف جهة التقديم فلا تناقض السادس تقديم الظاهر على ضميره نحو ضرب زيد غلامه لأنه الضمير تابع

له لعدم استقلاله بدونه السابع تقديم ما له صدر الكلام كأدوات الاستفهام والنفي والنهي والحروف والأفعال الدالة على أحوال الشيء من أجزاء الكلام كأن وكأن وأخواتها ومتى ونعم وبابها لأن معانيها هي المقصود المهم من جملها التي دخلت عليها الثامن تقديم الأعرف كالمبتدأ والمؤخر على الخبر والسبب لحمل العامل الثاني التاسع تقديم ما يتقدم به المعنى ما في الكلام وانتظامه وهو أصل كتقديم المفعول في نحو نعبد ونستعين وجوهم النار لأجل الفاصلة وفي نحو فلعج وبحوهم النار للاختصاص والمبالغة في الوعيد ونحو كانا طعاماً لما ما بعدنا الموسيقى فأوجس في نفسه خيفة موسى العاشر تقديم ما الحاجة إليه أكثر والعلم به أهم نحو وجعلوا لله شركاء الجن إذ المقصود التوبيخ وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله والله أعلم ۞

البحث الثالث التقديم والتأخير إما لفائدة يقصدونها من الفوائد المقدرة أولا فإن كان لتلك الفائدة فإما أن يبقى معه الإفادة الكلام ومفيداً أو لا فإن بقيت فهو الحسن وإن لم تبق فهو المعيب وإن كان لا لفائدة المذكور فإن كان لضرورة نظم ونحوه فهو رديء والأحسن فهو عيب لأنه من الرديء قول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه ۞

نظمه الأصل وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه فتأمل معناه وما مثله في الناس الأخالة ۞ وقوله ۞

ولست خراسان التي كان خالد بها اسد اذ كان سيفا اميرها ∴

يمدح خالدا ويهجو اسدا بسوء السياسة كما تقول فما زال الامر الى ذلك

اعرف وقوله ∴

الى ملك ما امه من محارب ابوه ولا كانت كليب تصاهره ∴

اي الى ملك ابوه ما امه اي ام ابيه محارب ومنه قول ذي الرمة ∴

فاصبحت بعد خط بهجتها كان قفرا رسومها قلما ∴

اي فاصبحت بعد بهجتها قفرا كان قلما خط رسومها ∴ ومنه قول بعضهم

ذكره ابن الانباري في غريب الحديث وابن سيده في الابصار ∴

لما سقلنا حورا لمل جميله من الوحش ما ينفك ترعى عرارها ∴

اي لما سقلنا حوراء من الوحش ما ينفك ترعى جميلة لمل عرارها ۵

ومنه قول الاخر ∴

ملوك يبتنون توارثوها سرادقها المقاول والقبابا ∴

اي يبتنون المقاول والقبابا توارثوها سرادقها كذا ذكره ابن الاثير تقدير

هذا وامثاله ان كان عن ضرورة فهو ذنب وان كان عن تعمد فهو ظاهر

حال المتردد فيما يميل لا خاله فيه حدا وهو ردي الرديء ۵ والله اعلم

الصنف السادس الاعتراض وهو وقوع الكلام الاجنبي

من جزئي الجملة المرتبط احدهما بالاخر وفوائده الذي من غرض لغير من ادا ونت

في طرفيه وكان اللفظ الاجنبي ثابت في طريق الجزء الثاني من جزئي الجملة فيبعد

من الاتصال بالجزء الاول لفظا او النظر فيه باعتبار احدهما الجواز وعدمه

وهذا الى صناعة النحو فان اهلها جيدوا القواعد كالاعتراض بين القسم وجوابه

ومن الصفة والموصوف والمعطوف عليه والمعطوف والثاني

كونه حسنا او قبيحا فالحسن ما ذكر في الكلام لفائدة معنوية ولم يخل بطلاوة

المعطوف وفائدته مزيد من التوحيد ومن امثلته قوله تعالى واذ قتلتم نفسا

فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه فقوله والله مخرج ما كنتم

تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته تاكيد الاظهار بعلمه

تعالى وانه لا يخفى عليه من امرهم شيء وان تدارؤهم لم ينفعهم وتطلع الكلام فادارأتم

فيها فقلنا اضربوه ومنها قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الى قوله ان

اشكر لي ولوالديك اعتراض وفائدته تاكيد حق الوالدين وذكر تعبهما وما عانياه

في تربيته ونطقه الى ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر والاشكال

السنة وردت بتاكيد حق الام على حق الاب لما ذكرناه ومشقتها في حمله ووضعه

وتربيته وفي الاية دليل على ذلك من جهة انه ذكرهما بلفظ الوالدين الذي

اشتق من الولادة التي هي مختصة في الام من قابل ومما يجاري في

الاسم فالاب فيها تابع للام دخل عليها فيها تدل على اختصاصها به في

الركا ذا المسوغ على التابع ۵ ومنها قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم

وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فهذان اعتراضان احدهما داخل على الآخر الاول وانه لقسم اعترض به من القسم وجوابه الثاني لو تعلمون اعترض بين الموصوف وهو قسم وصفته وهي عظيم وتعظيم الكلام الاصلي فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وانه لقسم عظيم لو تعلمون وفايدته تاكيد تعظيم المقسم به في نفوس السامعين وتهويل الجاحدين منهم ومنه ما روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر قالوا وما العذر قال خوف او مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى ومنه في الشعر قول امرئ القيس

الا هل اتاها والحوادث جمة بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

فقوله والحوادث جمة اعتراض بين الفعل والفاعل وفايدته تاكيد ما هو فيه من المشقة والمساءة لاجل الزمان الذي لا تستغرب ما اتاه من ذلك فان الحوادث كثيرة مطردة والمطرد لا يستغرب وقوله ايضا مثل السابق

وحذل لو ان اباناه فنوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اذا لرددناه ونلطفه سواك لرددناه والثاني اعتراض بين لو وجوابها وفايدته التاكيد الاخبار بعظيم قدره وبحطه عندها وانه ممن يلتزم طاعته اذا كلف غيره كما قال الآخر لخليلها حيث خلي عنها

فقالت على اسم الله امرك طاعة وان كنت قد كلفت ما لم اعود

ومنه قول النابغه

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا على الاقارع

وقول متمم بن نويرة

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما اصاب فاوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات اروعا

وكلاهما اعتراض بين القسم وجوابه مفيدا تاكيد المقسم به ومنه قول كثير

لو ان الباخلين وانت منهم راوك تعلموا منك المطالا

وقول الآخر

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

والاعتراض في صدر البيتين اذ آخرهما وقول المتنبي

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

وهذا اعتراض بين معمولي ترات وهو من احسن الاعتراضات والردي ما اخل بالنظم او وقع لغير فايده كقول الشاعر

فقد والشك بين لي عناء بوشك فراقهم صرد يصيح

ونظمه فقد بين لي صرد يصيح بوشك فراقهم والشك عناء فقد فصل بين قد والفعل بغير القسم وهو رديء وبين الفعل وهو بين والفاعل وهو صرد بجملة المبتدا وهو الشك وخبره وهو عناء وفصل بين المقدم عليه وهو بوشك وبين المبتدا وهو الشك وخبره وهو عناء بالفعل وهو بين وكذلك

غير جيد ولهذا عيب البيت وإن زعمه ∴ ونحوه قول الآخر:

نظرت وشخص مطلع الشمس ظله إلى الغرب حتى ظله الشمس متفعل ∴

تقديره نظرت مطلع الشمس وشخص ظله إلى الغرب فتفصل المبتدا وهو شخص
من الفعل ومعموله ومن المبتدا وخبره بالمعمول المذكور وهو مطلع الشمس
والظالم في هذا أعظم من الأثر لما سبق في أجناب وحتى الألفاظ وبين
الشمس ثم متوسط وهو ما الغاية له في الكلام لكن لا يخل بالحلاوة فيه
وحسنه قول النابغة ∴

تقول رجال يجهلون خليقتي لعل زيادا لا أباك غافل ∴

وقول زهير بن أبي سلمى ∴

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم ∴

فلا أبا لك اعتراض في الأول بين لعل وخبرها وفي الثاني بين الشرط
وجوابه ∴ وقد كان الأخفش هذا القسم قول بعضهم

صدودكم والدار دانية أهدى لرأيي ... شيئا

وقال ابن هاني المغربي ٥

فلا هجعة في الأرض مثلك سنة ولو نظرت في أسواق ارقم ∴

وقال في الأول ذكر في المثل هذا الرابع الغاية له السنة ولذا
ارتبط مع أنه في الثاني إذ لا تشكل للترتيب على غيرها من الأكوان وهذا الذي

ذكره ظاهر في عدم الغاية من تحامل إذ يحتمل أنه في الأول عطف الخاص
على العام نحو وجبريل وميكال وما كهذه وعلى وإن أن ادعال بما بينه
الدال السبب المعترض ولأن دلالة الرأس على جميع أجزائه دلالة عموم وهي ظنية
فاحتاج أن ينص على ذكر الجزء المهم وهو المعترض وفي الثاني يكون شك إذ لا
يدل للترتيب على غيرها من الألوان كان الحيوانية وثم أهل الساعة سواء على أن
سادت ألوان الحيات واختلافها يدل على تفاوتها في الخبث والشر وأقلها
ولهذا ضرب المثل بالحية الي على لون الأدبر وشبه لذلك ما ذكره
الأطباء من أن اسوداد الشعر يحدث من احتراق شديد من حرارة قوية
والأحمر عن حرارة أقل والأشقر من حرارة دون ما قبلها والشيب من ضعف
الحرارة الغريزية وإذا كان اختلاف هذه الكيفيات الباطنية يوجب اختلاف
الأعراض الظاهرة من سواد وبياض ونحوهما فليكن اختلاف الأعراض
الظاهرة دليلا على اختلاف الكيفيات الباطنة بطريق دلالة الأثر على
المؤثر وحينئذ لا يفيد مثل ذلك في الحيات وإن ارتضى على أن للون
دلالة على زيادة الخبث ويؤكد ذلك أسودنها أنهم سموا ...
ونسر صفة لكن ... معنى الخبث ...
أما لونه أو شدة حركته ٥ ومنها أنهم ... الأسود ...
أما الظلم وغيرهما من الحبيب أسود كل من رأسه وأسود ...

الشعر : تساقوا على حرد دماء الاساود .. وفيه :

فلست كالمولج في جحر بنانه فاخطأ الافعى ولاقى الاسودا :

وهو دليل على انهم استدلوا بسواده على عظم شره لان في سواد الادمي او
شعره على حرارة جسمه والله اعلم

النوع الخامس في الايجاز وهو التعبير

عن المعنى الكامل باقل ما يمكن من الحروف وقيل دلالة

اللفظ على المعنى من اقرب طرقه وهما متساويان

وهو مصدر اوجز واوجز اذا اقتصر ومنه قولهم عطاء وجيز اي مقتصر
واعتنا العرب بهذا النوع شديد بدليل وضعهم الفاظا استغنوا بواحدها
عن الفاظ كثيرة لمعنى متناسبة كادوات الاستفهام والشرط ونحوهما
لان قولك اين زيد يغني عن قولك افي الدار هو ام في المسجد واسم جميع
الاماكن المتسع وكم مالك اغنى عن اعشرة ام عشرون ام مائة ام الف
ونحوهما من الاعداد غير المتناهية وقولك من يقم اقم معه اغنى عن ان
تقوم زيدا او عمروا او بكرا او فلان او فلان اقم معه وما بالدار احد اغنى عن ما بها
زيد ولا عمرو ولا هند ولا دعد ونحو ذلك ثم ذكر ما حاصله ان
الايجاز حسن في الاشعار والمكاتبات ومحاورات الخواص دون الخطب
والتقليدات السلطانية وكتب الفتوح التي تقرأ في مجامع العوام

مراعاة لافهامهم اذ التطويل انفع في حقهم والجدال الحق عليهم من المكتوب
شيء وقد تبعت ابن الاثير ذلك بان هذا يوجب مراعاة العامة في استعمال الفاظهم
الركيكة ولغتهم المبتذلة لانهم انس بها والف له فلم يبق به احد
على المؤلف سلوك النهج القويم والطريق المستقيم ليخرج بذلك عن عهدة
الملامة وليس عليه ان يفهم العامة منه كما قال [illegible]
علي نحت المعاني من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر :

واعلم ان الايجاز في هذا الاختصار ثم الايجاز اما على الحذف او بدونه
والاول على ضروب الضرب الاول الاكتفاء بذكر السبب
وعكسه فالاول كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم
العمر اي ما شاهدت قصة موسى ولكنا اوحيناها اليك وحيا يدل على
صدقك لطابقتها ما اخبرت به قصة ما جرى له فاكتفى من ذكر الايحاء بذكر
سببه وهو انشاء القرون والامم وتطاول العهد عليهم اذ ذلك موجب
الرسالة والوحي والثاني هو الاكتفاء بالمسبب من السبب كقوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت فالذي ذكر
الانفجار الذي هو المسبب عن الضرب الذي هو السبب ومنه
وان كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر اي فافطر فعليه عدة من ايام

اخر صيام العيد مستحب للافطار وبينه اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
اي اذا اردتم القيام فالقيام مسبب للارادة وبينه فاذا قرأت القرآن
فاستعذ اي اذا اردت القراءة فالقراءة مسببة للارادة وقول من
حمله على ظاهره من تعقيب القراءة بالاستعاذة مستغنيًا بان المعقول من امره
بالاستعاذة من الشيطان الاعتصام من كيده وان تعرض له في قراءته
فخلطها عليه كما تسلط عليه في صلاته ليغلطها وكما خلط عليه في سورة النجم
حتى قرأ فيها تلك الغرانيق ان شفاعتهن لترتجى فاذا الحرمان الى ان يمضي الى
القراءة فات تلك الفائدة ومنه قوله تعالى لموسى فلا يصدنك عنها من
لا يؤمن بها اي لا تكن انما معهم في ذلك بحيث يؤثر فيك صد من صد
منها فاللين في الدين سبب لتاثير قول الصاد الذي هو سبب الانسداد
وعنده العجب منه وهذا الضرب لانها تضمنت الالتفات المنتسب من ذكر
السبب البعيد بمرتبتين فتامله والله اعلم الضرب الثاني
الايماء وهو في اللغة الاخفاء والستر ليشبها بالبر في الضمير
كقول الاعشى حكاية عن ابنته ؛؛

ابانا فلا رمت من عندنا فانا بخير اذا لم ترم ؛؛
ترانا اذا اضمرتك البلاد نجفى وتقطع منا الرحم ؛؛

والتعبير عند النحاة ما وضع للدلالة على متكلم او مخاطب او غائب نحو

الماوات ومقتضى ذلك المطابقة ان يؤتى به في ساحة على ظاهر
قبيه والمراد بالاسماد هنا حذف خلي من الكلام على شريطة التفسير
اي شرط المشيئة والارادة نحو ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والامثال لذلك
كثيرة وتقديره لو شاء الله ان يذهب ذلك لفعل ومنه قول البحتري ؛؛

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم مآثر خالد ؛؛

اي لو شئت ان لا تفسد سماحته ولا تهدم مآثره لفعلت والمراد حذف
هذا المفعول من اهل هذا الشأن حتى ما تفنن ذوي البلاغة فيها وكذلك
في المنطق الا في مكان بهم نحو لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما
يخلق ما يشاء وقول الشاعر ؛؛

ولو شئت ان ابكي دمًا لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ؛؛

كان الله تعالى اراد رد قول الكفار اتخذ الله ولدا بما يطابقه في اللفظ
ليكون ابلغ في الرد والشاعر اراد التصريح بكلامه على تقدير
ارادته له مبالغة في حكايته وجهه وحزنه وفي مثل هذا الاظهار
حسن من الايجاز لما هو واجب لانه لو حذف لم يكن في الكلام دلالة على
خصوصيته ومنه حذف المفعول كقوله تعالى وانظر الى حمارك
ولنجعلك آية للناس وفي قصة مريم كذلك قال ربك هو علي

حتى ولنجعلك آية للناس اي فعلنا ما فعلناه من احياء العزير واحياء حماره وخلق
عيني من غير ريب لنجعلها آية للناس فالعلة مذكورة والمعلول مضمر
ومنه حذف احد القسمين اللذين يقتضيهما الكلام لقوله تعالى
فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ولم يذكر القسم
الآخر الذي يقتضيه اما اذ وضعها لتفصيل مجمل واول اقسامها
قسمان ولا ينفك عنهما في جميع القرآن الا في هذا الموضع وموضع آخر يأتي
ذكره وقد بينها الثاني في هذا المكان والمعنى لم يتب ولم يؤمن ويعمل صالحا
فلا يكون من المفلحين ولكنه لما استغنى من القسم الاول بدليل الخطاب اضمر
والموضع الثاني في آل عمران وهو قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه الى قوله الا الله فعد احد القسمين والقسم الثاني
ما بعده وتفسيره واما الراسخون في العلم يقولون آمنا به لكن لما كان القسم
الاول يدل على هذا القسم من حيث ان اما تقتضي قسمين وحيث ذكر احدهما
يعلم ان الثاني على ضده فاذكره حذفت اما من صدره لا لانها في
صدر القسم الاول عليها منها ثم حذفت الفاء من جوابها تبعا لها ومنه قوله
تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي ومن انفق بعده فحذف
هذا القسم لدلالة قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا ومنه حذف خبر المبتدا لقوله تعالى افمن شرح الله

صدره للاسلام فهو على نور من ربه اي اهذا احتزام من جعل صدره
ضيقا حرجا فقسي قلبه او اهذا المشروح الصدر كمن اقسى الله قلبه حذف
ذلك بدليل قوله فويل للقاسية قلوبهم وتقديره الخبر وهو الاحتمال
حوا افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى ام من يمشي سويا على صراط مستقيم والله اعلم

النوع الثالث حذف المفعول به اما التعميم تعلق
من الكلم وهو نحو قوله ... الفعل الى الفاعل لقوله تعالى ولما ورد ماء
مدين وجد عليه امة من الناس يسقون اي مواشيهم لا انه لم يذكرها
لانها ليست مقصودة في الاخبار بل المقصود تبيين الفعل الذي
صادفهم موسى عليه وكذلك قوله تذودان اي مواشيهما قالتا لا نسقي
اي مواشينا ومن قرأ يصدر بضم الياء فالمواشي منه مفعول محذوف
واما القصد اثبات الفعل للمخبر عنه مطلقا من غير تخصيص بمفعول دون
مفعول كقولك فلان يمنع ويرفع ويضر وينفع ويبعض ويبرم
ويحمي ويهدم اي له هذه المعاني في الناس لا يعتبر تعلقها بزيد
دون عمرو ومنه قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيا اي لا يقع ضحك ولا بكاء ولا اماتة ولا احياء الا وهو فاعله فان
قلت فلم ذكر المفعولين في قوله وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
قلت لان المراد خبر الزوجين فكأنه قال خلق هذين وكذا

وكان ذكره هنا ابلغ لكونه دل على عموم ثبوت الحلول له بالتصريح ولانه في
سياق تعظيم نفسه والمبالغة في قدرته وهي في خلق الذكر والانثى من نطفة
فاعادتهما هنا ابلغ ۞ ومنه قول البحراني ۞

وارفع وضع واعز وزم واثنى وضر وصل واقطع وقم واستم وامض وضد وبر

اي القادر على فعل الحالين هو المنفرد بملكهما واما لغير ذلك من
الاغراض ولو سمي هذا الضرب بالاضمار الالتزامي والذي قبله بالقطعي
اي هذا يستدل على ما حذف منه بالالتزام وذاك بما في سياقه من
الالفاظ وحمل الاضمار فيهما الى قدر المسمى لكان جيدا ۞

الضرب الرابع حذف الفعل وجوابه اما حذف
الفعل وهو اما قول او غيره فالقول نحو قوله تعالى فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم اي فيقال لهم اكفرتم ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق
اي ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار هل تجزون الا ما كنتم اي ويقال لهم هل تجزون ووصينا الانسان
بوالديه حسنا وان جاهداك اي وقلنا له ان جاهداك على ان تشرك
بي فلا تطعهما وغير القول نوعان احدهما حذفه لا الى بدل
نحو لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك

اي فلما رجع ورأى عكوفهم على عبادة العجل قال يا هرون الثاني
حذفه الى بدل وهو المصدر ويسمى اقامة المصدر مقام الفعل نحو فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي فاضربوا الرقاب ضربا كما قال فاضربوا
فوق الاعناق واما حذف جواب الفعل فنحو قوله تعالى فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم اي فذهبا اليهم فكذبوهما فاستحقوا
التدمير فدمرناهم تدميرا وفي حذفه هنا توجيهان احدهما ان طرفي القصة
وهما الذهاب والتدمير دال على وسطها وهو الكفر والتكذيب ۞
الثاني ان ذكر التكذيب لم يكن مقصودا هنا وانما المقصود الطرفان
المذكوران وبيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شكا قومه بقوله ان قومي
اتخذوا هذا القران مهجورا ذكر الله تعالى له اهلاك القرون الخالية
لتكذيبهم رسلهم تسلية له وتاسيا بهم وتطمينا لقلبه والوعيد باهلاك
من كذبه كما اهلك من كذب من قبله ولهذا سرد الامم هاهنا باختصار
مقتصرا على ذكر الاهلاك من غير اطالة بحكايات تكذيبهم فقال وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم الاية وعادا وثمود واصحاب الرس
وقرونا بين ذلك كثيرا ۞ وكقوله تعالى ارسله معنا غدا يرتع ويلعب
الى قوله فلما ذهبوا به اي فارسله معهم فلما ذهبوا به وقوله انا انبئكم
بتاويله فارسلون يوسف اي فارسلوه فلما جاء قال يوسف ايها الصديق

ايضا وكذا قوله للرسول ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اي فرجع الرسول
الى الملك برسالة يوسف فاستحضر النسوة فقال لهن ما خطبكن ونظائره كثيرة

الضرب الخامس حذف المضاف والمضاف اليه واقامة

كل منهما مقام الآخر اما الاول ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى ويجوز ان يكون
التقدير ولكن ذا البر من اتقى والاول اولى لان المطابق لصدر الاية اذ
تقديرها ليس البر البر المولية ولكن البر المتقي ولان حذف المضاف
اتساع والحذف اولى من المبتدأ لان حذف الاعجاز اولى من حذف الصدور
في الكلام واسأل القرية اي اهل القرية حتى اذا فتحت يأجوج اي طريق يأجوج
فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها اي
من اثر حافر فرس الرسول. مثال الثاني قوله تعالى لله الامر
من قبل ومن بعد اي من قبل الغلبة ومن بعدها او من قبل كل شيء وبعده ○

الضرب السادس حذف الصفة والموصوف

واقامة كل منهما مقام الآخر اما حذف الصفة فانما يجيء اذا كان في الكلام ما يدل
عليها من تعظيم او تفخيم ونحوه فنحو كان زيد والله رجلا واختبرت عمرا
فوجدته انسانا اي رجلا فاضلا وانسانا كاملا لدلالة الحال على تعظيمه
له ولزوم تحصيل الحاصل من عدم ارادة الصفة ولهذا لو قلت رأيت
رجلا او ان زيدا رجلا ولم تقرن به شيء من ذلك لم يفد ومن كلام العرب
سير عليه ليل اي طويل وفي الحديث لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
اي صلاة كاملة او تامة ونظائره كثيرة. واما حذف الموصوف فكقوله
تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر اي على سفينة ذات الواح وحملت
رند اعلى كومتا وقلدته ماضيا اي ناقة كوماء وسيفا ماضيا وشرط حذفه ايضا
دلالة الكلام عليه حتى لو قلت مررت بطويل ولا قرينة لم يجز لانه لا يعلم ان
المراد رمح او ثوب او انسان واكثر ما يقع هذا الحذف في الشعر كقول
امرئ القيس تصد وتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
اي عن خد اسيل وتتقي بعين ناظرة اما النثر فالمشهور منعه فيه فان وقع فيه
فنادرا وفي موضع نادر لائق وذلك لان الصفة اما للتخصيص
والتبيين او للمدح والذم وكلاهما من مقامات الاطناب لا الايجاز وكلما ابهم
الموصوف كان حذفه اقبح اما الصفات الجملية التي تقع حالا فلا يجوز حذف
موصوفها الا نحو مررت بغلام وجهه حسن وبعبد قائم ابوه الا ان
تقول مررت بوجهه حسن وبعبد قائم ابوه والله اعلم ○

الضرب السابع في حذف الشرط وجوابه

اما حذف الشرط فكقولهم الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر
اي ان عملوا خيرا جزاؤهم خير او ولو عملوا خيرا وفي لفظي خير او شر

هذا ونظائره اربعا وجه رفعهما ونصبهما كما ذكرنا فرفع الاولى ونصب الثاني
وعكسه فيقدر زائدا للمرفوع وناصبا للمنصوب ومنه ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان لم تعبدوا لي في ارض
فاعبدوني في غيرها فحذف الشرط وعوض منه تقديم المفعول
وهو اياي مع افادته الاختصاص بالحصر ومنه قوله تعالى فهذا يوم البعث
اي ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وقد سبق هذا مثالا في الارداف
ومنه قول الشاعر ∴ فقد جئتم خراسانا ∴
اي ان صحت خراسان اقصى ما يطلبكم فقد جئتموها دل على ذلك ما قبله
وذكر ان الامير من امثاله هذا امر ربكم يرضاه او ما ادعى من دابه بعده
اي فعلوا مثليه فدية ومنه حذف المعنى جواب شرط ادعته جواب
لو فعليه فدية احسانا من جهة الصيغة وما قدره فهو من باب الايجاز
المنتبه من الشرط نحو فعدة من ايام اخر ونظائره كما سبق واما
حذف جوابه فكقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم اي الستم ظالمين ودل عليه
بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقد يحذفان جميعا في نحو
اذا قال لك غلامك لا اضرب زيدا وهو قائم فقول وان وذلك
في الجد والشعر والله اعلم ◦ الضرب الثامن

حذف القسم وجوابه اما حذف القسم فكقولك لافعلن كذا اي
والله او لعمري ونحوه من المقسم به ومثله فلنسألن الذين ارسل اليهم
لنسفعا بالناصية واما حذف جوابه وتقدير ما يدل سياق الكلام عليه
فكقوله تعالى ص والقران ذي الذكر اي لست بكذاب ولا ساحر
وانما جيء به بل الذين كفروا في عزة وشقاق بدليل قوله بعد ذلك
ما جاءهم ابانه هذا الا اختلاق وقول من جعل جوابه لما وقوله ان
ذلك لحق تخاصم اهل النار متعقب جدا وكقوله تعالى ق والقران المجيد
لتبعثن بدليل حكاية انكارهم البعث في سياق الكلام بقوله اذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد ونحو والفجر وليال عشر اي لتعذبن الكفار بدليل تعقيبه
بقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب
ونظائر هذا كثيرة ◦ الضرب التاسع في
حذف لو وجوابها اما حذفها فكقوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق
اي لو كان معه اله لذهب كل اله بما خلق ودل على المحذوف قوله
تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ◦ واما حذف جوابها فلقول
لوط لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد اي لدفعتكم عن ضيفي او بما انتم عليه
مطلقا وكقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى اي لكان هذا القران ولسيذكر عند هذا بقول امرئ القيس

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ..
وقال معناه لرددناه ولم نجبه وجعله نظيرا لما قبله في حذف
جواب لو وهو وهم لأن جوابه في البيت بعده وهو إذن لرددناه إلى آخره
فلعله لم يستحضر هذا أو من البيت المحذوف منه وطلبه كلاهما والله أعلم
وقوله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون أي لما جعلوا من الذين آمنوا وكقوله تعالى ولو ترى
إذ فزعوا فلا فوت أي لرأيت ما يسرك فيهم ومثاله الوراب علما بن الصبر
أي لرأيت مجاهر بحاجته وهذا الحذف إنما يحسن في الكلام المحذوف
كل مذهب ويقول من يطلب شدة الأمر أن حذفه وهو من كل الجهات
والله أعلم ٥ الضرب العاشر حذف
جواب إذا ولما وأما فالأول كقوله تعالى وإذا قيل لهم اتقوا ما بين
أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون أي أعرضوا ودل على ذلك بعينه قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين والثاني كقوله تعالى
فلما أسلما وتله للجبين أي سعدا منهما البلاء وحصلت لك نعمة على فرج ونيل
عظيم دليله إنا كذلك نجزي المحسنين أي جازيناهما بذلك إحسانهما وقيل
جوابها وناديناه والواو زائدة والثالث كقوله تعالى وأما الذين اسودت
وجوههم أكفرتم أي فيقال لهم أكفرتم والله أعلم الضرب

الحادي عشر حذف لا وهي مرادة كقوله تعالى
تالله تفتؤ تذكر يوسف أي لا تفتؤ لأن ترك وسوغ حذفها وزوال
اللبس فيه إذ لو أريد الإثبات لقال لتفتأن فلما لم يؤكد دل على إرادة النفي
نعدد حرفه .. ومنه قول امرئ القيس
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي ..
أي لا أبرح ٥ الضرب الثاني عشر
الاستئناف وهو ابتداء كلام على جهة الجواب لسؤال مقدر وهو
نوعان أحدهما بإعادة الاسم نحو أكرمت زيدا وقد حسن بالإكرام أو
بإعادة الصفة نحو أكرمت زيدا صديقك القديم أهل لذلك وهذا
أحسن من الأول لاشتماله على الصفة المشيرة إلى أن سببه الإكرام
كما قال الأصوليون في ترتيب الحكم على الوصف المناسب فكأن قائلا
قال لم أكرمته فأجيب بذلك ومن أمثلته قوله تعالى لا ريب فيه هدى
للمتقين كأن قائلا قال لم اختص المتقون بذلك فأجيب من هذا السؤال
بقوله الذين يؤمنون بالغيب إلى آخر الصفات المشيرة إلى سببه اختصاصهم كأنه
قال أهل هذه الصفات أحقاء بهذا المختص وإن جعلت مبتدأ النعوت
ما بعده للمتقين وقدرت السؤال المذكور بعد ما كان الاستئناف بأولئك
على هدى فيكون مثالا لإعادة الاسم ٥ النوع الثاني ما ليس بإعادة لاسم

والتمثيل كقوله تعالى اخبارًا عن حبيب النجار وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه
ترجعون فاسمعون كانه قال لهم فلما كان حرص هذا الرجل على نصح قومه متنسق في
لما عند ربه فقال قيل ادخل الجنة كأن السائل سال ما ذا حصل له حين دخول
الجنة لما لقي من ما اعد من نعمه وزعامه بجعلها في لغتي من غيره فقال
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ما في معنى
انه يعلم قومه بما لقي فيعملون كعمله ليحصل لهم مثل ما حصل له ومن قوله
تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام انه قال يا قوم اعملوا على مكانتكم اني
عامل سوف تعلمون كانما قال اعملوا اي ما يلي قالوا لو كنتم عاملون فما ذا
قائلًا قال لهم سوف تعلمون بما يلون وقد جا في القران فسوف تعلمون
بالفا وهو وصل للاميز والاول وصل خفي استيناف ظاهر وقوله
الوصلين لفنين حسنين قال ان الامير واما الوصل في هذه الاية
ونظايرها تارة بالفا وتارة بالاستيناف مستناسب في البلاغة على عادة العرب
في ... قلت ويمكن ان يقال ان شعيبا عليه السلام لما ذكر شرح
قومه لم يأخذ منه في ... هو دونا بسبب اهتمام في ... الاستبدال
الذي هو ابلغ في الانذار والوعيد لكن رده على هذا ان قريشا كانت اشد
نكاية للمصطفى صلى الله عليه وسلم من سائر الامم لحبيبها بها ولما قال لهم هذا
الكلام قاله بالفاء ويمكن الجواب عنه بوجوه احدها ان النبي صلى

الله عليه وسلم كانت مدة انذاره لقومه قصيرة فقرب عليهم مكانتهم بوعيدهم
بالفا اشارة الى قرب نزول الوعيد بهم وشعيب صلى الله عليه وسلم طالت مدته
في قومه فاستانف لهم ذكر الوعيد كانه قال سينزل بكم الوعيد
وان طالت بكم المدة في عامتي وجدالي الثاني ان شعيبا عليه السلام
قال ذلك الكلام من عنده لان الله تعالى قال عنه ويا قوم اعملوا والنبي صلى الله
عليه وسلم امره الله ان يقول لهم ذلك لانه قال قل يا قوم اعملوا تحسينا ...
الله تعالى لا يستلزم التسليم ملعمله عليه السلام لو قال ذلك من عنده
كما قاله شعيب كذلك لما ذكر ... الثالث نقل قوم شعيب سالوه
السوال المقدم فاجابهم بهذا الجواب والفا لا يحسن فيه ونبينا صلى الله
عليه وسلم لم نقل ذلك جوابًا لقومه من سوال بل هو كلام مبتدا مرتبط
بعضه ببعض ولا ولا يحسن ذلك بدون الفا والشاهد انواع التنبيه

الضرب الثالث عشر في حذف

الواو واثباتها في نحو وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولو اسقط
الا ولها ... وذكر ابن الاثير لهذا قاعدة حاصلها ان ...
خبر ... جملة بعد الا جاز اثبات الواو فيه وحذفها نحو ما رايت رجلا الا
وعليه ثياب والا عليه ثياب وكذا في الشبه نحو ولا رجل او ما من رجل
الا وهو قائم ... فان كان الفعل العامل على النكرة ماضيا ... وكان ... احواها

على ما ...

وكذا وأخواتها لزم حذف الواو عنها الحد وهما الأمور كأنك لأن شأنه
يتلو بشيئين فلا يعترض فيه بالواو لئلا يشبه المتعلق بشيء واحد
إلا أصبح وأمسى وراث فإن إثبات الواو فيها تسهل لأنه يؤلم في حال
عنوما أصبح أو أمسى أحد إلا وهو قائم وإلا ليس نحو ليس أحد إلا وهو قائم
لأن الكلام يقوم بما بعدها وباسم نكرة نحو ليس أحد وكذلك كان التامة وكان
الضابط في هذا أن ما كان متعلقا بشيئين لا يجوز إلا غير إثبات الواو فيهما
وهذا الذي ذكره حسن وأما الكلام في وجه اختصاص آية الحجر بالواو وسقوطها
في آية الشعراء فأقول لما كان الكتاب المعلوم لإهلاك أي الزمن متقدما
على وجودها إذ المراد به إما الأجل المعلوم أو تعلق علم الله تعالى بإهلاكهم وكلاهما
متقدم والرسول المنذر لها وجوده مقارن لا سابق فاستدل ذلك اقتران الواو
بالآية الأولى تنبيها على سبق الكتاب بإهلاكهم وسقوطها من الثانية تنبيها على
مقارنة الرسول لهم فإن قلت فلم لم يستوي الآيتان جميعا في التنبيه على
سبق الكتاب أو على مقارنة الرسول قلت لأن معنى كل واحد منهما
مناسب لما قبلها فاختصت به تحصيلا للمناسب أما آية الحجر فلأنها بعد
قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون كأنه قال
لنستثمر منهم ولنعاجلهم لكن لهم أجل معلوم سابق في علمنا فإذا استوفوه
أهلكناهم عقابا لأن ما سبق في علمنا لا يتقدم ولا يتأخر وأما آية الشعراء فلأنها جاءت

بعد ذكر قصص الأمم وإهلاكهم فكأنه أكد تصريح بعد الإخبار بمضمون القصص
تعالى إنا لم نظلمهم وأن إرسال الرسل إليهم لأنا لم نهلكهم إلا بعد الإنذار والإعذار وكذلك
فأتيا في حين الفرق لا يهلك قرية إلا أعلمنا إلا بعد إنذارها وكفرها
واستحلوها **الضرب الرابع عشر** في حذف ما
لا يخل حذفه بالكلام ومنه إسقاط بعض حروف اللفظ فلا يجوز استعماله إلا
ضرورة إذ الضرورة قد أجازت من ذلك ما يخل بالمعنى كقول لبيد

درس المنا بمتالع فأبان ∴ أي المنازل فأبان ∴

وقول علقمة كأن إبريقهم ظبي على شرف ∴ مفدم بسبا الكتان ملثوم ∴

وقول أبي دواد ∴

يدرين حندل حائر لجنوبها فكأنما تذكي سنابكها الحبا ∴

أي الحباحب وهو قدح النار من حوافر الخيل ونظائره كثيرة مذكورة
في ضرائر الأشعار والثاني هو الإيجاز بالحذف على ضربين
أحدهما أسقط اللفظ والمعنى وهو التقدير كقوله تعالى قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته
فأقبره ثم إذا شاء أنشره فدعا عليه بقتله وتعجب من كفره وذكر خلقه
وتقديره وتيسيره وإماتته وما بعد ذلك من أحكامه بلفظ لو حذف منه
حرف لاختل المعنى ومن ذلك قول الشاعر

وما لامرئ حاولته منك مهرب ولو حملته في السماء المطالع
بلى هارب ما يهتدي بمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع وكذلك

قول الآخر

ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدر وأبعدها إذا لم تقدر
فسل الإله بكل لسانك من تسع في علم غيب تهتدي
وتدبر الأمر الذي تعنى به لا خير في علم بغير تدبر
فلقد يجد المرء وهو مقصر ويخيب سعي المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

ونظائره كثيرة ۝ الضرب الثاني الاعتبار بالعقل
وصورة ما فيه المعنى في اللفظ وحقيقته وقوع الجملة على محتملات شتى
بالنوع او الشخص وهو نوعان احدهما ما ليس في لفظه اصل نحو قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة اولئك لهم الامن خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما سمعها الوليد
ابن المغيرة قال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وما هو بقول بشر. ومنه فاصدع بما تؤمر فغشيهم من اليم
ما غشيهم من كذب عليه كذب. وقوله عليه السلام الدين النصيحة ونظيره من

كلامه كثير في كتاب الشهاب وغيره وقول علي رضي الله عنه تخففوا تلحقوا
وقول العرب القتل أنفى للقتل وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول لآخر كفاك القتل
الله ما اهمك فقال هذه البلاغة وفي دعاء بعض الاعراب اللهم هب لي
حقك وارض عني خلقك. وهذا الكلام وامثاله لو فصلت معانيه بحسب احتمالاتها لكانت
اسفارا فتأمله. النوع الثاني ما كان بلفظ افعل التفضيل من شيئين لا يشتركان ٢
في الصفة المفضل فيها كقوله فسيعلمون من هو شر مكانا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا اي من ثواب الكفار ومردهم وقوله
قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اهم خير ام الجنة
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ونحو هذا او لم يجعله طرفا ان لم يكن فيهما
انه على جهة التهكم لهم والاستهزاء بهم كما يقول الملك لخارجي طمعه
معاقبة اعدائه العقاب خير لم خلعة سنية ومركب وطى عديدا على الصعب
الثالث انه كقول العرب العسل احلى من الخل والصيف احر من الشتاء
اي حر الصيف في بابه ابلغ من برد الشتاء في بابه فيكون التفضيل
من جهتي كل واحد منهما بالقصد كما لو فرض حر الصيف في انتهى حالة
وبرد الشتاء دون نهاية حده فلو فرض الحر دون ذلك كان كاملا اخر مسألة
ناقصا بالدرجة المذكورة. وربما توهم بعض من لا معرفة له مثل هذه المسألة
خلفا من القول وانما الخلف في فهمه الخاطئ عليه بوهمه ۝

النوع السادس في الاطناب

وهو عند ابي هلال العسكري مثل الايجاز لانه قال الاطناب اذا كان
انما هو بالاشباع والايجاز له موضع وهو للخواص والاطناب له
موضع وهو للخواص والعوام ومنهم من الاثير هو المبالغة في الكلام
التي اعم من التطويل والاشباع اذ قد تكون المبالغة موضع المماثل موضع
المدايح ومكنيه ونحوه مما يدخل في بابه فالاطناب نوع من انواع
المبالغة قال وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود اما حقيقة كقوله
تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فقوله في جوفه اطناب
معناه معنى التاكيد قلت ونظيره ولا طائر يطير بجناحيه . واما
مجازا نحو ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فحقيقة اضافة العمى الى القلب
بطريق المجاز لئلا يتسبق الوهم الى حقيقة المعنى الذي محله البصر هذا حاصل
كلامه والذي يظهر في تحقيقه قول ابي هلال واقوى في تقريره ان الاطناب
تطويل اللفظ والمعنى جميعا لما في ذلك من التقريب في الافهام والايصال الى الاذهان
وتباين اشتقاقه من اطناب الخيمة وهي معروفة اذ الغالب عليها
الطول بالنسبة الى غيرها من حبال الخيمة وبيان ذلك بالقسمة
ان لفظ الكلام ومعناه اما ان يتساويا او يتطابقا فان تساويا فاما ان يكون
اللفظ اطول من المعنى وهو التطويل وموضعه موضع اذا اللفظ

ازيد مما يطابقه يشبه المعنى ضعفا او دونه وهو الاحسان القصد وان تطابقا
فاما ان يكون تطابقهما في جانب الايجاز اي يكون اللفظ والمعنى معا هو
التقدير وقد سبقا او في جانب الاطالة وهو ان يكونا طويلين وهو
الاطناب فتبين بهذا ان الاطناب ضد الايجاز من حيث الطول
والقصر وضد التطويل من حيث التطابق والتفاوت وقد اشار ابو هلال
الى هذا بقوله من استعمل الايجاز في موضع الاطناب والاطناب
في موضع الايجاز فقد اخطا والاطناب اذا عرى عن التطويل حسن
ودار الامر على ابي هلال ورايه في الاطناب واعتراضات لمن يليه ما
المرشد لما مثله ثم ان الايجاز لا يدركهما وما ذكره من صنوف الاطناب
على رايهما ما اشتهر من العلماء المتأخرين من شروح الكتب المختصرة كالحاوي
للشافعية والوافي للحنفية والجامع للمالكية والهداية الصغرى للحنابلة
وكتاب ابن الحاجب في العربية والاصول فان هذه الكتب في رتبة
الايجاز وشروحها في رتبة الاطناب على ما عرفناه به وان تفاوت
الكتب المذكورة وشروحها في الرتبة والله اعلم ۞

النوع السابع في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل

نحو اسكن انت وزوجك الجنة وقد اورده النحاة واختلفوا في

ونحوه إذا عطفت عليه بظاهر من جهة العربية فمن أوجبه قال لا بد منه
كالعطف على بعض اللفظ ومن أجازه لمجيئه بوقوعه في كلامهم كثيرا
أما من جهة الصناعة التي نحن فيها فالتوكيد أولى لأنه أبلغ لقوله تعالى إما أن
تلقي وإما أن نكون نحن الملقين فأكد السحرة ضميرهم أنفسهم في الإلقاء
دون ضمير موسى حيث لم يقولوا وإما أن تلقي أنت دليل على أنهم أحبوا
التقدم في الإلقاء لعلمهم بأنهم يأتون بسحر عظيم تتحير فيه
أعين الحاضرين فلا يروقها ما يأتي بعدها على زعمهم وإنما أسندوا موسى
عليه السلام فعرضوا عليه البداءة بالإلقاء على عادة العلماء والصناع في
تأدبهم مع قرنائهم وأهل الفضل عليهم أو على جهة إظهار القوة والاستخفاف
فإن قلت لم لم يؤكد في قوله إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى
قلت استغنى عن التأكيد بالتصريح بالأولية وكقوله تعالى لموسى
عليه السلام لا تخف إنك أنت الأعلى فإنه أبلغ في نفي الخوف عنه
وإثبات استعلائه عليهم من نسبه أو نحوه لحد ذاتها إنما أتي
لحيازته بالعلو ولم يتعرض إليه لا لنفي الخوف ويفعل إنك أنت الأعلى
لم ينف عنه الخوف وأثبت له الاستعلاء مطلقا وهذا أشبه ما ذكره
اللغويون من أن قول الملبي لبيك إن الحمد والنعمة لك إن كسر همزة
إن أولى لأنه أعم لكونه مستأنفا الثاني إباحة بأن المؤكد ولم يجعل

الكلام مبتدأ أو خبرا الثالث التوكيد المذكور ولم يتسلط
أحد الضميرين فيقتل الكل الأعلى أو فات الأعلى الرابع تعريفه ا
ليفيد استغراقه رتبة العلو ولم ينكره إذ لو نكره لم يفد اختصاصه بالعلو
الخامس مجيئه على أفعل التفضيل ولم يقل العالي السادس إثبات
العلية له بلفظ العلو لأنه أخص من لفظ الغلبة فإن قلت لو كان هذا
التوكيد أبلغ لورد عند ذكر الله تعالى في كتابه موضع المبالغة لكنه
لم يرد حيث قال تعالى بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ولم يقل إنك أنت
فلا يكون هذا التوكيد أبلغ قلت فائدة استعمال هذا التوكيد تقرير ما
كان خفيا وإبانة في النفس كتقديم السحرة في الإلقاء واحتقار موسى
بالنسبة إليه بالاستعلاء وقدرة الله تعالى بأسره مستقر في نفوس
المخاطبين بعقد الكلام فلا ضرورة إلى تأكيدها فإن قلت هذا ينتقض بقوله
ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب وإن كان علمه ثابتا لا يحتاج
إلى تقرير فهلا كان التوكيد شرعا واحدا إما في التأكيد أو إثباته قلت
الجواب من وجهين أحدهما ذكره ابن الأثير وهو أن ما كان مستقر الثبوت
كقدرة الله وعلمه ونحوهما إن أكد فزيادة مبالغة وإن لم يؤكد فلا ينقصه
شيئا من التوكيد وذلك لا يوجب نقض ما قلنا قلت وهذا
قريب ومثاله من جهة الحس إن يبسط حصيرا والريح ساكنة فلم تقلعها

انها لا تقوى على ازالته فاما ان يتعلق باخره ونحوه احتياطا وللمانع لا يتعلق
به ما علمناه. الوجه الثاني وهو المختار ان قوله تعالى انك على
كل شيء قدير ثناء منه على نفسه وقوله انك انت علام الغيوب حكاية
لثناء عيسى عليه السلام وفرق بين ثناء العبد على سيده وثناء الشيء على نفسه
اذ قد ينزل فيه المبالغة لتمام تصرفه في نفسه من تلك الجهة والعبد
مثله المبالغة في ذلك واقل مراتبه ان يكون حسن الادب الا ترى ان
الانسان قد يثني على نفسه فيقول لغيري لشجاع ولا بخل ولو اثنى عليه
عبده او غيره بذلك لكان من حسن الادب المبالغة فيه فيقول انك
لا تشجع نائبا للقائح وانك اخو عند العطا ولهذا لما صاح الاعراب النبي
صلى الله عليه وسلم يسألونه العطاء حتى خطفت السمرة رداءه قال
ردوا على ردائي فوالذي نفسي بيده لو ان لي مثل عدد العضاه نعما لقسمتها
فيكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولما وصفه بعض الصحابة رضي الله عنهم
بذلك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح
المرسلة وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال علي رضي الله
عنه كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يكون اقربنا الى العدو وهذا ابلغ من ثنائه بذلك على نفسه
فكذلك الله تعالى لما اثنى على نفسه بالقدرة لم يؤكد وعيسى صلى الله

عليه وسلم لما اثنى عليه بالعلم اكد استعمالا للادب بالغيوب فيه من مزيد
عزة الى توكيد وهذا احسن من جواب ابن الاثير لكن جوابه اسهل واتم
ويمكن الجواب بالفرق بين القدرة والعلم وذلك من وجهين
احدهما ان القدرة اخص اذ كل مقدور معلوم وليس كل معلوم مقدورا
اذ المستحيل معلوم لا يوصف بالمقدورية ولا يدخل تحت القدرة فاستغنت
بقوة الاختصاص عن التاكيد بخلاف العلم الثاني ان العلم احق من القدرة [illegible]
العلم صفة للنفس والقدرة صفة لمجموع الذات والمذاهب الخلاف في العلم
على ما عرف في الكلام ولم يقع الخلاف في القدرة الا جبنا ومن القائلين
بان الصانع مؤثر بالطبع والايجاب لا بالقدرة والاختيار فان قلت
فهذا يقتضي عكس ما ذكرت لان الخلاف في العلم انما هو في نفيه مع الاتفاق
على وجود حقيقته والخلاف في القدرة في وجود حقيقتها وما اتفق على
وجوده اظهر مما اختلف فيه فدل على ان العلم اظهر قلت الخلاف في
القدرة ليس من جهة الظهور والخفاء بل من جهة ان نفوها الصانع يستلزم
عندهم محالا فلا وجه لما ذكرت ٥

النوع الثامن في استعمال العام بمعنى الخاص اثباتا
وهو المع وادل على المقصود كقولنا لا حيوان تدل على انه لا انسان
استلزام انتفاء اللازم انتفاء الملزوم كقولنا وقولنا لا انسان ادل على

اسما الحيوان اذ اسما الملزوم لا يدل على اسما اللازم وقولنا انسان يدل على
وجود الحيوان لاستلزام وجود الملزوم وجود اللازم وقولنا حيوان لا يدل على وجود
الانسان لان وجود اللازم لا يستلزم وجود الملزوم وهذا العموم والخصوص
يقع تارة في الماهيات وتارة في الاعداد وتارة في المقادير وقد يقع في غير
ذلك مثال الاول قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل بضوئهم لان الضوء
اخص اذ هو فرط الاستنارة ويدل عليه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا والكلام في قوة النافي اذا ذهبت الى نفيه نفي الاعم الملزوم لاستلزامه
نفي الاخص ولو قال بضوئهم لافاد ذهاب خصوصية الضوء فيبقى النور
وكذا قوله ذهب الله بنورهم ولم يقل اذهب الله نورهم لان الذهاب بالشيء
اخص من اذهابه اذ فيه معنى المصاحبة والاستصحاب بالمذهوب به وليس ذلك
في الاذهاب وهذا العموم والخصوص في مادة الفعل ويقرب من هذا
القسم ومثال الثاني الجمع والافراد فالجمع اخص لاستلزامه المفرد
وقولنا ما عندي رجل او ثمرة ابلغ في نفي جنس الرجل والثمر في قولنا
ما عندي رجال او ثمر وقولنا عندي رجال او ثمر ابلغ في اثباتهما من قولنا
عندي رجل او ثمرة لان هذا لا يدل اصلا على غير المفرد وان الاشتر
[illegible] هذا النوع بالاسماء المفردة الواقعة على الجنس التي بين جمعها
ومفردها الا التاء كثمر وتمرة ولا ارى لهذا التخصيص فائدة اذ حكم الشيء

اخص من مفرده مطلقا لما سبق ثم رتبت لها مثلا انسب بين فيه وهو قوله نوح
لقومه ليس بي ضلالة ولم يقل ليس بي ضلال لان الاول ابلغ في نفي الضلال
من الثاني ولو قال ثاني مرة في جوابك ثمر وهذا بناء على ان ضلالة اسم
مفرد لكن يحتمل انه اسم جنس [illegible] والشجاعة بمعنى الضلال والجهل
والسعة وجهة المقادير ان يكون المثال نطقا بها ٥ ومثال الثالث
قولنا ثوب عرضه مائة ذراع لزم ان يكون طوله مثلها او اكثر اذ الطول
لا يقصر عن العرض ولو قال طوله مائة لم يلزم ذلك لجواز ان يكون العرض
اقل فالعرض اذا علم انه يكون مساويا للطول او دونه والعرض منه والطول
اعم لانه لا يكون الا مساويا او اكثر ولهذا قال سبحانه وجنة عرضها السموات
والارض كانه قال هذا عرضها فما ظنكم بطولها ولو قال طولها السموات
والارض لم يعرف شمائله بجواز ان يكون عرضها اقل من ذلك فان قيل فذكره
العرض يقع جواز مساواته الطول له على ما قررت غير مفيد اذ مقتضى المساواة
لا يكون بينهما تفاوت فيكون احدهما قائما مقام الاخر في الذكر واغنى عن التخصيص
قلت لما كانت العادة المشاهدة غالبها طول الجسم اكثر من عرضه ذكر
العرض لتقرير القياس على المشاهدة والاصل عدم المساواة وجوازها
الاستلزام ووقوعها فان قيل السموات والارض على ما تقرر في
علم الهيئة على شكل كري وهو ما استوى تقدما بين محيطه ومركزه من جميع

جهاته ومثل ذلك لا يقول له ذو العرض فكيف يحمل له الطول وعرضها تشبيه لطول
الجنة وعرضها فلنسب للجواب من وجوه احدها ان كونه السموات والارض
انما استندها المقدمات الرصدية والهندسية وذلك قد تخطى ونصيب الاخرى
ان المتكلمين طعنوا في مذهب المنجمين بالكلية في مقدمات الرصد الذي هو مستند
عليهم وحينئذ يجوز ان يكون لها طولا وعرضا الله اعلم بهما لا يعلم من خلق
الثاني سلمنا ذلك لكن الجواب من وجهين احدها انه حمل لها عرضا التشبيه
الى اوهام العرب فانهم كانوا يعتقدون لها عرضا ولهذا قالوا المتقدمين فيها
عربية تعني الارض والقران نزل مخاطبا لهم بما كانوا يعتقدون
لقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وان لم يكن في الجنة بكرة ولا عشي
الثاني ان المراد العرض التقدير في المعنى الاخرى اراد العشة
مع اعتقادهم في السما والارض فزعموا انهما خلقوا كما ... فقسموها
بها الى اربعة اقسام جنوبا وشمالا وشرقا وغربا والحقوا الى ذلك اسم
العرض والطول كل ذلك بالتقدير وان لم يعتقدوا ولذلك حققنا
الثالث انه اراد بالعرض السعة قال بعض المفسرين يكون
تقديره عرض الجنة كسعة السموات والارض الكرسي ويلزم حينئذ
ان يكون طول الجنة اكثر من ذلك بما سبق والله اعلم ۞

النوع التاسع في تفسير المبهم

فقد ابهامه كلما اتضح به وانكشف به
لانه يذهب بالسامع كل مذهب من باب التشويق بعض المذاهب وقد
استودت النفس لشوقها الى معرفة المبهم لسماع التفسير فيكون ابلغ و
موقعا ولهذا تقول للعامة اذا اردت تفخيمه ولا تحتمه فمنه قوله
تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابهمه لشوق الداعي على معرفته ثم فسره
بقوله صراط الذين انعمت عليهم ونبها على ان الامر المهم هو المستقيم ومنه
قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد ابهمها لذلك وتفخيما لشانها ثم فسرها
بقوله من البيت ولم يقل قواعد البيت لذلك ومنه قوله في فرعون
لهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب ابهمها تفخيما لشانها في قلوبنا
وتشويقا لهامان الى معرفتها ليكون اجدر بالبنا وعدالى بنا الصرح ثم فسرها
بقوله اسباب السموات ومنه قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد فابهمه لذلك ثم فسره بتحقير الدنيا والاعراض عنها
وتعظيم الاخرة والقصد اليها وختم ذلك بذكر الوعيد والوعيد والثواب
والعقاب ونظير هذه الاشياء ان تقول هل ادلك على اكرم الناس واجودهم
يدا وهو ابلغ من قولك زيد اكرم الناس واجودهم ولهذا قال الله
عز وجل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم فسرها بالايمان بالله
والجهاد في سبيله ووقع مثل ذلك في كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومن هذا الباب تفسير الضمير بعد من قوله نحو قولهم ربه رجلا وقوله
وما تتلوا منه من قرآن او بذكر الجملة وتسمى ضمير الشان والقصة نحو انه
انا الله العزيز الحكيم وقل هو الله احد ومنه الاستثناء العددي
نحو فلبث فيهم الف سنة تعظيما لشانه والامر الذي صبر عليه البلوى
الماع في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ثم فسرت حقيقته بعدد ارلبيه بقوله
الا خمسين عاما ولو قال ابتدا فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما
لم تكن كالاول في تحصيل الغاية المذكورة اما الابهام بدون تفسيرها
فلشي نحو ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم فالتي صفة موصوف محذوف
لا تعلم حقيقته امي الطريقة او الحالة او الملة او الجنب الا ان المعنى مفهوم من
حيث الجملة اذ معناه يهدي الى الخير والرشاد كما قال في سورة النحل
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ۞

النوع العاشر في التعقيب المصدري

وهو تعقيب الكلام بالمصدر اشارة الى تعظيم شانه او همه وشانه
مثال الاول قوله تعالى يوم ينفخ في الصور الى قوله صنع الله الذي
اتقن كل شيء اشار بذلك الى تعظيم قدرته الى قدرتها على النفخ في الصور وفزع
من في السموات والارض واتيانهم داخرين وتسيير الجبال كالسحاب كانه
قال انظر واسمع الى ما اعطيته وكذا سائر المصادر المؤكدة نحو صبغة الله

اي الزموا ملة ابراهيم صبغة الله او عليكم صبغة الله اغراء او اتبعوا صبغة
الله اي دينه ووعد الله اي ارتقبوا وعد الله بغلبة الروم وفرح المؤمنين
وفطرة الله اي الزموا دين الله وكل هذا تعظيم لهذه الجمل بتعقيبها بهذه المصادر
وكما يوصف رجل بعلم او زهد او عمل او غير ذلك من الفضائل فيقال نعم الله
مثال الثاني عكس هذا المثال ان يوصف رجل بصفة ذم من زنا او
شرب او زندقة ونحوها من الرذائل فيقال صنع الشيطان المضل
العار الذي يخلب الالباب ويوقع في اسباب العذاب ۞

النوع الحادي عشر في وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما او تحقيرا

فالاول كقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما
اخلفوا الله ما وعدوه ولم يقل بما اخلفوه تنبيها على عظيم جرمهم اخلافهم
وعد الاله العظيم وكقوله تعالى الم تروا كيف يبدي الله الخلق
ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة لم يقل ثم ينشئها على عظيم
قدرته واحتجاجا عليهم بان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة والمظهر اسمه عند
ذكره الا ان الاظهار اذكر من الاضمار ونحوه جاءنا بنو تميم يرقصون واستدروا
نحونا يركضون وتماجد بنو تميم علينا بجهلهم فلينا بالقراد ولينا

الادبار ولم يقل باحد واحد منها على عظم شجاعتهم ومعرفته فما سبقهم
والثاني قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالمبرد تقدم ذكرهم ... حتوتا
وقدامهم الى قولهم هذا ما ... به وقد تقدم وجه مجيئه ٥

النوع الثاني عشر في التقديم والتاخير من جهة المعنى

وقد قدمنا جملة منه في صناعة العربية الا انه يتعلق باللفظ والمعنى
جميعا وقد كان الاليق ذكر هذا عقيب ذلك جميعا من المناسبين الا انا بعثنا
الى الاهم في رتبه في غالب الكتاب فمنه تقديم السبب على المسبب
نحو اياك نعبد واياك نستعين فقدمنا العبادة لانها سبب حصول الاعانة فتقديمها
اجدر تحصيل المقصود من العكس ولو قدم ... لكان اوجه الاتمام سو
من تقديم السؤال ومنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة
ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا فقدم احياء الارض لانه سبب حياة
الانعام والناس وقدم حياة الانعام لانه مما يحيى به الناس باكل لحومها والبانها
ومنه تقديم الاعم فالاعم فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع ولو عكس لكان من تقديم الاكثر فالاكثر كقوله تعالى

فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فجعل الاصناف من
الناس في الكثرة والقلة على هذا الترتيب ولو عكس لكان من باب تقديم الاقل على
فالاقل وهو في الافضلية على هذا الترتيب وكل ما ... فيه التفاوت البيان فما عدا
ومن ذلك فما عدا ذلك تقديم انهما ... اعتبار ... ومعظم الاسواء
يكون كل منهما اخص من الاخر ... من وجه ثم ان كان تقديم احدهما انسب
لسياق الكلام وتطلعه كان تقديمه اولى فمن ذلك ... تقديم الاعجب
فالاعجب انسب لما قبله من سياق الكلام الاول انه تعالى ذكر عجائب صنعه
فيها ... فقوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم ذكر السحاب العلوية
من برد وبرق ... وغير ذلك ثم ذكر الدواب فكان المناسب تقديم ما ذكر
ومنه انه ... فانها ... لبيان استحقاقه الحمد ويذكر العباد نعمه
عليهم ... من ... السلطان ... وكلهم ... عليهم ثم ... ذلك
ذكر المخلوقات ... بقوله فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه كذلك فناسب ذلك تقديم الدال والمقصود ... تقديم
الاكثر فالاكثر ومنه قوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فقدم الاناث وان كان من
حقهن التاخير لان هذه الاية ذكرت في سياق قوله وانا اذا اذقنا

الانسان نار جهنم ويح بها وان بعضهم سببه ما قدمت ايديهم وان الانسان
كفور ومنهم على التزوج بالحب والبنوة النسب ثم اشار الى ان المالك الحقيقي
المالك وانه تعالى يعطي لمن يريد سوا اناثا او ذكرانا او يزوجهم وان ذلك ليس بيدهم
وكان خلق الاناث مما يسرهم كما اخبر عنهم بقوله واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم فقدم ذكر من جنسها على انه قادر ولما بنا على
وان ارادتهم لا تاثير لها ثم لما اخر الذكور وان من حقهم التقدم تدارك امرهم بجبر
نقصهم بتعريفهم لان التعريف افضل من التنكير تنبيها على ان تقديم الاناث لمعنى من
المذكور لا لاستحقاقهن التقديم فلما رجح المرجوح من جهة جبر الراجح من جهة ثم
اعطى بعد ذلك كل ذي حق حقه لزوال المانع بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ثم
قد علمت انه في هذه الاية قدم ذكر السموات على الارض لان ملك السما اعظم
فتقديمه ادل على العظمة والقدرة والملك وكذلك قدمها في سورة سبا
في قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
لان معلومات السما ادق واكثر وهو ابلغ في الدلالة على كمال العلم
وقال في يونس وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من
عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة
في الارض ولا في السما فقدم الارض لانه صدر الاية بذكر اهل الارض
ومن امعن النظر وجد لكل تقديم وتاخير في القران معنى مناسبا

ولابن الدهان في ذلك كتاب كبير حسن وفيما ذكرناه تنبيه على ما اهملناه ۝

النوع الثالث عشر في التخلص والاقتضاب

اما التخلص فهو الانتقال من معنى الى غيره والمراد منه هنا خروج المتكلم
من معنى الى غيره بغتة كقول المتنبي يصف ويتوجه الى المدح وما يجده
من الالم ساعة الوداع ؛
وقفنا بيوم البين عما كان بنا ابن ابي الهيجاء في صدر فيلق ؛
وكقوله
فاستحسنت ثم قالت المغيث ترى ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا
وكقوله نبعث الزمان بابنه الاغر سرودا
الاحمق مبده وكابه به ؛
حتى ابو الفضل بن عبد الله رويته المنى وهو المقام العالي ؛
ولو سمي مثل هذا البيت للوزن السامع بهتة له لكان اسما مناسبا وكذا كتب
اسمه على ان اطلق له اسم التخلص وهو من المتكلم دليل براعته وتمكنه في صناعته
على ان المراد هو مطلق الانتقال فلا يشترط ذلك فيه ومن امثلة التخلص قول ابن الجهم
وليلة كحلت بالنهم مقلتها القت قناع الدجى في كل اخدود ؛
قد كاد يغرقني امواج ظلمتها لولا اقتباسي سنا من وجه داود ؛
وقول ابن نباتة الشاعر ۝

كان السموع وقد الملعت من الناد في كل داير لسانا ؛

اما مل اعدا لك الخايفين شرع تطلب منك الامانا ؛

وقول اسحاق بن ابراهيم الموصلي ؛

وصافية تغشي العيون بنورها رهينة عام في الدنان وعام ؛

ادرنا بها الكاس الروية بيننا من الليل حتى انجاب كل ظلام ؛

فما ذر قرن الشمس حتى راينا من العي مثل احمد بن هشام ؛

وتخيل ان احمد بن هشام هذا عاتب اسحاق فقال مالي ولك يا اسحاق تهجوني فقال له لاني الا انك جلست على طريق القافية وقول البحتري ؛

واغر في الزمن البهيم محجل قد جيت منه على اغر محجل

ما ان يعاف قذى ولو اوردته يوما خلايق حمدويه الاحول ؛

وقول ابي تمام في صفة الفرس ؛

فلو تراه مشيحا والحصى فلق بين السنابك من مثنى ووحدان ؛

ايقنت ان لم تثبت ان حافره من صخر تدمر او من وجه عثمان ؛

ومن ابدع التخلص قول ابن الزملدم وقد ساله قرواش ان يهجو ندمائه البرقعيدي المغني وسليمان بن فهد الوزير واباجابر الحاجب فقال ؛

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة وبرد اغانيه وطول قرونه

سريت ونومي فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه ؛

على اولق فيه التفات كانه ابو جابر في خبطه وجنونه ؛

الى ان بدا ضوء الصباح كانه سنا وجه قرواش وضوء جبينه ؛

وقد قال بعض اهل الصناعة لو تحدى هذا الشاعر بهذه الابيات الشعرا هو الاعجم واما الاقتضاب وهو الانتقال من النسيب والقلم ويسمى السيف قاطعا والرابطة قضبا وهو ضد التخلص وهو الخروج من معنى الى غيره من غير تعلق بينهما لفظا ولا ربط معنوي وهو مذهب قدما الشعرا كامري القيس والاعشى واضرابهما الا ترى ابي الحسن حيث فرغ من حكاية عشيرة وما بعدها قال ؛

وبيضة خدر لا يرام خباوها | الى ان فرغ من حكايتها ثم قال ؛

وليل كموج البحر مرخ سدوله | الى ان فرغ منه ثم قال ؛

وقربة اقوام شدد تحملها | ثم ركب للصيد بقوله ؛

وقد اغتدي والطير في وكناتها | الى ان فرغ منه ثم قال ؛

ابيات وهي ترقا ادرك وبيضه الى اخره وتبه حم القصيدة وكل ذلك اقتضاب ثم الاقتضاب من انواعه فصل الخطاب وهو قولهم اما بعد وهو عند بعضهم احسن من التخلص لما فيه من الثقة على العرف من المعنى الذي اشتغل فيه والمعنى الذي اشتغل اليه والثاني ما عداه لقوله تعالى بعد ذكر جماعة من الانبيا عليهم الصلاة والسلام هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب الى ان فرغ

٩٧

من سمعه اهل الحمد ثم قال هذا وان للطاعين لشر مآب وهذا انا محدث صاحبك
ثم يقول له هذا معنى واما كذا وكذا وتسمى له الجدب وقد ذهب ابو العلاء
محمد بن غانم الغانمي الى ان القرآن خال من الاقتضاب والتخلص وهو المثل اما في
الاقتضاب فلما ذكرنا من ذكر هذه وهو ذنبه كثير جدا واما في التخلص فلما
ذكره وهو قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم لقومه فانهم عدو لي الا رب العالمين
الذي خلقني الى قوله يوم الدين ثم تخلص الى ذكر دعائه بقوله رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين في قوله يوم يبعثون ثم تخلص الى وعظهم وتحذيرهم من شدة
ذلك اليوم بقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ثم ان
القرآن مشتمل على امر ونهي وخبر ووعد ووعيد وسواه يرد بعض هذه
الانواع بعد بعض ويخرج من بعضها الى بعض وذلك اما بتخلص او اقتضاب
وايا ما كان بطل قول الغانمي وما اظنه كان يخفى هذا القول الا نايا والله اعلم

النوع الرابع عشر في المبادي والافتتاحات

والعلم ان [illegible] هذا النوع واجبة تحسين الكلام بكلما او بغير المعنى المقصود
به كما فعله الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي في خطب كتبه وما حكى ان
نادى على عهد المأمون ولد يحيى [illegible] كتابه ان [illegible] بذلك الى البلاد
فلما [illegible] حال الامام في بطون الاعلام وذلك لان افتتاح الكلام
اول ما يقرع السمع فاذا كان حسنا توفرت الدواعي على سماع ما بعده والا مجت

وعنه الاسماع ولا ينفع بها موقعا ولا يعد في النفوس موضعا ولقد احسن الله تعالى
بعض سور كتابه بالحروف المقطعة ليقرع اسماع العارفين بديع لم يعتادوه
فيتشوقوا الى ما بعده فينبغي للشاعر ان كان مادحا ان يفتتح شعره اما بنعت المدح كقوله

مغنى ذا الفكا الاعلى حرام ⁂ وقوله

نأتك من سعد ودق الرزء امكنك ⁂ ادسي بن الحارث

في قدرا اكرام امثل ما في الصرام ⁂

او يتغزل اما باسما الاماكن الراسية كالغور والعقيق وقد ودا او باسماء
النساء نحو سعاد واسماء وزينب الا ان يكون في الشط استقرا للعدو
التي تنزل بها الاطلال فيعيب عليه ذلك لما لاشتقاق لفظه من العدو وان
كان انما سميت بذلك لتجنبها الاعداد وان كان الشاعر مشغلا على زمانه او شاكيا
الى المندوب منه جاز المهاد العتب والتضجر كقول البحتري ⁂

اي ظل يوم للخلود اسالي الا مواجدات الزمان وما لي ⁂

وكقوله ⁂

نجاف من الحسن ما الذنب واحد وهب لعروف الدهر ما انت واحد ⁂

اوما لك الادبار الوبيات حزنه فلاحقت اذا انملتك الاناعه ⁂

لا ريب في ذلك استعطاف الممدوح وهو الاولى السامع على [illegible] وما يليه له
لذلك وهو من احسن المدح فمن احسن الافتتاحات قول البحتري في المدح

ورب مجوبة بعدما رثت حالها وعاد الهاجسينها وحالها   ولقوله

يبقى مالت من جدي ولا لعبي ما لي شي سوى العليا من اوب   وقوله

خدوا عن عين النجا انها الركب لنسأل ذلك السرب ما فعل السرث

وقول كعب   بانت سعاد فقلبي اليوم متبول :

ولقول المهيار

اما وهواها عذرة وتنصلا لقد نقل الواشي اليها فامحلا

سعى جهده لكن تجاوز حده وكثر فارتابت ولو شاء قللا :

فاتر را الاعتداد والتمايل في منه التعرب   :   وقول بعض المتأخرين

في مثل ذلك :

قر آن اقوال الوشاة العواجز ودون لقاء احوال الغرام المحاجر :

فلولا ولوع منك بالصد ما سعوا ولولا الهوى ما انبث للغادر :

وقال في ابو سروان الوزير وقد خلع عليه :

جملت من الحدثان احصن ادرع ولقد تبين على الكريم الاروع :

وللحدث في امداح المدائح والتهاني ذكر الدار ووصف رسومها واقفارها

ونحو ذلك مما يتطرق به لشتات الالاف وذم الزمان كما افتتح ابو نواس

قصيدته التي يمدح بها الفضل بن يحيى :

اربع البلى ان الخشوع لباد :   فاكرم عليه الفضل ذاك ونظيره .

فالبلى قوله . سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد .

استحسن مطر ابن لبيد وقال انه لم يسر بعد ذلك اسبوع والحبني اصيبوا

وعندي ان الحسن مختص افتتاحه بالتهنئة ورب البلى والخشوع اننا

البيت الثاني وهو وان كان مما يتطير به الا ان له ولتطايره وجها حسنا وهو بيان

اثر جود الممدوح طردا او ملسا فاعرفه وكافتتاح قصيدته التي يمدح

بها الامين بقوله :

يا دار ما صنعت بك الايام لم يبق فيك بشاشة تستام :

وهي من اجود شعره واحتذاه ابو تمام تم بعد مدة في صناعة الشعر على ان ناك

مثلها لم تسلم ولكن شاهد افتتاحها وكافتتاح اسحاق بن ابراهيم الموصلي

قصيدة التي انشدها المعتصم مدح فيها وهنيئه باتمام القصر الذي بناه بالميدان

بقوله :   يا دار غيرك البلى ومحاك   يا ليت شعري ما الذي ابلاك .

فتطير المعتصم من ذلك   وتغامز الحاضرون على اسحاق وتعجبوا كيف فاته

ذلك مع معرفته وطول خدمته للملوك   وقيل انهم لما انفضوا من ذلك

المجلس لم يعد اليه منهم اثنان ثم خرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر

وقد كان اللائق باسحاق ان يقول كما قال الخريمي :

الا يا دار دام لك السرور وساعدك الغضارة والحبور :

او كما قال اشجع :   قصر عليه تحية وسلام   القت عليه جمالها الايام :

اوكما قال ابن النعاوندي

احوذا اذ والى ان نهبها دار على السفح قد شيدت مبانيها

وهذا الجنس الانشاآت في هذا المعنى وقد انكر ابن الاثير على ذي الرمة اصابته قصد هذا الباب بقوله ما بال عينك منها الماء ينسكب

قال لان مقابلة الممدوح بمثل ذلك قبيح وهذا وهم لان مقصد القصيدة الشريفة مديح ابيه وانما افتتح بشرح حاله في عشقه مية ونحو ذلك فهو كقول امرئ القيس قفا نبك وقول الاعشى ودع هريرة وان كان نعريا او هزلا كان سيء على المادح فيستحسن له الافتتاح بما فيه حزن وتحسر وتذكر المنازل الدارسة والجموع المتشتتة ونحو ذلك كقول ابي ذؤيب

امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقول ابي الطيب

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع

وقول البحتري

تمام ما ارتد الحمام السواجع وما رجعت اذ دنت كلاها المدامع

ولد ادلها ملت حان ارعوا اوة ان توثب اني بين الجاما يع

وقوله ولي اهل البيت

ما باكم ليدنيه ومرتع ابكل على البلى اودع

تحيهم طلت وتبلى عزيمهم لكل فما قلبه لمن يدع

ودار عمر الحي قد جاء مرتبه في عزا واضحابه

الاان ابعد تخدم ما انهاني حيث السرور ومدى الزمان والله اعلم

النوع الخامس في خداع المخاطب

وقوله سحر المطلوب منه كقوله تعالى قل تمتع بكفرك قليلا فاعبدوا ما شئتم من دونه اعملوا ما شئتم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وانما اتيناهم وليتمتعوا فانه قال فدا امرهم بالايمان ايمانهم ما انتم بحجة ولعل من حكمكم ان تومروا بسيئة مع ما امر به النبي الوصي الكتاب ونحو الذي بين الله

النوع السادس عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى

والمراد به اختلاف المعاني قوة وضعفا لاختلاف الالفاظ قلة وكثرة وزنة ووزنا ومثاله في الكتاب السنعدف للحمل الصعب والسقندان لما هو اكبر منه نقل ما ذكر الزمخشري في اول الكشاف ونحو واحد مخشوشن ومشوب وما غدق ونغد وذي قال ابي البلح لزيادة حروفه وفي الافعال اعشوشب واعشوشب وخشن الرجل والحبوس وقد او اسد و حمى وفي الحروف استحنوا كما قالوا الواو دلت على الجمع والفاء على الترتيب لكونهما على حرف واحد ثم لزيادة حروفها تكمل الجمع والترتيب والتراخي بتغير الكلام في فاعل